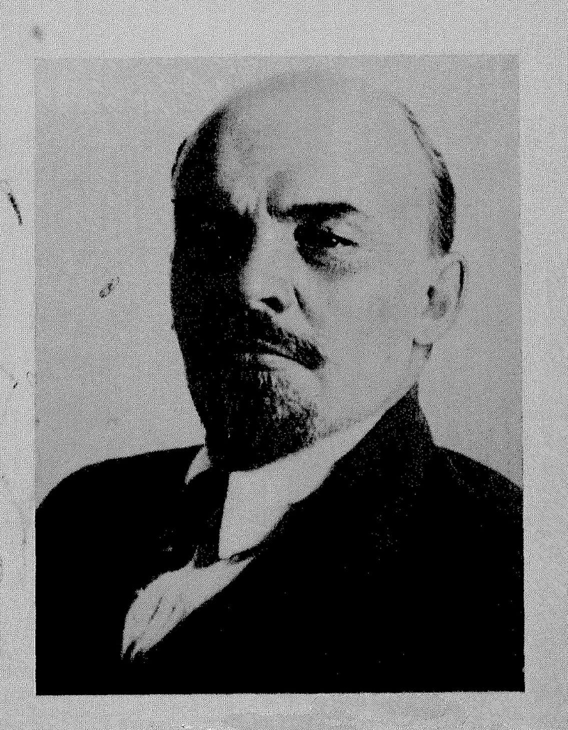
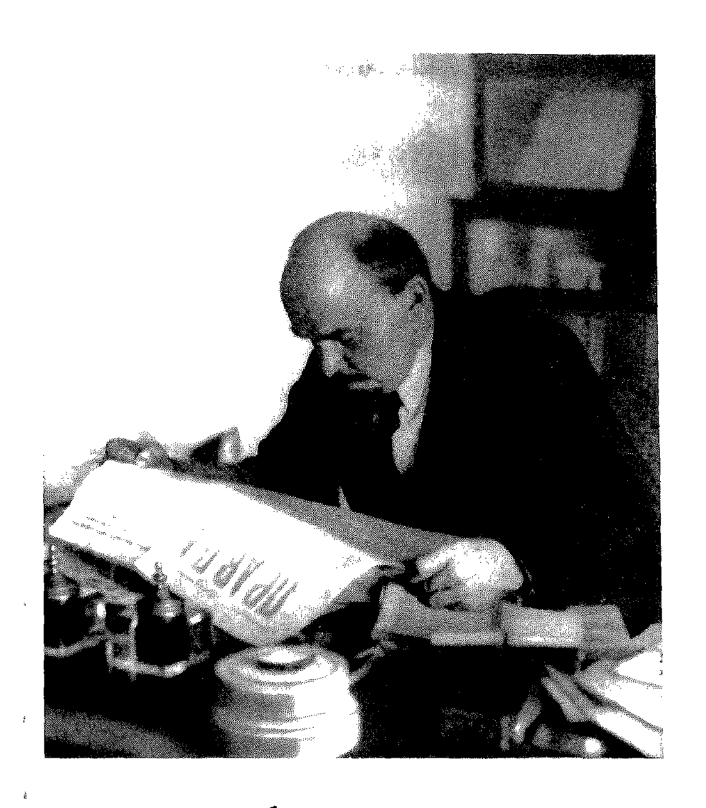
لينين

في الثقافة والثورة الثقافية



يا عمال العالم ، اتحدوا !



В. Ульянов (Ленин)

لينين

في الثقافة والثورة الثقافية

دار التقدم

موسكو . ١٩٦٨

إهـــــداء2005

رصيد عام

الى القراء

ان دار التقدم تكون شاكرة لكم اذا تفضلتم وابديتم لها ملاحظاتكم حول ترجمة الكتاب ، وشكل عرضه ، وطباعته ، واعربتم لها عن رغباتكم .

العنوان : زوبوفسكي بولفار ، ٢١
موسكو ــ الاتحاد السوفييتي

В. И. ЛЕНИН

О КУЛЬТУРЕ И КУЛЬТУРНОЙ РЕВОЛЮЦИИ

На арабском языке

مصادر الماركسية
الثلاثة واقسامها المكونة الثلاثة (١)

يثير مذهب ماركس ، في مجمل العالم المتمدن ، اشد العداء والحقد لدى العلم البرجوازي كله (سواء الرسمي او الليبيرالي) ، اذ يرى في الماركسية ضربا من «بدعة ضارة» . ليس بالامكان توقع موقف آخر ، اذ لا يمكن ان يكون ثمة علم اجتماعي «غير متحيّز» في مجتمع قائم على النضال الطبقي . **فكل** العلم الرسمي والليبيرالي **يدافع** ، بصورة او بأخرى ، عن العبودية المأجورة ، بينما الماركسية اعلنتها حربا لا هوادة فيها ضد هذه العبودية . أنْ تطلب علما غير متحيّز في مجتمع قائم على العبودية المأجورة ، لمن السذاجة الصبيانية كأن تطلب من الصناعيين عدم التحيز في مسألة ما اذا كان يجدر تخفيض ارباح الرأسمال من اجل زيادة اجرة العمال .

ولكن ليس ذلك كل ما في الامر . فان تاريخ الفلسفة وتاريخ العلم الاجتماعي يبيّنان بكل وضوح ان الماركسية لا تشبه «الانعزالية» بشيء بمعنى انها مذهب متحجر ومنطو على نفسه ، قام **بمعزل** عن

الطريق الرئيسي لتطور المدنية العالمية . بل بالعكس . فان عبقرية ماركس كلها تقوم بالضبط في كونه اجاب على الاسئلة التي طرحها الفكر الانساني التقدمي . وقد ولد مذهبه بوصفه **التتمة** المباشرة الفورية لمذاهب اعظم ممثلي الفلسفة والاقتصاد السياسي والاشتراكية .

ان مذهب ماركس لكلّي الجبروت ، لانه صحيح . وهو متناسق وكامل ؛ ويعطي الناس مفهوما منسجما عن العالم ، لا يتفق مع اي ضرب من الاوهام ، ومع اية رجعية ، ومع اي دفاع عن الطغيان البرجوازي . وهو الوريث الشرعي لخير ما ابدعته الانسانية في القرن التاسع عشر : الفلسفة الالمانية ، والاقتصاد السياسي الانجليزي ، والاشتراكية الفرنسية .

واننا سنتناول بايجاز مصادر الماركسية الثلاثة هذه ، التي هي في الوقت نفسه اقسامها المكوّنة الثلاثة .

١

ان **المادية** هي فلسفة الماركسية . ففي غضون كل تاريخ اوروبا الحديث ، ولا سيما في اواخر القرن الثامن عشر ، في فرنسا ، حيث كان يجري نضال حاسم ضد كل نفايات القرون الوسطى ، ضد الاقطاعية في المؤسسات وفي الافكار ، كانت المادية الفلسفة الوحيدة

المنسجمة الى النهاية ، والامينة لجميع تعاليم العلوم الطبيعية ، والمعادية للاوهام ولتصنّع التقوى ، الخ .. ولذا بذل اعداء الديموقراطية كل قواهم « لدحض » المادية ، لتقويضها ، للافتراء عليها ؛ ودافعوا عن شتى اشكال المثالية الفلسفية التي تؤول ابدا ، على نحو او آخر ، الى الدفاع عن الدين او الى نصرته .

وقد دافع ماركس وانجلس بكل حزم عن المادية الفلسفية وبيّنا مرارا عديدة ما في جميع الانحرافات عن هذا الاساس من اخطاء عميقة . ووجهات نظرهما معروضة باكثر ما يكون من الوضوح والتفاصيل في مؤلفـــي انجلس : « لودفيغ فوربـــاخ » و « دحض دوهرينغ » ، اللذين هما ، على غرار « البيان الشيوعي » (٢) ، الكتابان المفضلان لدى كل عامل واع .

ولكن ماركس لم يتوقف عند مادية القرن الثامن عشر ، بل دفع الفلسفة خطوات الى الامام . فاغناها بمكتسبات الفلسفة الكلاسيكية الالمانية ، ولا سيما بمكتسبات مذهب هيغل ، الذي قاد بدوره الى مادية فورباخ . وأهم هذه المكتسبات ، **الديالكتيك** ، اي نظرية التطور بأكمل مظاهرها واشدها عمقا ، واكثرها بعدا عن ضيق الافق ، نظرية نسبية المعارف الانسانية التي تعكس المادة في تطورها الدائم . ان احدث اكتشافات العلوم الطبيعية — الراديوم ، والالكترونات وتحوّل العناصر — قد اثبتت بشكل رائع صحة مادية ماركس

الديالكتيكية ، رغم انف مذاهب الفلاسفة البرجوازيين ورغم ردّاتهم «الجديدة» نحو المثالية القديمة المهترئة .

وقد عمق ماركس المادية الفلسفية وطوّرها ، فانتهى بها الى نهايتها المنطقية ووسع نطاقها من معرفة الطبيعة الى معرفة **المجتمع البشري** . ان **مادية** ماركس **التاريخية** كانت اكبر انتصار احرزه الفكر العلمي . فعلى اثر البلبلة والاعتباط اللذين كانا سائدين حتى ذلك الحين في مفاهيم السياسة والتاريخ ، جاءت نظرية علمية روعة في التناسق والتجانس والانسجام ، تبين كيف ينبثق ويتطور ، من نمط معين من الحياة الاجتماعية ، ومن جراء نمو القوى المنتجة ، نمط آخر ، ارفع ، ـ كيف تولد الرأسمالية من الاقطاعية ، مثلا .

وكما ان معرفة الانسان تعكس الطبيعة القائمة بصورة مستقلة عنه ، اي المادة في طريق التطور ، كذلك تعكس **معرفة** الانسان **الاجتماعية** (اي مختلف الآراء والمذاهب الفلسفية والدينية والسياسية ، الخ.) **نظام** المجتمع **الاقتصادي** . ان المؤسسات السياسية تقوم كبناء فوقي على اساس اقتصادي . فاننا نرى ، مثلا ، كيف ان مختلف الاشكال السياسية للدول الاوروبية العصرية هي ادوات لتعزيز سيطرة البرجوازية على البروليتاريا .

ان فلسفة ماركس هي مادية فلسفية كاملة ، اعطت الانسانية ، والطبقة العاملة بخاصة ، ادوات جبارة للمعرفة .

٢

بعدما لاحظ ماركس ان النظام الاقتصادي يشكل الاساس الذي يقوم عليه البناء الفوقي السياسي ، اعار انتباهه اكثر ما اعاره لدراسة هذا النظام الاقتصادي . ومؤلف ماركس الرئيسي «رأس المال» مكرّس لدراسة النظام الاقتصادي في المجتمع الحديث ، اي المجتمع الرأسمالي .

لقد تكون الاقتصاد السياسي الكلاسيكي ما قبل ماركس في انجلترا ، وكانت اكثر البلدان الرأسمالية تطورا . فقد درس آدام سميث ودافيد ريكاردو النظام الاقتصادي فسجلا بداية **نظرية القيمة-العمل** . وواصل ماركس عملهما . فأعطى هذه النظرية اساسا علميا خالصا وطورها بصورة منسجمة . وبين ان قيمة كل بضاعة مشروطة بوقت العمل الضروري اجتماعيا لانتاج هذه البضاعة .

وحيث كان الاقتصاديون البرجوازيون يرون علاقات بين الاشياء (مبادلة بضاعة ببضاعة اخرى) ، اكتشف ماركس **علاقات بين الناس** . ان تبادل البضائع يعبر عن الصلة القائمة ، بوساطة السوق ، بين

المنتجـــين المنفردين . **والمال (النقد)** يعني ان هذه الصلة تزداد وثوقا ، جامعة في كل واحد لا يتجزأ كل حياة المنتجين المنفردين الاقتصاديـــة . **والراسمال** يعني استمرار تطور هذه الصلة : فان قوة عمل الانسان تغدو بضاعة . فالاجير يبيع قوة عمله لمالك الارض ولصاحب المصنع وادوات الانتاج . والعامل يستخدم قسما من يوم العمل لتغطية نفقات اعالته واعالـــة اسرتـــه (الاجرة) ؛ ويستخدم القسم الآخر للشغل مجانا ، خالقا للرأسمالي **القيمـــة الزائدة** ، التي هي مصدر ربح ، مصدر اثراء للطبقة الرأسمالية .

ان نظرية القيمة الزائدة تشكل حجر الزاوية في نظرية ماركس الاقتصادية .

ان الرأسمال الذي يخلقه عمل العامل ينيخ بثقله على العامل ، ويخرب صغار اربـــاب العمل ، وينشىء جيشا من العاطلين عن العمل . وانتصار الانتاج الضخم في الصناعة امر ظاهر من النظرة الاولى ؛ ولكننا لنلاحظ ظاهرة مماثلة في الزراعة ايضا : فان تفوق الاستثمار الزراعي الرأسمالي الضخم واستخدام الآلات يزدادان ، والاستثمارات الفلاحية تقع في ربقة الرأسمال النقدي وتنحط ويحل بهـــا الخراب تحت وطأة تكنيكهـــا المتأخر . ان اشكال هذا الانحطاط في الانتاج الصغير تختلف في الزراعة عنها في الصناعة ، ولكن الانحطاط نفسه واقع لا جدال فيه .

ان الرأسمال ، اذ يتغلب على الانتاج الصغير . يؤدي الى زيادة انتاجية العمل والى خلق وضع احتكاري في صالح جمعيات الرأسماليين الكبار . وصفة الانتاج الاجتماعية تزداد بروزا يوما بعد يوم . مئات الآلاف والملايين من العمال يُجمعون في هيئـــة اقتصاديـــة متناسقة ، بينما قبضة من الرأسماليين تستملكَ نتاج العمل المشترك . وتشتد فوضى الانتاج ، والازمات والركض المجنون وراء الاسواق ، وعدم ضمان العيش لسواد السكان .

ان النظام الرأسمالي يزيد من تبعية العمال ازاء الرأسمال ويخلق في الوقت نفسه قدرة العمل الموحد الكبيرة .

لقد تتبع ماركس تطور الرأسمالية منذ عناصر الاقتصاد البضاعي الاوليـــة ، التبادل البسيط ، حتى اشكالها العليا ، الانتاج الكبير .

وان تجربة جميع البلدان الرأسمالية ، القديمة منها والجديدة ، تبين بوضوح ، وسنة بعد سنـــة ، صحـــة مذهب ماركس هذا لعدد متزايـــد ابدا من العمال .

لقد انتصرت الرأسمالية في العالم بأسره ، ولكن هذا الانتصار ليس سوى المقدمة لانتصار العمل على الرأسمال .

٣

عندما دُك النظام الاقطاعي ، ورأى المجتمع الرأسمالي «**الحر**» النور ، تبين فورا ان هذه الحرية تعني نظاما جديدا لاضطهاد الشغيلة واستثمارهم . وفورا اخذت تنبثق شتى المذاهب الاشتراكية ، انعكاسا لهذا الاضطهاد واحتجاجا عليه . ولكن الاشتراكية البدائية كانت اشتراكية **طوبوية** . فقد كانت تنتقد المجتمع الرأسمالي ، وتشجبه ، وتلعنه ؛ وتحلم بازالته وتتخيل نظاما افضل ؛ وتسعى الى اقناع الاغنياء بان الاستثمار مناف للاخلاق .

ولكن الاشتراكية الطوبوية لم تكن بقادرة على الاشارة الى مخرج حقيقي . ولم تكن لتعرف كيف تفسر طبيعة العبودية المأجورة في ظل النظام الرأسمالي ، ولا كيف تكتشف قوانين تطور الرأسمالية . ولا كيف تجد **القوة الاجتماعية** القادرة على ان تصير خالقة المجتمع الجديد .

غير ان الثورات العاصفة التي رافقت سقوط الاقطاعية ، القنانة ، في كل مكان من اوروبا وخاصة في فرنسا ، بينت بوضوح متزايد على الدوام ان **النضال الطبقي** هو اساس كل التطور وقوته المحركة .

فما من حرية سياسية تم انتزاعها من طبقة الاقطاعيين دون مقاومة يائسة . وما من بلد رأسمالي

قام على اساس حر ، ديموقراطي ، الى هذا الحد او ذاك ، دون نضال حتى الموت بين مختلف طبقات المجتمع الرأسمالي .

ومن عبقرية ماركس ، انه كان اول من استخلص هذا الاستنتاج الذي ينطوي عليه التاريخ العالمي وطبقه بصورة منسجمة الى النهاية . وهذا الاستنتاج هو مذهب **النضال الطبقي** .

لقد كان الناس وسيظلون ابدا ، في حقل السياسة ، اناسا سذجا يخدعهم الآخرون ويخدعون انفسهم ، ما لم يتعلموا استشفاف **مصالح** هذه الطبقات او تلك وراء التعابير والبيانات والوعود الاخلاقية والدينية والسياسية والاجتماعية . فان انصار الاصلاحات والتحسينات سيكونون ابدا عرضة لخداع المدافعين عن الاوضاع القديمة طالما لم يدركوا ان قوى هذه الطبقات السائدة او تلك تدعم كل مؤسسة قديمة مهما ظهر فيها من بربرية واهتراء . فلكي نسحق مقاومة هذه الطبقات ليس ثمة **سوى** وسيلة **واحدة** هي ان نجد في نفس المجتمع الذي يحيط بنا القوى التي تستطيع – **وينبغي** عليها بحكم وضعها الاجتماعي – ان تغدو القوة القادرة على تكنيس القديم وخلق الجديد ثم ان نثقف هذه القوى وننظمها للنضال .

فقط مادية ماركس الفلسفية بينت للبروليتاريا الطريق الواجب سلوكه للخروج من العبودية الفكرية التي كانت تتخبط فيها حتى ذاك جميع الطبقات المظلومة . فقط نظرية ماركس الاقتصادية اوضحت وضع البروليتاريا الحقيقي في مجمل النظام الرأسمالي .

ان المنظمات البروليتارية المستقلة تتكاثر في العالم بأسره من امريكا الى اليابان ومن اسوج الى افريقيا الجنوبية . والبروليتاريا تتعلم وتتربى في غمرة نضالها الطبقي وتتحرر من اوهام المجتمع البرجوازي وتزداد تلاحما على الدوام وتتعلم كيف تقدر نجاحاتها حق قدرها وتوطد قواها وتنمو بشكل لا مرد له .

«بروسفيشينيه»، العدد ٣ ، آذار (مارس) ١٩١٣ . التوقيع : ف . إ .

لينين - المؤلفات ، الطبعة الروسية الخامسة ، المجلد ٢٣ ، ص ص ٤٠–٤٨

ملاحظات انتقادية حول مسألة القوميات

(مقتطف)

ان شعار الثقافة القومية هو خداع برجوازي (وهو غالبا ما يكون ايضا خداعا اكليريكيا وعلى طريقة المئة السود (٣)) . اما شعارنا نحن ، فهو

الثقافة الاممية ، ثقافة النزعة الديموقراطية والحركة العمالية العالمية .

وبهذا الصدد يشن عليّ السيد ليبمن ، من جماعة البوند (٤) ، حملة هوجاء ويقذفني بهذه القنبلة القاتلة :

«ان من يلم بالمسالة القومية ولو الماما طفيفا يعرف ان الثقافة الاممية ليست بثقافة لاقومية (ثقافة بدون شكل قومي) ، فالقول بثقافة لاقومية ينبغي لهـــا الا تكون لا روسية ، ولا يهودية ، ولا بولونية ، بل ثقافة خالصة ، انما هو قول باطل ، لا معنى له . ان الافكار الاممية على وجه الدقة لا يمكنها ان تصبح قريبة من الطبقة العاملة الا اذا تكيفت وفقا للغة التي يتكلم بها العامل ووفقا للاوضاع القومية الملموسة التي يعيش فيها ؛ اذ ينبغي الا يقف العامل موقف اللامبالاة من وضع ثقافته القومية وتطورها ، لانه بواسطتها ، وبواسطتها وحدها دون غيرها ، ينفسح امامه مجال الاشتراك في «الثقافة الاممية ، ثقافـــة النزعـــة الديموقراطية والحركة العمالية العالمية» . وهذه حقيقة معروفة منذ زمن بعيد ، ولكن السيد ف . إ . يتجاهلها تماما ...»

فكروا جيدا بهذه المحاكمة التي يمتاز بها البونديون ، والتي يقصد منها ، كما ترون ، تقويض

الموضوعة الماركسية التي عرضتها انا . فان صاحبنا البوندي يظهر نفسه بمظهر الرجل الذي يثق من نفسه كل الثقة و«يلم بالمسألة القومية» ولكنه يعرض علينا مفاهيم برجوازية عادية زاعما انها حقائق «معروفة منذ زمن بعيد» .

وبالفعل ، ليست الثقافة الاممية ثقافة لاقومية ، يا عزيزي البوندي ، وما من احد زعم هذا الزعم . وما من احد تحدث عن الثقافة «الخالصة» ، سواء أكانت بولونية ، ام يهودية ، ام روسية ، ام غير ذلك ، ولذا كان رصفك الكلمات الجوفاء مجرد محاولة لصرف انتباه القارئ وطمس المحتوى وراء جعجعة لا طائل تحتها .

ان **كل** ثقافة قومية تحتوي **عناصر** ، وان غير متطورة ، من ثقافة ديموقراطية واشتراكية لأنه يوجد في **كل** امة جمهور كادح مستثمَر ، تولّد ظروفه الحياتية بالضرورة افكارا ديموقراطية واشتراكية . ولكنه توجد ايضا في **كل** امة ثقافة برجوازية (غالبا ما تكون اكليريكية ومغرقة في الرجعية) ، لا تبدو بشكل «عناصر» وحسب ، بل بشكل ثقافة **سائدة** . ولذا فان «الثقافة القومية» بوجه عام ، **هي** ثقافة الملاكين العقاريين ، ورجال الدين ، والبرجوازية . وهذه الحقيقة الاساسية ، الاولية بنظر الماركسيين ، انما اهملها صاحبنا

البوندي و«اغرقها» في كلامه المرصوف اي انه في الواقع لم يفعل الا تعمية الهوة الطبقية امام القارئ **بدلا** من ان يسلط النور على واقع وجودها ويوضح اسبابها . وهكذا برز صاحبنا البوندي **في الواقع** برجوازيا تتطلب مصلحته كلها نشر الايمان بثقافة قومية لا طبقية .

اما نحن ، فاننا اذ نضع شعار «الثقافة الاممية ، ثقافة النزعة الديموقراطية والحركة العمالية العالمية» ، انما نستخلص **من كل** ثقافة قومية **مجرد** عناصرها الديموقراطية والاشتراكية ، ونستخلصها **بوجه الحصر واطلاقا** ، لمعارضة الثقافة البرجوازية ، لمعارضة التعصب القومي البرجوازي في **كل** امة من الامم .

كتب في تشرين الاول – كانون الاول (اكتوبر – ديسمبر) ١٩١٣ .

صدر في تشرين الثاني – كانون الاول (نوفمبر – ديسمبر) ١٩١٣ في مجلة «بروسفيشينيه» («التنوير»)، الاعداد ١٠ و١١ و١٢ .

التوقيع : **ف . ايليين**

لينين . المؤلفات ، الطبعة الروسية الخامسة ، المجلد ٢٤ ، ص ١٢٠–١٢١

بصدد كرامة الروس القومية

ما اكثر مـا يتكلمون اليوم ومـا يتباحثون ويصيحـون بصدد القوميـة والوطن ! الـوزراء الليبراليون والراديكاليون في انجلترا ، وجمهرة من الكتـاب السياسيين الفرنسيين «الراقين» (الذيـن ظهروا على وفاق تام مع كتاب الرجعية السياسيين) ، وكثرة من الكتبة الرسميين والكاديت (٥) والتقدميين (وحتى بعض من الشعبيين (٦) و «الماركسيين») في روسيا يتغنون جميعهم بالف لحن ولحن بحرية «الوطن» واستقلاله وبعظمة مبدأ الاستقلال الوطني ، حتى غدا من العسير على المرء ان يميز في هذه الجوقة الحد الفاصل بين المأجور الذي يكيل آيات الثناء للجلاد نيقولاي رومانوف او لمعذبي الزنوج وسكان الهند وبين الاخرق الضيق الافق الذي يسبح مع «التيار» لبلاهته او لضعف نفسه . وليس ما يدعو للتمييز بين هذا او ذاك . فامامنا تيار فكري واسع جدا وعميق جدا ، جذوره على صلة وثقى بمصالح السادة ملاكي الاراضـي والرأسماليين في الامم المسيطرة في الدولة الكبيرة . وتنفق على الدعاية للافكار الملائمة لمصالح هاتين الطبقتين عشرات ، بل مئات الملايين في السنة : وهي طاحونة كبيرة تتلقى الماء من كل ناحيـة ، ابتداء من الشوفيني

عن ايمان منشيكوف وانتهـــاء بالشوفينيين عن انتهازية او عن خور في النفس بليخانوف وماسلوف وروبانوفيتش وسميرنوف وكروبوتكين وبورتسيف .

فلنحاول نحن ايضا ، الاشتراكيين-الديموقراطيين الروس ، تحديد موقفنا من هذا التيار الفكري . لا يليق بنا نحن ممثلي الامة المسيطرة في الدولة باقصى شرق اوروبا وشطر كبير من آسيا ان ننسى مبلغ اهمية المسألة القومية لا سيما في بلاد توصف بحق بانهـــا «سجن الشعوب» ؛ وفي وقت بدأت فيـــه الرأسمالية توقظ للحياة وللادراك ، على وجه الدقة في اقصى شرق اوروبا وفي آسيا ، جملة من الامم «الجديدة» كبيرة وصغيرة ، وفي ظرف جندت فيه الملكية القيصرية الملايين من الروس وغير الروس بقصد «حل» جملة من المسائل القومية وفق مصالح مجلس النبــلاء المتحديـــن (٧) وغوتشكـــوف وكريستوفنيكـــوف ودولغوروكـــوف وكوتليـــر وروديتشيف واضرابهم .

ونحن ، البروليتاريين الروس الواعين ، هل نحن بـــراء من شعور الكرامـة القوميـــة ؟ كلا ، بالطبع ! نحن نحب لغتنا ، ونحب وطننا ، ونحن نبذل قصارى جهودنا لكي ننهض بجماهير شغيلته (اي بتسعة اعشار سكانه **هو**) الى مستوى حيـــاة الديموقراطيين والاشتراكيين الواعية . ونحن لا نشعر

بألم كالألم الذي يحز في قلوبنا عندما نرى ونحس ما يكابده وطننا الجميل على ايدي الجلادين خدم القيصر ، الاعيان والرأسماليين ، من الوان العنف والظلم والخسف . ونحن نعتز ايما اعتزاز اذ نرى هذا العنف قد لاقى المقاومة من بيئتنا ، من بيئة الروس ، اذ نرى **هذه** البيئة قد ابرزت راديشيف والديسمبريين (٨) والثوريين اللانبلاء (٩) ممثلي مختلف الفئات الاجتماعية في العقد الثامن ، واذ نرى الطبقة العاملة الروسية قد اسست ، سنة ١٩٠٥ ، حزبا جماهيريا ثوريا قويا وان الموجيك الروسي قد بدأ في الوقت نفسه يصبح ديموقراطيا ، بدأ يزيح عن اكتافه الكاهن والاقطاعي .

نحن ما نزال نذكر ان الديموقراطي الروسي تشيرنيشيفسكي قد قال منذ نصف قرن مضى ، عندما وهب حياته لقضية الثورة : «امة وضيعة ، امة عبيد ، الجميع عبيد من اعلى الى اسفل» (١٠) . ان العبيد الروس السافرين والمحجبين (عبيد حيال الملكية القيصرية) لا يروقهم ان يتذكروا هذه الكلمات . على ان هذه الكلمات هي ، في رأينا ، كلمات حب صادق للوطن ، حب اصابه السأم من جراء انعدام الروح الثورية بين جماهير السكان الروس . كانت هذه الروح معدومة آنذاك . وهي اليوم ضعيفة ، ولكنها موجودة . ونحن مفعمون بالكرامة القومية ، لان الامة الروسية قد انشأت هي **ايضا** طبقة ثورية ، قد

برهنت هي **ايضا** انها تستطيع ان تقدم للبشرية ، عدا المذابح العظمى وصفوف المشانق والسجون والمجاعات الكبرى والخنوع العظيم امام القسس والقياصرة والاقطاعيين والرأسماليين ، آيات رائعة في النضال من اجل الحرية والاشتراكية .

نحن مفعمون بالكرامة القومية . ولذلك بالذات نمقت **اشد** المقت خنوعنا **نحن** الماضي (عندما ساق الاعيان الاقطاعيون الموجيك الى الحرب بغية خنق حرية هنغاريا وبولونيا وايران والصين) ونمقت اشد المقت خنوعنا الحاضر ، عندما يقوم الاقطاعيون انفسهم ، يساعدهم الرأسماليون ، ويسوقوننا الى الحرب كي نخنق بولونيا واوكرانيا ، وكي نقمع الحركة الديموقراطية في ايران والصين وكي نقوي الزمرة التي تهين كرامتنا القومية الروسية ، زمرة رومانوف وبوبرينسكي وبوريشكيفيتش واضرابهم . لا يلام العبد اذا ولد عبدا ؛ غير ان العبد الذي يبرأ من النزوع الى الحرية ، ويبرر عبوديته فضلا عن ذلك ويزينها (يسمي مثلا خنق بولونيا واوكرانيا ، الخ .، «دفاعا عن وطن» الروس) ، ان مثل هذا العبد هو نذل ووضيع يستدعي بحق شعور السخط والاحتقار والاشمئزاز .

«ان شعبا يظلم شعوبا اخرى لا يمكن ان يكون حرا» (١١) — هذا ما قاله رجلان هما اكبر ممثلي

الديموقراطية المستقيمة في القرن التاسع عشر ، نعني ماركس وانجلس اللذين اصبحا معلمي البروليتاريا الثورية . ونحن ، العمال الروس المفعمين بشعور الكرامة القومية ، نريد ، مهما كلف الامر ، روسيا عزيزة ، جمهورية ، ديموقراطية ، مستقلة ، حرة تبنى علاقاتها مع جيرانها على اساس المبدأ الانساني مبدأ المساواة ، لا على اساس مبدأ الامتيازات الاقطاعي المهين لامة عظمى . ونظرا لاننا نريدها نقول : في اوروبا القرن العشرين (وحتى في اقصى شرق اوروبا) لا يمكن «الدفاع عن الوطن» الا عن طريق النضال بجميع الوسائل الثورية ضد الملكية والاقطاعيين والرأسماليين في وطننا **نحن** ، اي ضد **الد** اعداء وطننا ؛ لا يمكن للروس ان «يدافعوا عن الوطن» عن غير طريق الرغبة بانهزام القيصرية في كل حرب ، باعتبار ذلك اهون الشرين لتسعة اعشار سكان روسيا العظمى ، لان القيصرية لا تظلم تسعة اعشار السكان هذه اقتصاديا وسياسيا وحسب ، بل هي تفسدهم وتحقرهم وتفقدهم عزتهم وكرامتهم ، اذ تعودهم على ظلم الشعوب الاخرى وتغطية عارهم بعبارات نفاق يزعم ان منشأها الغيرة على الوطن .

قد يعترض معترض قائلا انه عدا القيصرية قد نشأت وتعززت في كنف القيصرية قوة تاريخية اخرى هي الرأسمالية الروسية التي تقوم بعمل تقدمي وتركز

وترص ، من الناحية الاقتصادية ، مقاطعات شاسعة .
غير ان مثل هذا الاعتراض لا يدحض ، بل يشدد الاتهام الموجه لاشتراكيينا الشوفينيين الذين ينبغي ان ينعتوا بالاشتراكيين القيصريين — البوريشكيفيتشيين (على غرار ما فعل ماركس اذ نعت اللاساليين بالاشتراكيين الملكيين — البروسيين (١٢)) . فلنفترض ان التاريخ سيقرر المسألة لصالح رأسمالية الامة الروسية المسيطرة في الدولة ، ضد مئة امة وامة من الامم الصغيرة . وهذا ليس بالامر المستحيل ، لان تاريخ رأس المال باكمله هو تاريخ العنف والنهب ، تاريخ الدماء والاقذار . ونحن لسنا قط من انصار الامم الصغيرة على التأكيد ؛ ونحن ، **في حالة تساوي الشروط الاخرى** ، نقف بصورة قاطعة الى جانب المركزية ضد المثل الاعلى لصغار البرجوازيين القائل بالعلاقات الاتحادية . ولكن ، اولا ، ليس من شأننا حتى في هذه الحالة ، ليس من شأن الديموقراطيين (فضلا عن الاشتراكيين) ان يساعدوا رومانوف — بوبرينسكي — بوريشكيفيتش على خنق اوكرانيا ، الخ .. لقد قام بيسمارك على طريقته ، على طريقة اليونكر (١٣) ، بعمل تاريخي تقدمي ؛ ولكن ما اروع « الماركسي » الذي يفكر استنادا الى ذلك بتبرير مساعدة الاشتراكيين لبيسمارك ! ولا يجب ان يغيب عنا ان بيسمارك قد مهد للتطور الاقتصادي بتوحيده

الالمان المبعثرين المظلومين من قبل الشعوب الاخرى .
هذا في حين ان ازدهار روسيا العظمى الاقتصـــادي وتطورها السريع يتطلبان تخليص البلاد من طغيان الروس على الشعوب الاخرى ، وهذا هو الفرق الذي ينساه الروس المغرمون باشباه بيسمارك الروس .

ثانيا ، واذا ما قرر التاريخ المسألة لصالح رأسمالية الامة الروسية المسيطرة في الدولة ، يستنتج من ذلك ان الدور **الاشتراكي** للبروليتاريا الروسيـــة سيكون اكبر باعتبارهـــا المحـــرك الرئيسي للثورة الشيوعية التي تنشـــأ عن الرأسماليـــة . والثورة البروليتارية تتطلب تربية العمال خلال فترة طويلة بروح الاخاء والمساواة **التامة** بين الامم . وعلى ذلك فمن الضروري ، من وجهة نظر مصالح البروليتاريا الروسية ذاتها ، تربية الجماهير خلال فترة طويلة بروح الدفاع بمنتهى الحزم والاستقامـــة والجرأة والروح الثورية عن المساواة التامة وعن حق الامم التي يظلمها الروس في تقرير المصير . ان مصلحة كرامة الروس القومية تتفق (ان لم تفهم كما يفهمها العبيد) ومصالح البروليتاريين الروس (والبروليتاريين من غير الروس) **الاشتراكية** . ان قدوتنا ما تزال ماركس الذي عاش عشرات السنين في انجلترا واصبح نصف انجليزي وطلب الحريـــة والاستقلال الوطني لارلندا وفق مصالح حركة العمال الانجليز الاشتراكية .

ان اشتراكيينا الشوفينيين الذين ترعرعوا على تربتنا ، بليخانوف ومن على شاكلته واضرابه ، يظهرون في الحالة الافتراضية الاخيرة التي بحثناها خونة لا لوطنهم وحسب ، لروسيا العظمى الديموقراطية الحرة ، انما يظهرون ايضا خونة للاخاء البروليتاري بين جميع شعوب روسيا ، اي خونة لقضية الاشتراكية .

«سوسيال – ديموقراط» ، العدد ٣٥ ، ١٢ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٩١٤

لينين . المؤلفات ، الطبعة الروسية الخامسة ، المجلد ٢٦ ، ص ص ١٠٦–١١٠

تقرير حول اعادة النظر في البرنامج وتغيير تسمية الحزب في المؤتمر الاستثنائي السابع للحزب الشيوعي الروسي (البلشفي)

٨ آذار (مارس) ١٩١٨

(مقتطف)

وأيا كانت مصائر ثورتنا وفصيلتنا ، فصيلة الجيش البروليتاري الاممي ، وأيا كانت التطورات اللاحقة للثورة ، فان الوضع الموضوعي للدول

الامبريالية التي انغمست في هذه الحـــرب (١٤) ودفعت اكثر البلدان تقدما الى براثن المجاعـــة والخراب والتوحش ، هو ، في كل حال ، وموضوعيا ، وضع لا مخرج منه . وهنا يجب ان نردد ما قاله فريدريك انجلس منذ ٣٠ سنة ، في عام ١٨٨٧ ، حين قدر احتمال نشوب حرب اوروبية . فقد قال ان التيجان ستتدحرج بالعشرات فوق تراب اوروبا ولا تجد من يريد ان يلمها ؛ وقال ان خرابا رهيبا سيحل بالبلدان الاوروبية ، وان النتيجة الاخيرة لويلات الحرب الاوروبية لن تكون سوى النتيجة التالية ، فقد قال : «إما انتصار الطبقة العاملة ، واما توافر الظروف التي تجعل هذا الانتصار ممكنا وضروريا» (١٥) . وكان انجلس يعرب عن رأيه حول هذا الموضوع بدقة بالغة وباحتراس خارق . وخلافا لأولئك الذين يشوهون الماركسية ويقدمون لنا تلفيقات متأخرة تزعم أنه لا يمكن للاشتراكية أن تقوم على الخراب ، ادرك انجلس بروعة ان الحرب ، كل حرب ، حتى في اي مجتمع متقدم ، لن تقتصر على نشر الخـــراب والتـــوحش ، والآلام ، والمصائب بين الجماهير التي تغص وتختنق بدمائها . وانه لا يمكن التاكيد انها ستؤول حتما الى انتصار الاشتراكية ، ولذا قال ان عاقبتها ستكون : «اما

انتصار الطبقة العاملة ، واما توافر الظروف التي تجعل هذا الانتصار ممكنا وضروريا» ؛ اي ، بتعبير آخر ، من الممكن ان تقع ايضا عدة مراحل انتقالية مضنية تصحبها تدميرات كاسحة للقيم الثقافية ولوسائل الانتاج ، ولكنه لا بد للحرب ان تؤدي الى نهوض طليعة الجماهير الكادحة ، الى نهوض الطبقة العاملة ، والانتقال الى وضع تأخذ فيه الطبقة العاملة زمام السلطة لكي تبني المجتمع الاشتراكي . لأنه لا يمكن شطب القيم الثقافية من الحياة التاريخية ، مهما اشتد تدميرها . سيكون من الصعب اعادتها ، ولكن اي تدمير لن يبيدها ابدا ابادة تامة . ان هذه الحضارة ، في هذا او ذاك من اجزائها ، في هذه او تلك من بقاياها المادية ، راسخة يستحيل القضاء عليها ؛ اما وجه الصعوبة ، ففي اعادتها فقط .

صدر عام ١٩٢٣ في كتاب «المؤتمر السابع للحزب الشيوعي الروسي . المحضر الاختزالي . ٦-٨ آذار (مارس) ١٩١٨»

لينين . المؤلفات ، الطبعة الروسية الخامسة ، المجلد ٣٦ ، ص ص ٤٥-٤٦

الصيغة الاولى لمقال :
«المهام المباشرة امام السلطة السوفييتية»

(مقتطف)

الفصل الخامس

ان مهمة ادارة الدولة ، التي برزت الآن في المرتبة الاولى امام السلطة السوفييتية ، تتصف ايضا بخاصة ان الكلام يتناول الآن – ولربما للمرة الاولى في تاريخ الشعوب المتمدنة الحديث – ادارة ليست السياسة بل الاقتصاد هو الذي يكتسب فيها الاولوية . وعادة يربطون بكلمة «ادارة» النشاط السياسي على الغالب ، او حتى النشاط السياسي الصرف ، على وجه الدقة وفي المقام الاول . والحال ، تتسم السلطة السوفييتية من حيث اسسها بالذات ، من حيث جوهرها بالذات وكذلك يتسم الانتقال من المجتمع الرأسمالي الى المجتمع الاشتراكي من حيث جوهره بالذات ، بكون المهام السياسية تخضع للمهام الاقتصادية . والآن ، وخاصة بعد التجربة العملية خلال اربعة اشهر ونيف من وجود السلطة السوفييتية في روسيا ، يجب ان يكون واضحا تماما لنا ان مهمة ادارة الدولة تنحصر الآن قبل كل شيء وبالدرجة الاولى في المهمة الاقتصادية الصرف القاضية

بشفاء البلاد من الجراح التي الحقتها بها الحرب ، وبعث القوى المنتجة ، وضبط الحساب والرقابة على انتاج وتوزيع المنتجات ، وزيادة انتاجية العمل ، — اي انها ، بكلمة ، تنحصر في مهمـــة اعادة تنظيم الاقتصاد .

يمكن القول ان هذه المهمة تنقسم الى بابين رئيسيين : ١ — الحساب والرقابة على انتاج وتوزيع المنتجات ، بأوسع وأعم واشمل اشكال هذا الحساب وهذه الرقابة و٢ — زيادة انتاجية العمل . وهاتان المهمتان لا يمكن ان تقوم بهما اي جماعة كانت او اي دولة كانت تنتقل الى الاشتراكية ، الا اذا كانت الرأسمالية قد خلقت بدرجة كافية المقدمات الاساسية لهذا ، الاقتصادية منها والاجتماعية والثقافيـــة والسياسية . فبدون الانتاج الآلي الكبير ، بدون شبكة متطورة الى هذا الحد او ذاك من السكك الحديدية والمواصلات البريدية والبرقية ، بدون شبكة متطورة الى هذا الحد او ذاك من مؤسسات التعليم العام ، — لا يمكن ، بكل تأكيد ، لا تنفيذ المهمة الاولى ولا تنفيذ المهمة الاخرى ، بصورة دائبة منتظمة وعلى صعيد الشعب كله . ان روسيا تجد نفسها في وضع تتوفر فيه جملة كاملة من المقدمات الاولية لمثل هذا الانتقال . ومن جهة اخرى ، لا تتوفر في بلادنا جملة كاملة من هذه المقدمات ، ولكن في وسعها ان تستمدها

بسهولة نسبية من التجربة العملية التي مرت بهـــا بلدان مجاورة ، اكثر تقدما بكثير وربطها التاريخ وربطتها العلاقات الدولية من زمان بروسيا ربطا محكما .

املیٔ فيمـــا بين ٢٣ و٢٨ آذار (مـــارس) ١٩١٨ صدر للمـــرة الاولى في ١٩٦٢ في الطبعة الخامسة من مؤلفات لينين ، المجلد ٣٦

لينين . المؤلفات ، الطبعة الروسية الخامسة ، المجلد ٣٦ ، ص ص ١٣٠-١٣١

تقرير عن موقف البروليتاريا من الديموقراطية البرجوازية الصغيرة في اجتماع المناضلين الحزبيين في موسكو

٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨

(مقتطف)

نحن نعرف انه لا يمكن بناء الاشتراكية الا من عناصر ثقافة الرأسمالية الكبيرة ، والمثقفون عنصر من هذا النوع . واذا كان قد تأتى لنا ان نحاربهم بلا رحمة ، فليست الشيوعية هي التي اجبرتنا على ذلك ، بل مجـرى الاحداث الذي أبعد عنّـــا جميـــع

«الديموقراطيين» وجميع عشاق الديموقراطية البرجوازية . اما الآن فقد ظهرت امكانية الاستفادة من هؤلاء المثقفين في صالح الاشتراكية ، هؤلاء المثقفين الذين ليسوا اشتراكيي الميل ولن يكونوا ابدا شيوعيي الميل ، ولكن الذين يحملهم الآن سير الاحداث والعلاقات الموضوعي على التزام موقف الحياد ازاءنا موقف الجار من الجار . واننا لن نستند ابدا الى المثقفين ، بل سنستند فقط الى طليعة البروليتاريا التي تجر وراءها جميع البروليتاريين وجميع الفلاحين الفقراء . ولا يمكن أن يكون لحزب الشيوعيين سند آخر . ولكن الاستناد الى طبقة تمثل الديكتاتورية شيء ، والسيادة على الطبقات الاخرى شيء آخر .

انتم تذكرون ان انجلس قد قال حتى بصدد اولئك الفلاحين الذين يستغلون العمل المأجور : ربما لن يكون داع الى مصادرة املاكهم جميعهم (١٦) . اننا نصادر الاملاك بموجب قاعدة عامة ، وليس عندنا كولاك في السوفييتات . فنحن نضغط على الكولاكي ، ونقمعه جسديا عندما يتسرب الى السوفييت ويحاول ان يخنق فيه الفلاح الفقير . وانتم ترون كيف تتحقق هنا سيادة طبقة واحدة . البروليتاريا وحدها تستطيع ان تسود . ولكن هذا يطبق بحق الفلاح الصغير بطريقة ، وبطريقة اخرى بحق الفلاح

المتوسط ، وبطريقة ثالثة بحق الملاك العقاري وبطريقة رابعة بحق البرجوازي الصغير . ان المهمة كلها تقوم في انه يترتب علينا ان نفهم هذا الانعطاف الذي نجم عن الظروف الدولية ، ان نفهم حتمية الامر التالي وهو انه يجب بالضرورة تغيير الشعارات التي اعتدناها في نصف السنة المنصرمة من تاريخ الثورة ، ما دام الحديث يدور حول الديموقراطية البرجوازية الصغيرة . يجب علينا ان نقول : سنترك السلطة للطبقة ذاتها . لقد كان شعارنا حيال الديموقراطية البرجوازية الصغيرة هو التفاهم ولكنهم اجبرونا على اللجوء الى الارهاب . فاذا كنتم موافقين حقا وفعلا على العيش في علاقات حسن جوار معنا ، فاسعوا جهدكم لتنفيذ هذه او تلك من المهام ، ايها السادة التعاونيون والمثقفون . اما اذا لم تنفذوا ، فانكم ستكونون مخالفين للقانون ، ستكونون اعداءنا ، وسنحاربكم . واذا اقمتم علاقات حسن الجوار ونفذتم هذه المهام ، فان هذا يكفينا ويفيض علينا . ان سندنا مكين . ونحن لم يخامرنا الشك يوما في ميوعتكم ورخاوتكم . اما اننا بحاجة اليكم ، فهذا ما لا ننكره ، لأنكم كنتم العنصر المثقف الوحيد .

ولو كان تأتى لنا ان نبني الاشتراكية من غير العناصر التي تركتها لنا الرأسمالية ارثا ، لكانت المهمة يسيرة . ولكن صعوبة البناء الاشتراكي تكمن

على وجه الدقة في انه يتأتى لنا ان نبني الاشتراكية من عناصر افسدتها الرأسمالية كليا وتماما . وان صعوبة الانتقال تكمن على وجه الدقة في انه مرتبط بديكتاتورية لا يمكن ان يقودها غير طبقة واحدة هي البروليتاريا . ومن هنا ينجم اننا نقول لانفسنا ان الخطة سترسمها البروليتاريا المدربة والمحولة الى قوة كفاحية قادرة على تحطيم البرجوازية . وبين البرجوازية والبروليتاريا يقوم عدد عديد من الدرجات الانتقالية ، وحيالها يجب ان تسير سياستنا في السبل التي ارتأيناها نظريا ، وفي وسعنا الآن ان نطبق هذه السياسة . وتواجهنا جملة كاملة من المهام ، جملة كاملة من الاتفاقات ومن المهام التكنيكية التي يجب علينا نحن السلطة البروليتارية السائدة ، ان نعرف كيف نعطيها . يجب علينا ان نعرف كيف نعطي الفلاح المتوسط مهمة واحدة ، مهمة مساعدتنا في التبادل التجاري ، في فضح الكولاكي ؛ وكيف نعطي التعاونيين مهمة اخرى : فهم يملكون جهازا لأجل توزيع المنتجات على صعيد جماهيرى ؛ وهذا الجهاز انما يجب علينا ان نأخذه لأنفسنا . اما المثقفون فيجب علينا ان نعطيهم مهمة مختلفة تماما ؛ فليس في طاقتهم مواصلة التخريب ، ومزاجهم على نحو بحيث انهم الآن يشغلون حيالنا **نحن** موقفا يتسم بحسن الجوار ولا احسن ، ولذا ينبغي لنا ان نأخذ

هؤلاء المثقفين وتعهد اليهم بمهام واضحة ، معينة ونراقب ونتثبت من تنفيذها ، ونعاملهم حسبما قال ماركس بصدد موظفي كومونة باريس : «كل رب عمل بمفرده يعرف كيف يختار لنفسه المعاونين الصالحين ، المحاسبين الصالحين ، ويعرف ، عندما يخطئون ، كيف يصلح اخطاءهم ، ويعرف ، اذا لم ينفعوا ، كيف يستعيض عنهم بجدد ، صالحين» (١٧) . ونحن نبني السلطة من عناصر تركتها لنا الرأسمالية . فنحن لا يسعنا ان نبني السلطة اذا لم نستخدم ارثا من الثقافة الرأسمالية كما هم عليه المثقفون . وفي وسعنا الآن ان نعامل البرجوازية الصغيرة معاملة جار طيب لنا يخضع لرقابة صارمة من جانب سلطة الدولة . وهنا يتعين على البروليتاريا الواعية ان تفهم ان السيادة لا تعني انه يترتب عليها ان تنفذ بنفسها جميع هذه المهام . وان من يفكرون هكذا لا يفهمون شيئا عن البناء الاشتراكي ولم يتعلموا شيئا خلال سنة من الثورة والديكتاتورية . ومن الافضل ان يمضي امثال هؤلاء السادة الى المدرسة وان يتعلموا فيها شيئا ما ؛ وان من يتعلم شيئا في الوقت المنصرم ، سيقول لنفسه : هؤلاء المثقفون سأستخدمهم الآن في البناء . ولهذا الغرض عندي سند كاف في صفوف الفلاحين . وينبغي لنا ان ندرك ان ذلك البناء الذي سيقود الى الاشتراكية لن تنتظم

احواله الا في سياق هذا النضال ، وفي جملـــة من الاتفاقات وتجارب الاتفاقـــات بين البروليتاريـــا والديموقراطية البرجوازية الصغيرة .

لنتذكر ان انجلس قال انه يجب علينا ان نؤثر بالمثال (١٨) . ولن يكون اي شكل نهائيا طالما لم تتحقق الشيوعية التامة . نحن لم ندّع باننا نعرف السبيل بدقة . ولكننا نسير نحو الشيوعية بلا مردّ ، بصورة محتمة لا ندحة عنها . وفي الوقت الحاضر يعطي كل اسبوع اكثر مما تعطيه عشرات السنين من زمن السلم . فان نصف السنة الذي عشناه منذ زمن صلح بريست (١٩) كان عهد تذبذبات وتقلبات ضدنا . ان الثورة الاوروبية الغربية مثال يشرع في الاقتداء بنا ولا بدّ له ان يقوينا . ينبغي لنا ان نأخذ بالحسبان التغيرات الطارئة ، ان نأخذ بالحسبان جميع العناصر ، دون ان نعلل نفوسنا باي وهـــم من الاوهـــام ، عارفين ان المتذبذبين يظلون متذبذبين طالما لم تنتصر الثورة الاشتراكية العالمية كليا . ان هذا قد لا يحدث في القريب العاجل ، رغم ان احداث الثورة الالمانية تبعث الأمل في ان يحدث هذا بأسرع مما يتوقع الكثيرون . فان الثورة الالمانية تتطور كما تطورت ثورتنا ، ولكن بوتيرة أسرع . ولكن المهمة التي تواجهنا هي ، على كل حال ، النضال المستميت ضد الامبرياليـــة الانجلو-اميركيـــة . فقد

شعرت هذه الامبرياليـــة ان البلشفية اصبحت قوة عالمية ، ولهذا السبب بالذات تحاول ان تخنقنا بأقصى السرعة ، رغبة منها في القضاء اولا على البلاشفة الروس ثم على بلاشفتها بالذات .

ينبغي لنا ان نستخدم تلك العناصر من المتذبذبين الذين تدفعهم وحشية الامبرياليين نحونا . وهذا ما سنفعله . وانتم تعرفون بروعة انه لا يجوز في الحرب اهمال اي مساعدة ، حتى وان جاءت بصورة غير مباشرة . بل ان وضع الطبقات المتذبذبة ذاته يتسم في زمن الحرب باهمية هائلة . وبقدر مـــا تتفاقم الحرب حدة ، يترتب علينا ان نكسب مزيدا من النفوذ على العناصر المتذبذبة التي تأتي الينا . ومن هنا ينجم ان التاكتيك الذي اتبعناه طيلة نصف سنة انما يجب تعديله وفق المهـــام الجديدة حيال مختلف فئـــات الديموقراطية البرجوازية الصغيرة .

واذا افلحت في لفت انتباه العاملين الحزبيين الى هذه المهمة وفي حثهم على التوصل ، عن سبيل التجربة الدائبة المنتظمة الى تنفيذها بصورة صحيحة ، فانه سيكون بوسعي ان اعتبر مهمتي قد نفّذت .

«البرافدا» ، العـدد ٢٦٤ والعدد ٢٦٥ من ٥ و٦ كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٨

لينين . المؤلفات ، الطبعة الروسية الخامسة ، المجلد ٣٧ ، ص ص ٢٢١–٢٢٤

تقرير عن سياسة مجلس مفوضي الشعب الخارجية والداخلية في جلسة سوفييت بتروغراد

١٢ آذار (مارس) ١٩١٩

(مقتطف)

قال الرفيق لينين ان بعضا من رفاقنا يغضبون

لأن خدم القيصر والضباط السابقين يقفون على رأس الجيش الاحمر . وطبيعي ان تكتسب هذه المسألة اهمية خاصة لدن تنظيم الجيش الاحمر ، وطرحها بصورة صحيحة يقرر نجاح تنظيم الجيش . يجب طرح مسألة الاختصاصيين على نطاق اوسع . ينبغي لنا ان نستفيد منهم في جميع ميادين البناء ، حيث لا نستطيع ان ندبر الامور بقوانا لأننا لا نملك خبرة الاختصاصيين البرجوازيين القدماء واعدادهم العلمي . نحن لسنا طوباويين يظنون بان قضية بناء روسيا الاشتراكية يمكن ان يقوم بها اناس ما جدد ، فنحن نستخدم المادة التي خلفها لنا العالم الرأسمالي القديم . والناس القدماء نضعهم في ظروف جديدة ، ونحيطهم برقابة مناسبة ، ونخضعهم لاشراف البروليتاريا اليقظ ، ونجبرهم على تنفيذ العمل اللازم لنا . هكذا فقط يمكن البناء . فاذا كنتم لا تستطيعون ان تبنوا

بناية من المادة التي خلفها لنا العالم البرجوازي ، فانكم لن تبنوها ابدا ، وانتم لستم شيوعيين بل منمقي جمل فارغة . فلأجل البناء الاشتراكي لا بدّ لنا من ان نستغل كليا العلم والتكنيك وعلى العموم كل ما خلفته لنا روسيا الرأسمالية . يقينا اننا سنواجه في هذا الطريق مصاعب جمّة . ولا مناص من الاخطاء . وفي كل مكان يوجد خونة ويوجد مخربون غدارون . هنا كان لا بدّ من العنف في المقام الاول . ولكنه ينبغي لنا ان نلجأ بعد العنف ، الى نفوذ البروليتاريا المعنوي ، الى التنظيم القوي والانضباط الشديد . ولا داعي اطلاقا الى نبذ الاختصاصيين المفيدين لنا . ولكنه ينبغي وضعهم في اطارات محددة توفر للبروليتاريا امكانية مراقبتهم . ينبغي تكليفهم بالاعمال ، ولكنه ينبغي في الوقت نفسه مراقبتهم بيقظة ، بتعيين المفوضين فوقهم وبقطع دابر مقاصدهم المعادية للثورة . وينبغي في الوقت نفسه أن نتعلم منهم . ولكن لا تنازل سياسيا لهؤلاء السادة ، مهما كان صغيرا ، ويجب الاستفادة من عملهم حيثما يمكن . وقد بلغنا ذلك جزئيا . فمن قمع الرأسماليين انتقلنا الى استخدامهم ، وهذا ، اغلب الظن ، اهم مكسب حصلنا عليه في سنة من البناء الداخلي .

ان مسألة الريف هي احدى المسائل الجدية في بنائنا الثقافي . فان السلطة السوفييتية تفترض اوسع التأييد من جانب الشغيلة لها . وفي هذا انحصرت

كل سياستنا حيال الريف في هذه الحقبة كلها . كان يترتب علينا ان نقيم صلة بين بروليتاريي المدن وفقراء الريف ، وهذا ما فعلناه . فالآن تقوم صلة في منتهى الوثوق بفضل آلاف الخيوط غير المرئية . وهنا ، كما في كل مكان ، نصطدم بمصاعب جمّة ، لأن الفلاحين اعتادوا ان يشعروا بانهم مالكون مستقلون . انهم اعتادوا ان يبيعوا حبوبهم بحرية ، وكان كل فلاح يعتبر ان هذا حق له يستحيل انتزاعه منه . والآن ينبغي القيام بعمل هائل من اجل اقناعهم نهائيا بانه لا يمكن التغلب على هذا الخراب الذي خلفته لنا الحرب الا بتنظيم الاقتصاد تنظيما شيوعيا . وهنا لم يعد ينبغي اللجوء الى العنف ، بل الى الاقناع فقط .

جريدة «سيفيرنايا كومونا» ، العدد ٥٨ ، ١٤ آذار (مارس) ١٩١٩

لينين . المؤلفات ، الطبعة الروسية الخامسة ، المجلد ٣٨ ، ص ص ٦–٧

نجاحات السلطة السوفييتية ومصاعبها

(مقتطف)

كان الاشتراكيون-الطوباويون القدماء يتصورون انه يمكن بناء الاشتراكية مع اناس آخرين ، انهم سيربون في البدء اناسا طيبين ، نظيفين ، متعلمين

بصورة ممتازة ، ويبنون بهم الاشتراكية . وكنـا دائما نضحك ونقول ان هذه لعبة دمى ، ان هذه تسلية آنسات ساذجات مولعات بالاشتراكية ، وليست سياسة جدية .

نحن نريد ان نبني الاشتراكية من هؤلاء الناس الذين ربتهم الرأسمالية وشوهتهم وافسدتهم ، ولكنها بالمقابل مرستهـم للنضال . فهنـاك بروليتاريون ممرسون الى حد ان في وسعهم احتمال قدر من التضحيات يزيد الف مرة عما يستطيع احتماله اي جيش كان ؛ وهنـاك عشرات الملايين من الفلاحين المظلومين ، الجهلاء ، المشتتين ، ولكنهم القادرون على الالتفاف حول البروليتاريا في النضال اذا ما اتبعت تاكتيكا حاذقـا . ثم هناك اختصاصيون في ميداني العلـم والتكنيك مفعمون من رؤوسهم الى اخمص اقدامهـم بالمفهوم البرجوازي عن العالم ، وهنـاك اختصاصيون عسكريون تربوا في الاحوال البرجوازية ، ـ وحسن ايضـا لو تربوا في الاحوال البرجوازية فقط ، اذ انهم تربوا كذلك في احوال الاقطاعية ، في احوال العصا ، في احوال القنانة . اما فيما يخص الاقتصاد الوطني ، فان جميع المهندسين الزراعيين والمهندسين والمعلمين ، جميعهم تحدروا من الطبقة المالكـة ؛ ولم ينزلوا من السمـاء ! ولم يكن لا في وسع البروليتاري غير المالك العامل قرب الآلة ولا

في وســع الفلاح العامل بالمحــراث ان يحصلا على التعليم الجامعي لا في عهد القيصر نيقولاي ولا في عهد الرئيس الجمهوري ويلســون . فالعلــم والتكنيك للاغنياء ، للمالكين . ان الرأسمالية لا تمنح الثقافة الا للاقلية . والحال ينبغي لنا ان نبني الاشتراكية من هذه الثقافة . ولا مادة اخرى عندنا . نحن نريد ان نبني الاشتراكية فورا من المادة التي خلفتها لنا الرأسمالية ، بين عشية وضحاها ، الآن بالذات ، لا من اولئك الناس الذين سيصنعون في المنابت المدفأة ، اذا تسلينا بهذه الخرافة . فعندنــا اختصاصيون برجوازيون ، لا غير . وليس عندنا آجرّ اخرى ، وليس عندنا ما نبني منه . يجب ان تنتصر الاشتراكية ، ونحن ، الاشتراكيين والشيوعيين ، يجب علينا ان نثبت فعلا اننا قادرون على بناء الاشتراكية من هذه الآجرّ ، من هذه المادة ، على بناء المجتمع الاشتراكي من البروليتاريين الذين استفادوا من الثقافة بقدر تافه ، ومن الاختصاصيين البرجوازيين .

واذا لم تبنوا المجتمع الشيوعي من هذه المادة ، فأنتم آنذاك منمقو جمل فارغة وثرثارون .

هكذا طرح ميراث الرأسمالية العالمية التاريخي المسألة ! وهذه هي الصعوبة التي جابهتنا بصورة ملموسة عندما اخذنا السلطة ، عندما حصلنا على الجهاز السوفييتي !

وهذا نصف المهمة ، نصفها الاكبر . فان الجهاز السوفييتي يعني ان الشغيلة متحدون بنحو يسحقون معه الرأسمالية بثقل اتحادهم الجماهيري المكثف . ولقد سحقوها حقـا وفعلا . ولكنك لن تشبع من الرأسمالية المسحوقة . انما ينبغي اخذ كل الثقافة التي خلفتها الرأسمالية ، وبناء الاشتراكية منها . ينبغي اخذ العلم كله والتكنيك كله والمعارف كلها والفن كله . وبدون هذا ، لا نستطيع بناء حياة المجتمع الشيوعي . والحال ، ان هذا العلم والتكنيك والفن في ايدي الاختصاصيين وفي رؤوسهم .

هكذا توضع المهمـة في جميع الميادين ، وهي مهمة متناقضة كما الرأسمالية كلها متناقضـة ، وفي منتهى الصعوبة ، ولكنها قابلـة للتحقيق . لا لأننـا سنربي اختصاصيـين شيوعيين خالصين بعد عشرين سنـة : الجيل الاول من الشيوعيين الخالين من كل عيب وكل نقص . كلا ، عفوا ، ينبغي لنـا ان نبني الآن كل شيء ، لا بعد عشرين سنة ، بل بعد شهرين ، من اجل النضال ضد البرجوازية ، ضد العلم البرجوازي والتكنيك البرجوازي في العالم كلـه . وهنـا يجب ان ننتصر . ان اجبار الاختصاصيين البرجوازيين بكل ثقلنا المكثف على خدمتنا امر صعب ولكنـه ممكن ؛ واذا فعلنا هذا ، انتصرنا .

عندما ابلغني الرفيق تروتسكي مؤخرا ان عدد الضباط في مصلحتنا العسكريـة يبلغ بضع عشرات

الآلاف ، آنذاك ادركت بوضوح سر الاستفادة من عدونا : كيف نجبر على بناء الشيوعية اولئك الذين هم اخصامها ، كيف نبني الشيوعية من آجرّ جمعهـا الرأسماليون ضدنا ! وليس لدينا آجرّ اخرى ! ومن هذه الآجرّ بالذات ، وتحت قيادة البروليتاريا ، ينبغي ان نجبر الاختصاصيين البرجوازيين على بناء صرحنا . هنا الصعوبة ، وهنا عربون النصر !

وفي هذا السبيل ، وقع بالطبع عدد لا بأس به من الاخطاء ، لأنه سبيل جديـد وعسير ؛ وفي هذا السبيل ، انتظرنا عدد لا بأس به من الهزائم ؛ والجميع يعرفون ان عددا معينا من الاختصاصيين كان يخوننا بدأب وانتظام : فبين الاختصاصيين في المصـانع وفي الزراعة ، وفي ميدان الادارة ، اصطدمنـا ولا نزال نصطدم لدى كل خطوة بموقف حقود من العمل ، بالتخريب الحقود .

ونحن نعرف ان هذه كلها مصاعب جسيمة واننا لن نتغلب عليها بالعنف وحده ... نحن لسنـا ، بالطبـع ، ضد العنف ؛ نحن نسخر من الذين يقفون موقفا سلبيا من ديكتاتورية البروليتاريـا ، ونقول ان هؤلاء اناس حمقى ، لا يستطيعون ان يفهموا انه يجب ان تقوم اما ديكتاتورية البروليتاريـا وامـا ديكتاتورية البرجوازية . وان من يقول برأي آخر ، اما غبي ، واما امي سياسيا الى حد انـه من العيب

لا السماح له بالارتقاء الى المنبر وحسب ، بل ايضا مجرد السماح له بحضور الاجتماع . وما يمكن ان يكون هو ، اما العنف بحق ليبكنخت ولوكسمبورغ والبطش بخيرة زعماء العمال ، واما قمع المستثمرين بالعنف ، ومن يحلم بحل وسط هو أضرّ واخطر عدو لنا . هكذا توضع المسألـة الآن . وهكذا متى تحدثنا عن استخدام الاختصاصيين ، تعين ألاّ يغيب عن البال درس السياسة السوفييتيـة طيلة السنـة المنصرمة ؛ ففي هذه السنـة حطمنـا المستثمرين وانتصرنا عليهم ، والآن يجب علينا ان ننفذ مهمـة استخدام الاختصاصيين البرجوازيين . وهنـا ، اكرر قولي ، لن نفعل شيئاً بالعنف وحده . هنا ، اضافـة الى العنف ، وبعد العنف المظفر ، لا بد من التنظيـم والانضباط والنفوذ المعنوي لدى البروليتاريا المظفرة التي تخضع لنفسها جميع الاختصاصيين البرجوازيين وتشركهم في عملها !

سيقولون : عوضا عن العنف ، يوصـي لينين بالتأثير المعنوي ! ولكنه من الغباوة تصور انه من الممكن بالعنف وحده حل مسألة تنظيم علم جديـد وتكنيكٍ جديد في مضمار بنـاء المجتمع الشيوعي . غباوة ! نحن ، بوصفنا حزبا ، بوصفنا اناسا تعلموا شيئا ما في هذه السنة من العمل السوفييتي ، لن نقع في لجة هذه الغباوة وسنحذر الجماهير منهـا . ان

استخدام كل جهاز المجتمع البرجوازي ، الرأسمالي ـ ان هذه المهمة لا تتطلب العنف المظفر وحسب ، بل تتطلب ، علاوة على هذا ، التنظيم والانضباط والانضباط الرفاقي وسط الجماهير ، وتنظيم التأثير البروليتاري في جميع السكان الآخرين ، وخلق وضع جديد بين الجماهير يرى فيه الاختصاصي البرجوازي ان لا مخرج له وانه تستحيل العودة الى المجتمع القديم ، وانه لا يسعه ان يقوم بعمله الا مع الشيوعيين الذين يقفون بقربه ويقودون الجماهير ويتمتعون بمطلق ثقة الجماهير ويعملون على ان لا تعود ثمار العلم والتكنيك البرجوازي ، ثمار تطور المدنية خلال آلاف السنين ، الى حفنة من الافراد يستغلونها لكي يبرزوا ويثروا ، بل ان تعود الى جميع الشغيلة بلا استثناء .

وانها لمهمة فائقة الصعوبة ينبغي صرف عشرات السنين من اجل ادائها كليا ! ولأجل ادائها ، ينبغي انشاء قوة ، انضباط ، انضباط رفاقي ، انضباط سوفييتي ، انضباط بروليتاري ، من شأنه ، لا ان يسحق جسديا اعداء الثورة من ابناء البرجوازية وحسب ، بل ان يشملهم كذلك كليا ويخضعهم لنفسه ويجبرهم على السير في دربنا وخدمة قضيتنا .

واكرر قولي اننا في قضية البناء العسكري والبناء الاقتصادي وفي عمل كل مجلس من مجالس الاقتصاد

الوطني وفي عمل كل لجنة مصنعية وكل مصنع مؤمم ، اننا كل يوم قد اصطدمنا بهذه القضية . ومن المشكوك فيه ان يكون قد مر وان اسبوع واحد لم نضع فيه هذه المسألة خلال هذه السنة ، في مجلس مفوضي الشعب ، بنحو او آخر ، بهذا الشكل او ذاك ، ولم نحلها . واني لواثق بانه لم تكن ثمة اي لجنة مصنعية في روسيا ولا اي كومونة زراعية ، ولا اي استثمارة سوفييتية ، ولا اي قسم زراعي في قضاء من الاقضية لم يصطدم بهذه المسألة عشرات المرات خلال هذه السنة من العمل السوفييتي .

هنا تكمن صعوبة المهمة ، ولكن هنا ايضا تقوم مهمة نبيلة حقا ، وهذا ما يجب علينا ان نفعله الآن ، في اليوم الثاني لسحق المستثمرين من قبل قوة الانتفاضة البروليتارية . لقد سحقنا مقاومتهم ، وكان ينبغي القيام بذلك ، ولكنه لم يكن ينبغي القيام بذلك وحسب ، بل كان ينبغي ايضا اجبارهم بقوة التنظيم الجديد ، بقوة تنظيم الشغيلة الرفاقي ، على خدمتنا ، كان ينبغي علاجهم وشفاؤهم من القروح القديمة ، والحؤول دون عودتهم الى ممارستهم الاستثمارية . لقد ظلوا برجوازيين كما من قبل وهم يشغلون مناصب الضباط والمناصب في هيئات اركان جيشنا ايضا ، وهم مهندسون وخبراء زراعيون ، هؤلاء البرجوازيون القدامى الذين يقولون عن انفسهم بانهم مناشفة

واشتراكيون-ثوريون . ان النعوت لا تغير شيئا ؛ ولكنهم برجوازيون تماما ، من الرأس حتى اخمص القدمين ، بمفهومهم عن العالم وبعاداتهم .

فما العمل ، يا ترى ، هل نطردهم ؟ انك لن تطرد مئات الآلاف ! واذا ما طردناهم ، لقصصنا اجنحتنا بأنفسنا . فلا يمكننا ان نبني الشيوعية الا مما خلقته الرأسمالية . لا يجب طردهم ، بل يجب تحطيم مقاومتهم ، ومراقبتهم لدى كل خطوة ، دون ان نقوم باي من التنازلات السياسية التي يقوم بها فاقدو الرجولة في كل لحظة . ان الناس المثقفين يتأثرون بسياسة ونفوذ البرجوازية لأنهم اخذوا ثقافتهم كلها من الوسط البرجوازي وبواسطته . ولهذا يتعثرون في كل خطوة ويقومون بتنازلات سياسية للبرجوازية المعادية للثورة .

ان الشيوعي الذي يقول انه لا يجوز توسيخ اليدين ، وانه يجب ان تكون لديه ايد شيوعية نظيفة ، وانه سيبني المجتمع الشيوعي بأيد شيوعية نظيفة ، دون ان يستخدم التعاونيين البرجوازيين الحقراء المعادين للثورة ، انما هو منمق جمل فارغة لأنه ، بالعكس ، لا يمكن الاستغناء عن استخدامهم .

ان المهمة تقوم الآن عمليا في انه يجب ان نجذب الى خدمتنا اولئك الذين ربتهم الرأسمالية ضدنا ، وان نراقبهم كل يوم ، ونضع فوقهم مفوضين عمالا في

جو التنظيم الشيوعي ، وان نقطع كل يوم دابر التطاولات المعادية للثورة ، ونتعلم منهم في الوقت نفسه .

وعندنا ، في افضل الاحوال علم المحرض ، الداعية ، الانسان الذي مرسه وصلب عوده المصير الشاق الجهنمي الذي هو مصير عامل المصنع او الفلاح الجائع ، — العلم الذي يعلم الصمود طويلا والعناد في النضال ، الامر الذي انقذنا حتى الآن ؛ وكل هذا ضروري ؛ ولكن هذا قليل لا يكفي ، وبهذا وحده يستحيل احراز النصر ؛ فلكي يكون النصر كاملا ونهائيا ، ينبغي ان نأخذ ايضا كل ما في الرأسمالية من قيّم ، ينبغي ان نأخذ لانفسنا العلم كله والثقافة كلها .

ولكن من اين نأخذ هذا ؟ يجب ان نتعلم منهم ، من اعدائنا ، يجب ان يفعل ذلك فلاحونا الطليعيون ، وعمالنا الواعون في مصانعهم ، يجب التعلم في القسم الزراعي بالقضاء من الخبير الزراعي البرجوازي ، من المهندس البرجوازي واضرابه ، لكي نستوعب ثمار ثقافتهم .

وفي هذا المجال ، كان النضال الذي نشب في حزبنا خلال السنة المنصرمة مثمرا بشكل خارق العادة ؛ وقد استثار عددا لا بأس به من الاصطدامات الحادة . والحال ان النضال لا يمكن ان يجري بدون

اصطدامات حادة ؛ بيد اننا كسبنا خبرة عمليـــة في مسألة لم توضع يوما امامنا ، ولكنه لا يمكن بدونها تحقيق الشيوعيــــة . ان مهمــــة الجمع بين الثورة البروليتارية المظفرة وبين الثقافة البرجوازية والعلــم البرجوازي والتكنيك البرجوازي ، التي كانت حتى الآن في منال قلة من الناس ، ان هذه المهمـــة ، — واقول هذا مرة اخرى ، — مهمة صعبة . وهنا تنحصر المسألة كلها في تنظيم ، في انضباط الفئة الطليعية من الجماهير الكادحة . ولو لم تكن في روسيـــا ، على رأس الملايين من الفلاحين التعساء ، الجهلاء ، العاجزين اطلاقا عن البناء المستقل ، المظلومين طيلة قرون وقرون من قبل الاقطاعيين ، لو لم تكن في جوارهم الفئة الطليعية من عمال المدن المفهومين منهم والقريبين اليهم ، والذين يتمتعون بثقتهم ، الذين يصدقهم الفلاح بوصفهم من جماعته ، جماعة العمل ، لو لم يكن هناك هذا التنظيم القادر على ان يرص صفوف الجماهير الكادحة ويوحي لها ويوضح لها ويقنعها بأهمية واجب اخذ الثقافـــة البرجوازية كلها لأنفسها ، — لكانت قضية الشيوعيــة لا أمل فيها .

اصدره بشكل كراس على حدة ، عام ١٩١٩ ، سوفييت بتروغراد لنواب العمال والجنود الحمر

لينين . المؤلفات ، الطبعة الروسية الخامسة ، المجلد ٣٨ ، ص ص ٥٢—٥٩

تقرير حول برنامج الحزب
في المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي الروسي
(البلشفي)

١٩ آذار (مارس) ١٩١٩

(مقتطف)

ان قضية **الاختصاصيين البرجوازيين** تثير الكثير من الاحتكاكات والخلافات . وقد سنحت لي الفرصة مؤخرا وتكلمت في سوفييت بتروغـــراد وكانت عدة من الاسئلة التي طرحت عليّ خطيا تتعلق بالرواتب . فقد سئلت : هل يمكن في الجمهورية الاشتراكية دفع راتب يبلغ حتى ٣٠٠٠ روبل ؟ لقد ادرجنا فعلا هذه المسألة في البرنامج ، لأن الاستيـــاء الذي اثارته مضى بعيدا نسبيا . ان قضية الاختصاصيين البرجوازيين تواجهنا في الجيش ، في الصناعة ، في التعاونيات . وهي تواجهنا في كل مكان . انها قضية هامة جدا في مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الشيوعية . واننا لن نتمكن من بناء الشيوعية الا يوم نضعهـــا اكثر فاكثر في متناول الجماهير ، بوسائط العلم البرجوازي والتكنيك البرجوازي . ولا يمكن بناء المجتمع الشيوعي بطريقة اخرى . ولبنائه على هذا النحو ، ينبغي لنا ان نستولي على الجهاز الذي انشأته البرجوازية ، ينبغي لنا ان

نستخدم جميع هؤلاء الاختصاصيين . وقصدا وعمدا عرضنا هذه المسألة بالتفصيل في برنامجنا ، لكي تُحَل حلا جذريا . ونحن نعرف تمام المعرفة ماذا يعني تأخر روسيا ثقافيا ، ما يفعله بالسلطة السوفييتية التي اعطت مبدئيا ديموقراطية بروليتارية اسمى بما لا حد له من الديموقراطيات المعروفة حتى الآن ، وقدمت نموذجا عن هذه الديموقراطية للعالم بأسره ، - نحن نعرف كيف يحط هذا التأخر من مكانة السلطة السوفييتية ويبعث البيروقراطية . ان الجهاز السوفييتي هو ، بالاقوال ، في متناول جميع الشغيلة ؛ اما في الواقع ، فانه ليس ابدا في متناول جميعهم ، وهذا ما لا يجهله احد منا . وليس ذلك ابدا لان القوانين تشكل عقبة ، كما كان الحال في ظل النظام البرجوازي . فان قوانيننا هي ، بالعكس ، ملائمة . ولكن القوانين وحدها لا تكفي هنا . يجب بذل قدر كبير من العمل التربوي والتنظيمي والتثقيفي ، لا يمكن بذله بسرعة بواسطة القانون ، ويتطلب جهدا هائلا وطويل النَفَس . ان قضية الاختصاصيين البرجوازيين انما يجب حلها بدقة تامة في هذا المؤتمر . فان هذا الحل سيتيح للرفاق الذين من المؤكد انهم يهتمون بالمؤتمر ، ان يستندوا الى سلطته وان يروا المصاعب التي نصطدم بها . وسيساعد الرفاق الذين

يصطدمون بهذه المسألة لدى كل خطوة ، على الاشتراك على الاقل في عمل الدعاية .

ان الرفاق الذين يمثلون السبارتاكيين (٢٠) ، هنا في موسكو ، قد رووا لنا في المؤتمر انه في المانيا الغربية ، حيث الصناعة اكثر تطورا ، وحيث تأثير السبارتاكيين في العمال هو الاقوى ، رغم انهم لم يحرزوا الغلبة بعد ، جاء الى السبارتاكيين مهندسون ، ومدراء عدد كبير من اضخم المشاريع وقالوا لهم : «سنمشي معكم» . وهذا لم يحصل عندنا . من المحتمل ان المستوى الثقافي الارفع عند العمال ، وانطباع الفنيين بالطابع البروليتاري انطباعا اكبر ، وربما شتى الاسباب الاخرى التي نجهل ، قد اوجدت هناك علاقات تختلف بعض الشيء عن علاقاتنا .

وهذه ، في كل حال ، عقبة من اكبر العقبات في طريق تقدمنا . فيجب علينا اليوم بالذات ان نزيد فورا القوى المنتجة ، دون ان ننتظر مساندة البلدان الاخرى . ولا يمكن تحقيق ذلك دون الاختصاصيين البرجوازيين . يجب ان نقول هذا صراحة وقطعا . يقينا ان معظم هؤلاء الاختصاصيين متشربون كليا بالذهنية البرجوازية . فينبغي احاطتهم بجو من التعاون الاخوي ، بمفوضين عمال ، بخلايا شيوعية ؛ ينبغي وضعهم في وضع لا يستطيعون الافلات منه . ولكنه

ينبغي توفير شروط عمل لهم افضل مما في ظروف الرأسمالية ، والا فان هذه الفئة الاجتماعية التي ربتها البرجوازية لن تشتغل . وليس من الممكن اجبار فئة اجتماعية بكاملها على العمل بالعصا . ولقد ادركنا هذا تمام الادراك . يمكن منع هذه العناصر من الاسهام بقسط نشيط في الثورة المضادة ؛ يمكن تخويفها بمـــا يكفي لكي تخاف من مـدّ اليد للمس نداء الحرس الابيض . وفي هذا الصدد ، يعمل البلاشفة بعزم وحزم . وهذا يمكن فعله ونحن نفعله كفاية . وقد تعلمناه جميعنا . ولكنه يستحيل بهذه الطرائق اجبار فئة اجتماعية بكليتها على العمل . ان هؤلاء الناس قد اعتادوا القيام بعمل ثقافي ؛ وقد دفعوا الثقافة الى امام في نطاق النظام البرجوازي ، — اي انهم اغنوا البرجوازية بمكتسبات مادية هائلة ، لم يخصصوا منها للبروليتاريا الا جزءا ضئيلا جدا . ولكنهم مع ذلك دفعوا الثقافة الى امام ، وكانت تلك مهنتهم . وبما انهم يرون ان الطبقة العاملـــة تقدم فئات منظمـــة ومستنيرة لا تقدّر الثقافة وحسب ، بل تساعد كذلك على نشرها بين الجماهير ، فانهم يعدلون موقفهم منا . وحين يلاحظ طبيب ان البروليتاريا تحفز مبادرة الشغيلة في مكافحة الاوبئة ، فانه يتخذ منا موقفا آخر تماما . وعندنا فئة كبيرة من هؤلاء الاطباء والمهندســين والمهندســين الزراعيــين والتعـــاونيين

البرجوازيين . وحين يرون في الواقع ان البروليتاريا تجتذب الى هذا النشاط جماهير متزايدة ابدا ، فانهم سيغلبون على امرهم **معنويا** ، ولا يُفْصَلون عن البرجوازية سياسيا وحسب . وحينذاك ستغدو مهمتنا اسهل . حينذاك سينجذبون من تلقاء انفسهم الى جهازنا ، ويصبحون قسما من اقسامه المكوّنة . ولهذا الغرض يجب بذل التضحيات . بل ان دفع مليارين لهذا الغرض ليس شيئا . والخوف من بذل هذه التضحية خوف صبياني ، ويعني اننا لا نفهم المهام التي تواجهنا .

ان تشوّش النقليات ، وتشوش الصناعة والزراعة يقوضان وجود الجمهورية السوفييتية ذاته . وهنا يجب علينا اتخاذ اشد الاجراءات عزما وحزما ، اجراءات توتر جميع قوى البلاد الى اقصى حد . وازاء الاختصاصيين ، يترتب علينا ان لا ننتهج سياسة المضايقات الحقيرة . فان هؤلاء الاختصاصيين ليسوا خدم المستثمِرين ؛ انما هم من صنّاع الثقافة ، الذين كانوا يخدمون البرجوازية في المجتمع البرجوازي ، وقال عنهم جميع الاشتراكيين في العالم بانهم في المجتمع البروليتاري سيخدموننا **نحن** . وفي هذه المرحلة الانتقالية ، يتعين علينا ان نوفر لهم شروط حياة طيبة قدر الامكان . وسيكون هذا السياسة الفضلى واسلوب الادارة الاكثر توفيرا . والا ،

فاننا ، بتوفير بضع مئات من الملايين ، تتعرض لخسارة تبلغ من الفداحة بحيث لن تستطيع المليارات ان تعوّض علينا عما نكون خسرناه .

في سياق حديث بصدد الرواتب ، عرض عليّ الرفيق شميدت ، مفوض الشعب للعمل ، الوقائع التالية . قال : لقد فعلنا ، من اجل تسوية الاجور ، ما لم تفعله اي دولة برجوازية في اي مكان من العالم وما لن تستطيع فعله في عشرات السنين . خذوا تعريفات ما قبل الحرب : كان الفاعل يتقاضى روبلا واحدا في اليوم ، اي ٢٥ روبلا في الشهر ، والاختصاصي ٥٠٠ روبل في الشهر ، عدا اولئك الذين كانت تدفع لهم مئات الآلاف من الروبلات . كان الاختصاصي يتقاضى ما يزيد عشرين مرة عما يتقاضاه العامل . اما في تعريفتنا الحالية ، فان الاجور تتراوح بين ٦٠٠ روبل و٣٠٠٠ روبل ، والفرق بنسبة واحد الى خمسة فقط . لقد فعلنا الكثير من اجل تسوية الاجور . من المؤكد اننا ندفع اليوم للاختصاصيين اكثر مما يستحقون ، ولكن دفع علاوة لقاء المعرفة التي يقدمونها لنا ليس امرا يجدر القيام به وحسب ، انما هو ضرورة مطلقة من الوجهة النظرية . وبرأيي ان هذه المسألة قد صيغت بما فيه الكفاية في برنامجنا . ويجب الاشارة اليها بقوة . من الضروري حل المسألة هنا ، لا مبدئيا

وحسب ؛ انما يجب العمل بحيث يتمكن جميـــع المؤتمرين ، بعد عودتهم الى محال اقامتهم ، من التوصل الى تطبيق قرارتنا ، سواء عند تقديم تقاريرهم في منظماتهم ام في كامل نشاطهم .

لقد سبق لنا واحدثنا انعطافا كبيرا بين المثقفين المترددين . واذا كنا في الامس قد تكلمنا عن اضفاء صفة شرعية على الاحزاب البرجوازية الصغيرة ، واذا كنا اليوم نعتقـــل المناشفـــة والاشتراكيين‑الثوريين (٢١) ، فاننا نطبق ، عبر هذه التقلبات ، نهجا معينا تماما . وعبر هذه التقلبات ، يمتد خط واحد ، خط لا ينثني : **بتر الثـــورة المضـــادة ، استخدام الجهاز الثقافي البرجوازي** . ان المناشفة هم اخطر اعداء الاشتراكية ، لأنهم يلبسون جلد البروليتاري ، ولكن المناشفة ليسوا فئة بروليتاريـــة . ليس في هذه الفئة الا بعض الجماعات البروليتاريـــة العليـــا ، وعددها ضئيل جدا ؛ اما الفئة نفسها ، فتتألف من صغار المثقفين . هذه الفئة تتجه الينا . وسنظفر بها كليا بوصفها فئة اجتماعية . وكلما جاء الينا هؤلاء الناس ، نقول لهم «اهلا وسهلا» . وعند كل من هذه التقلبات ، يأتي قسم منهم الينا . وهذا ما حصل للمناشفة ، لجماعة «نوفايا جيزن» (٢٢) ، للاشتراكيين‑الثوريين ؛ وهذا ما سيحصل لجميع هذه العناصر المترددة التي ستكون زمنا طويلا ايضا عقبة

تعترض سيرنا ، وتنوح وتتشكى ، وتركض من معسكر الى آخر ؛ انهم هكذا ، ولا طائل من اصلاحهم . ولكن ، عبر جميع هذه التقلبات ، سنتلقى في صفوف الشغيلة السوفييتيين فئات المثقفين المتعلمين ، ولنبتر العناصر التي تواصل تأييد الحرس الابيض .

صدر في جريدة «البرافدا» ، لينين . المؤلفات ، الطبعة
العدد ٦٤ ، ٢٢ آذار (مارس) الروسية الخامسة ، المجلد
١٩١٩ ٣٨ ، ص ص ١٦٥-١٦٩

كلمة تحية
في المؤتمر الاول في مسائل التعليم غير المدرسي لعامة روسيا

٦-١٩ ايار (مايو) ١٩١٩

ايها الرفاق ، يسرني جدا ان احيي مؤتمر التعليم غير المدرسي . يقينا انكم لا تنتظرون مني خطابا من شأنه ان يتناول جوهر القضية ، كما فعل الخطيب السابق المطلع والمهتم خاصة بالمسألة ، الرفيق لوناتشارسكي . فاسمحوا لي ان اكتفي ببعض كلمات التحية وببعض الملاحظات والافكار التي كانت تخطر ببالي عندما كان الامر يتطلب في مجلس مفوضي الشعب لمس عملكم المباشر عن بعض القرب . اني واثق

بانه من المشكوك فيه ان يكـون ثمـة ميدان من ميادين النشاط السوفييتي ، كالتعليم والتثقيف غير المدرسي ، تم فيه احراز مثل هذه النجاحات الهائلة في سنة ونصف سنة . لا ريب ان العمـل في هذا الميدان كان الاسهل علينا وعليكم مما في الميادين الاخرى . هنا ، في هذا الميدان ، تأتى لنا ان نزيل الحواجز القديمة والعقبات القديمة . هنا ، كان من الاسهل الاستجابة لتلك الحاجة الهائلة الى المعرفة ، الى التعليم الحر ، الى التطور الحر ، التي برزت ، اكثر ما برزت ، بين جماهير العمال والفلاحين ، لأنه اذا كان من السهل علينا ، بفضل ضغط الجماهير الجبار ، ان نقضي على تلك العقبات الخارجية التي كانت تعترض سبيل الجماهير ، ان نحطم المؤسسات البرجوازية التاريخية التي كانت تربطنا بالحرب الامبريالية وتفرض على روسيا اكبر الاعباء الناجمة عن هذه الحرب ، لأنه اذا كان من السهل علينا ان نحطم العقبات الخارجية ، فقد تأتى لنا بالمقابل ان نشعر بمزيد من الحدة بكل ثقل العمل في مضمار اعادة تربية الجماهير ، في مضمار التنظيم والتعليم ، في مضمار نشر المعارف ، في مضمار النضال ضد ذلك الارث من الجهل والامية والوحشية والهمجية ، الذي كان من نصيبنا ؛ وهنا تأتى خوض النضال بطرائق مختلفة تماما . هنا تأتى الاعتماد فقط على نجـاح طويل الأمد وعلى تأثير

الفئات التقدمية من السكان بعنـــاد ودأب وانتظام ، على تأثير يلقى من جانب الجماهير اوفر الترحاب سرورا ، ونحن في كثير من الاحيان نبدو مذنبين لأننا نعطي اقل مما في وسعنا ان نعطي . وفي هذه الخطوات الاولى ، في مضمار نشر التعليم غير المدرسي ، التعليم الحر ، غير المقيد بالاطارات والقيود السابقة ، التعليم الذي يهفو اليه السكان الراشدون ، تأتي لنا ، حسبما ارى ، ان نناضل في الآونة الاولى اكثر مـــا ناضلنا ضد نوعين من العقبات ، وهذان النوعان من العقبات ورثناهما عن المجتمع القديم ، الرأسمالي ، الذي لا يزال يمسك بنا حتى الآن ، ويجرنا الى اسفل بآلاف وملايين الخيوط والحبال والسلاسل .

النقص الاول ، انما هو وفرة المتحدرين من فئة المثقفين البرجوازيين التي اعتبرت كليا وتماما مؤسسات العمال والفلاحين التعليمية المبنية بطريقة جديدة ، انسب ميدان لأجل اختلاقاتها الخاصــــة في مجال الفلسفة او في مجال الثقافة ، عندما كان التدلل الغبي ولا اغبى يظهر كليا وتماما بمظهر شيء ما جديد ، وعندما كان شيء ما فائق الطبيعة واخرق يُصوَّر بصورة الفن البروليتاري الصرف والثقافـــة البروليتارية الصرف (٢٣) (**تصفيق**) . ولكن هذا كان طبيعيا في الآونة الاولى ويمكن غفرانه ولا يمكن القاء تبعته على عاتق الحركة الواسعة ، واني آمل باننا

مع ذلك سنخرج من هذا في آخر المطاف وبأننا نخرج الآن فعلا .

النقص الثاني انما هو ايضا ارث الرأسمالية . فان الجماهير الواسعة من الشغيلة البرجوازيين الصغار ، في سعيها وراء المعرفة ، ومع تحطيمها القديم ، لم تستطع ان تأتي باي شيء منظم ، باي شيء منظّم . وقد سنحت لي الفرصة وراقبت عندمـــا طرحت في مجلس مفوضي الشعب مسألة تعبئة المتعلمين ومسألة قسم المكتبات ، ومن هذه المراقبات غير الكبيرة ، استخلصت استنتاجاتي فيما يتعلق بسوء الحال في هذا المضمار . يقينا انه ليس من المستطاب جدا التحدث في كلمات التحية عن الامور السيئة . واني آمل بأنكم ستتحررون من هذه الاعراف ، وبانكم لن تلوموني اذا ما شاطرتكم مراقباتي المحزنة نوعا . عندما طرحنا مسألة تعبئة المتعلمين ، كان ابرز ما لفت النظر هو ان الثورة قد احرزت عندنا نجاحا باهرا دون ان تتخطـــى على الفـــور اطار الثورة البرجوازية . لقد اعطت القوى الموجودة حريـــة التطور ، وهذه القوى الموجودة هي قوى برجوازية صغيرة ، ترفع الشعار القديم ذاته «كل لنفسه ، والله للجميع» ، هذا الشعار اللعين الرأسمالي الصرف ذاته الذي لا يؤدي ابدا الى اي شيء ، اللهم الى كولتشاك والى عودة النظام البرجوازي القديم . وعندما ارى ما

يجري عندنا في مضمار تعليم الاميين ، اعتبر ان ما تحقق في هذا المضمار قليل جدا ، ومهمتنا المشتركة هنا هي ان نفهم انه ينبغي تنظيم العناصر البروليتارية . فالقضية ليست في الجمل المضحكة التي تبقى على الورق ، بل في الاجراءات الملحة التي يجب اعطاؤها للشعب حالا ، والتي من شأنها ان تجبر كل انسان متعلم على ان يعتبر ضرورة تعليم بعض الاميين واجبا عليه . وهذا ما نودي به عندنا في المرسوم (٢٤) . ولكنه لم يتحقق شيء تقريبا في هذا المضمار .

وعندما واجهتني في مجلس مفوضي الشعب المسألة الاخرى ، مسألة المكتبات ، قلت : ان هذه الشكاوى التي سمعناها على الدوام — الذنب ذنب تأخرنا الانتاجي ، وعندنا قلة من الكتب ، ونحن لا نستطيع ان ننتجها باعداد كافية — واقول لنفسي ، — ان هذه الشكاوى صحيحة . يقينا انه لا يوجد عندنا وقود ، والمصانع واقفة ، والورق قليل ، والكتب لا نستطيع الحصول عليها . كل هذا صحيح ، ولكنه من الصحيح كذلك اننا لا نستطيع ان نأخذ الكتب الموجودة عندنا . ونحن لا نزال نكابد في هذا المجال من سذاجة الفلاح وعجز الفلاح اللذين تبديا عندما نهب مكتبة السيد وهرب الى بيته وخاف ان ينتزعها منه احد ، لأن الفكرة القائلة انه يمكن ان يقوم توزيع عادل ، وان

ملك الدولة ليس شيئا ما ممقوتا ، وان ملك الدولة انما هو ملك العمال والكادحين المشترك ، ــ لأن هذا الوعي كان لا يزال بعد من المستحيل ان يملكه . وليس الذنب في ذلك ذنب الجمهور الفلاحـــي غير المتطور ، وهذا مشروع تماما من وجهة نظر تطور الثورة ، ــ فان هذا طور لا مناص منه . وعندما اخذ الفلاح لنفسه مكتبة وابقاها عنده خفية عن الآخرين ، لم يكن من الممكن ان يسلك سلوكا آخر لأنه لم يكن يدرك انه يمكن جمع مكتبات روسيا في مكتبة واحدة ، وان عدد الكتب سيكون كافيا لاشباع المتعلم وتعليم الامي . والآن ينبغي النضال ضد بقايا التشوش ، ضد الفوضى ، ضد المجادلات المضحكة بين الدوائر الحكومية . وهذا ما يجب ان يشكل مهمتنا الرئيسية . يجب علينا ان ننكب على قضية بسيطة ، ملحة ، هي قضية تعبئة المتعلمين ومكافحة الامية . يجب علينا ان نستغل تلك الكتب الموجودة عندنا ، وننصرف الى انشاء شبكة منظمة من مكتبات في وسعها ان تساعد الشعب على الاستفادة من كل كتاب موجود عندنا ، ويجب علينا ألاّ ننشىء منظمات متوازية ، بل ان ننشىء منظمة منهاجية موحدة وحيدة . وفي هذه القضية الصغيرة ، تنعكس المهمة الاساسيـــة لثورتنا . فاذا لم تنفّذ هذه المهمة ، اذا لم تخرج الى طريق انشاء منظمة منهاجية موحدة وحيدة فعلا

عوضا عن الفوضى والغباوة والحماقة الروسية ، فان هذه الثورة ستبقى آنذاك ثورة برجوازية ، لأن الخاصة الاساسية للثورة البروليتارية السائرة نحو الشيوعية انما تقوم في هذا بالذات ، بينا كان يكفي البرجوازية ان تحطم القديم وتمنح الحرية للاقتصاد الفلاحي الذي ادى الى ولادة الرأسمالية ذاتهـــا ، كما في جميع ثورات الزمن السابق .

واذا كنا نتسمى بحزب الشيوعيين ، تعين علينا ان نفهم انه الآن فقط ، وقد قضينا على العقبات الخارجية وحطمنا المؤسسات القديمة ، تنتصب امامنا للمرة الاولى بصورة حقيقية وبكل قامتها المهمة الاولى للثورة البروليتاريـة الحقيقية – مهمة تنظيـــم عشرات ومئات الملايين من الناس . وبعد خبرة سنة ونصف السنة في هذا الميدان ، مررنا بها جميعا ، يجب علينا ، اخيرا ، ان ننخرط في سبيل قويم يتغلب على تلك القلة من الثقافة وعلى ذلك الجهل وتلك الوحشية التي عانينا منهـــا دائمـــا . (**تصفيق عاصف**) .

صدر في جريدة «البرافدا» ، العدد ٩٦ ، ٧ ايار (مايو) ١٩١٩

لينين . المؤلفات ، الطبعة الروسية الخامسة ، المجلد ٣٨ ، ص ص ٣٢٩-٣٣٢

المبادرة الكبرى

(عن بطولة العمال في المؤخرة .
لمناسبة «السبوت الشيوعية»)

تنشر الصحف امثلة كثيرة عن بطولة رجال الجيش الاحمر . ففي النضال ضد الكولتشاكيين والدينيكيين وقوات الاقطاعيين والرأسماليين الاخرى ، لا يندر للعمال والفلاحين ان يضربوا آيات من الجرأة والجَلَد ، ذائدين عن مكاسب الثورة الاشتراكية . وببطء وصعوبة يجري القضاء على التصرفات الفوضوية ، والتغلب على التعب والاستهتار ، ولكنهما يتقدمان رغم كل شيء . وان بطولة الجماهير الكادحة التي تتحمل التضحيات عن وعي من اجل انتصار الاشتراكية ، انما هي اساس الانضباط الجديد ، الرفاقي في الجيش الاحمر ، انما هي اساس انبعاثه وتوطده ونموه .

كذلك ما تستحقه بطولة العمال في المؤخرة من الانتباه ليس اقل قدرا . ففي هذا الصدد ، يتسم باهمية عملاقة حقا تنظيم العمال ، بمبادرتهم الخاصة ، **للسبوت الشيوعية** . وواضح ان هذا ليس بعد غير البداية ، ولكنه بداية خارقة الاهمية . فانها بداية انقلاب اوفر صعوبة واكثر جدية واعمق جذورا واشد حزما من اسقاط البرجوازية ، لأن هذا انتصار على

التحجر والاستهتار والانانية البرجوازية الصغيرة ، على هذه العادات التي تركتها الرأسمالية الملعونة ارثا للعامل والفلاح . وعندما يتوطد **هذا** الانتصار ، آنذاك وآنذاك فقط ينشـــأ الانضبـــاط الاجتماعي الجديد ، الانضباط الاشتراكي ، وآنذاك وآنذاك فقط تستحيل العودة الى الوراء ، الى الرأسمالية ، وتصبح الشيوعية حقا وفعلا منيعة لا تقهر .

في ١٧ ايار (مايو) ، نشرت «البرافدا» مقال الرفيق أ . ج . «عمل على النمط الثوري (السبت الشيوعي)» . ان هذا المقال لعلى درجة من الاهمية بحيث اننا نعيد نشره بنصه الكامل :

عمل على النمط الثوري
(السبت الشيوعي)

ان رسالة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الروسي بشأن العمل **على النمط الثوري** قد دفعت المنظمات الشيوعية والشيوعيين دفعة قوية . فقد وجه النهوض العام عددا كبيرا من الشيوعيين بين عمال السكك الحديدية الى الجبهة ، ولكنه لم يمكن لغالبيتهم ان يتركوا المناصب المسؤولـــة ويجدوا وسائل جديدة للعمل على النمط الثوري . ان المعلومات من القاعدة عن بطء العمل في حقل التعبئة والمماطلات الدواوينية قد حملت منظمة دائرة سكة حديد موسكو ــ كازان على الانتباه لآلية اقتصاد السكة الحديدية . فتبين ان طلبيات عاجلـــة

واصلاحات عاجلة للقاطرات تتاخر من جراء النقص في اليد العاملة ومن جراء ضعف شدة العمل . وفي الاجتماع العام الذي عقده في ٧ ايار (مايو) الشيوعيون والمحبذون التابعـــون لمنظمة دائرة سكة حديد موسكو ــ كازان ، طُرحت مسالة الانتقال من الاقوال عن المساهمة في احراز النصر على كولتشاك الى الافعال . وورد اقتراح يقول :

«نظرا للوضع الداخلي والخارجي العصيب ، ورغبة في التفوق على العدو الطبقي ، ينبغي من جديد على الشيوعيين والمحبذين ان يهمزوا انفسهم وينتزعوا من راحتهم ساعة عمل اخرى ، اي ان يزيدوا يوم عملهم ساعـــة واحدة ، ويجمعوا هذه الزيادة ويقوموا يوم السبت دفعة واحدة بست ساعات من العمل اليدوي بغية انتاج قيمة فعلية على الفور . وبما انه ينبغي للشيوعيين ان لا يضنوا بصحتهم وحياتهم من اجل مكاسب الثورة ، فينبغي القيام بالعمل مجانا . ينبغي القيام **بالسبت الشيوعي** في عموم الدائرة حتى النصر التام على كولتشاك» .

بعد بعض الترددات ، تمت المصادقة على هذا الاقتراح بالاجماع .

ويوم السبت ، في ١٠ ايار (مايو) ، الساعة السادسة مساء ، جاء الشيوعيون والمحبذون الى العمل كالجنود ، وانتظموا في صفوف ، وبدون هوشـــة وزعهم الوكلاء على اماكن العمل .

ان نتائج العمل **على النمط الثوري بادية للعيان .** والجدول الوارد ادناه يشير الى المؤسسات والى طابع العمل . (راجع ص ٦٨-٦٩ - . **الناشر**) .

قيمة العمل الاجمالية حسب معدل الاجرة العـــادي ٥٠٠٠ الف روبل ، مع العلم ان اجرة الساعة الاضافية يزيد ٥٠ بالمئة على اجرة الساعة العادية .

شدة العمل في الشحن تزيد ٢٧٠ بالمئة من شدة عمل العمال العاديين . الاعمال الباقية بالشدة نفسها تقريبا .

قضي على تاخير الطلبيات (العاجلة) من ٧ ايام حتى ثلاثة اشهر من جراء نقص اليد العاملة والمماطلة .

جرى العمل مع وجود خلل (من السهل ازالته) في الادوات أخّر بعض الفرق من ٣٠ الى ٤٠ دقيقة .

الادارة المعينة لقيادة الاعمال ، بالكد تسنى لها ان تهيّئ اعمالا جديدة ، ولربما يتسم ببعض المبالغة فقط قول وكيل عجوز بانه تحقق في **السبت الشيوعي** عمل اسبوع ، مقابل عمل العمال المهملين وغير الواعين .

وبما انه جاء ايضا الى الاعمال مجرد انصار السلطة السوفييتية الصادقين وبما انه من المتوقع تدفق هؤلاء في السبوت المقبلة ، وكذلك رغبة الدوائر الاخرى في الاقتداء بالشيوعيين من عمال سكة حديد موسكو ــ كازان ، سانتوقف بمزيد من التفصيل عند الجانب التنظيمي استنادا الى المعلومات الواردة من المطارح .

١٠ بالمئة ممن اشتركوا في الاعمال كانوا شيوعيين يشتغلون على الدوام في الامكنة المعنية . والباقون ممن يشغلون مناصب مسؤولة وانتخابية ابتداء من مفوض السكة حتى مفوض مؤسسة معنية ، وكذلك مفوض نقابة ، وعاملون في ادارة او مفوضية المواصلات .

مكان العمل	العمل المقرر	عدد العمال	عدد الساعات		العمل الناجز
			الوحدة الزمنية	الحاصل	
موسكو. المشاغل الرئيسية للقاطرات	شحن المواد للخط، ادوات تصليح القاطرات	٤٨	٥	٢٤٠	تم شحن ٧٥٠٠ بود
	وقطع العربات في بيروفو –	٢١	٣	٦٣	وتفريغ ١٨٠٠
	موروم – آلاتير ، سيزران	٥	٤	٢٠	بود
موسكو. مستودع قاطرات وعربات الركاب	تصليح جار معقد للقاطرات البخارية	٢٦	٥	١٣٠	بالاجمال تم تصليح ١١/٢ قاطرة بخارية
موسكو. سورتير وفوتشنايا	تصليح جار للقاطرات البخارية	٢٤	٦	١٤٤	تم تصليح قاطرتين بخاريتين وتفكيك القطع المعدة لتصليح اربع قاطرات بخارية

تتمة الجدول

مكان العمل	العمل المقرر	عدد العمال	عدد الساعات: الوحدة الزمنية	عدد الساعات: الحاصل	العمل الناجز
موسكو. قسم العربات.	تصليح جار لعربات الركاب	١٢	٦	٧٢	تم تصليح عربتين من الدرجة الثالثة
بيروفو. المشاغل الرئيسية للعربات	تصليح العربات وتصليح بسيط يومي السبت والاحد	٤٦ ٣٢	٥ ٥	٢٣٠ ١١٥	تم تصليح ١٢ عربة مسقوفة للبضائع وعربتين مسطحتين
	الحاصل	٢٠٥	—	١٠١٤	بالأجمال تم تصليح ٤ قاطرات بخارية و ١٦ عربة وتم شحن وتفريغ ٩٣٠٠ بود

ان الحماسة والتكاتف في العمل لا سابق لهما . وعندما اخذ العمال والمستخدمون والاداريون ، دون شتائم ومجادلات ، اطار دولاب وزنه ٤٠ بودا لقاطرة بخارية للركاب ، ودحرجوه الى مكانه ، كنمل دؤوب على العمل ، انبثق في القلب شعور حار بالفرح من جراء العمل الجماعي ووطد الايمان في مناعة انتصار الطبقة العاملة . فلن يتمكن الضواري العالميون من خنق العمال الظافرين ، وعبثا ينتظر التخريب الداخلي كولتشاك .

عند نهاية الاعمال ، شهد الحاضرون لوحة لا سابق لها : فان مائة شيوعي ، ارهقهم التعب ولكن عيونهم تشع بالفرح ، حيوا نجاح القضية بانغام الاممية المهيبة ، فخيل ان هذه الموجات المظفرة من النشيد المظفر ستنداح وراء الجدران فوق موسكو العمالية ، وستنتشر ، كموجات ناجمة عن رمي حجر ، في ربوع روسيا العمالية وتهز التعبين والمهملين .

أ . ج .

وفي سياق تقدير هذا «المثال الجديد بالاقتداء» ، والفائق الروعة ، كتبت «البرافدا» بتاريخ ٢٠ ايار (مايو) في مقالة الرفيق ن . ر . ، تحت هذا العنوان :

«ان حالات هذا النوع من عمل الشيوعيين ليست نادرة . فانا اعرف حالات كهذه في محطة كهربائية وفي مختلف السكك الحديدية . ففي سكة نيكولاييفسكايا ، اشتغل

الشيوعيون بضع ليال اضافية على رفع قاطرة بخارية سقطت في دوارة ؛ وعلى سكة الشمال ، اشتغل جميع الشيوعيين والمحبذين ، خلال الشتاء ، بضعة آحاد ، في تنظيف السكة من الثلج ، والخلايا الحزبية في عدد كبير من محطات البضائع تقوم بدوريات ليلية في المحطات لأجل مكافحة سرقة المشحونات ؛ ولكن هذا العمل كان من باب الصدفة ، لم يكن دائبا منتظما . وقد حمل الرفاق من سكة موسكو ــ كازان شيئا جديدا جعل هذا العمل دائبا ، منتظما ، دائما . «حتى النصر التام على كولتشاك» . هكذا قرر الرفاق من سكة موسكو ــ كازان ، وفي هذا كل اهمية عملهم . وهم يمددون ساعة واحدة يوم عمل الشيوعيين والمحبذين خلال زمن حالة الحرب كله . وهم في الوقت نفسه يضربون المثل على العمل المنتج .

وهذا المثال قد ادى **ولا بدّ له** ان يؤدي الى الاقتداء به لاحقا . فان الشيوعيين والمحبذين في سكة حديد الكسندروفسكايا ، بعد ان بحثوا في اجتماعهم العام الوضع الحربي وقرار الرفاق من سكة موسكو ــ كازان ، قرروا :

١ ــ تطبيق «السبوت» على الشيوعيين والمحبذين في سكة حديد الكسندروفسكايا . يعين السبت الاول في ١٧ ايار (مايو) .

٢ ــ تنظيم الشيوعيين والمحبذين في فرق مثالية ، نموذجية ، ينبغي لها ان تبين للعمال كيف يجب العمل وما يمكن فعله في الواقع بواسطة ما هو موجود من المواد والادوات والاغذية .

ويستفاد من اقوال الرفاق من سكة موسكو – كازان ان مثالهم قد ترك انطباعا كبيرا ، وهم يتوقعون في السبت المقبل مجيء عدد كبير من العمال **اللاحزبيين** الى العمل . وعند كتابة هذه السطور ، لم يكن عمل الشيوعيين الاضافي قد بدأ بعد في مشاغل سكة الكسندروفسكايا ؛ الا انه سرت اشاعة عن الاعمال المتوقعة ، واذا الجمهور اللاحزبي ينفعل ويبدأ بالكلام . «نحن لم نعرف امس والا لكنا تهيانا واشتغلنا ايضا» ، «في السبت المقبل سآتي حتما» . هكذا يقولون في كل مكان . ان الانطباع الذي يتركه هذا النوع من الاعمال كبير جدا .

ينبغي ان تقتدي جميع الخلايا الشيوعية في المؤخرة بمثال الرفاق من سكة موسكو – كازان . ينبغي ان تقتدي بهذا المثال ، لا الخلايا الشيوعية في عقدة موسكو وحسب ، بل ايضا المنظمة الحزبية كلها في روسيا . وفي القرى يجب على الخلايا الشيوعية ان تنصرف بالدرجة الاولى الى حراثة حقول رجال الجيش الاحمر وتساعد عائلاتهم .

لقد انهى الرفاق من سكة موسكو – كازان عملهم في السبت الشيوعي الاول بنشيد الاممية . واذا اقتدت المنظمة الشيوعية في عامة روسيا بهذا المثال وعملت به ابدا ودائما ، فان جمهورية روسيا السوفييتية ستعيش الاشهر العصيبة القريبة القادمة على هدير الحان الاممية ينشدها جميع شغيلة الجمهورية ...

فالى العمل ، ايها الرفاق الشيوعيون !» .

وفي ٢٣ ايـــار (مايو) ١٩١٩ ، افـــادت «البرافدا» ما يلي :

«في ١٧ ايار ، جرى اول «سبت» شيوعي في سكة حديد الكسندروفسكايا . فبموجب قرار من الاجتماع العام ، اشتغل ٩٨ شخصا من الشيوعيين والمحبذين ٥ ساعات اضافية ، ومجانا ، ولم ينالوا غير الحق في الغداء مرة ثانية نقدا وعدا ، مع العلم ان كلا منهم ، بوصفه عاملا جسديا ، اعطي ٢٠٠ غرام من الخبز للغداء نقدا وعدا» .

ورغم ان العمل كان ضعيف التحضير وضعيف التنظيم ، **كانت انتاجية العمل توازي انتاجية العمل العادية مرتين او ثلاث مرات .**

اليكم امثلة :

خلال ٤ ساعات ، صنع ٥ خراطين ٨٠ محورا . انتاجية العمل تزيد ٢١٣ بالمئة عن انتاجية العمل العادية .

خلال ٤ ساعات جمـــع ٢٠ فاعلا مادة قديمة وزنها ٦٠٠ بود و٧٠ يايا للعربات الحديدية وزن الواحد منها ٣١/٢ بودات ، اي بالاجمال ٨٥٠ بودا . انتاجية العمل تزيد ٣٠٠ بالمئة عن انتاجية العمل العادية .

«ويفسر الرفاق هذا بكــون العمل في الوقت العادي اصبح مملا ، مضجرا ، بينما يعملون هنا بطيبة خاطر وحماسة . ولكن العامل سيستحي بعد الآن اذا انتج في الوقت العادي اقل مما في السبت الشيوعي» .

«والآن يعلن كثيرون من العمال اللاحزبيين عن رغبتهم في الاشتراك بالسبوت . وتتطوع فرق القاطرات البخارية لأخذ قاطرة من «المقبرة» يوم السبت وتصليحها وتشغيلها .

وقد وصلت انباء تفيد ان سبوتا كهذه تنظم على سكة حديد فيازما» .

وفي «البرافدا» بتاريخ ٧ حزيران (يونيو) ، يكتب الرفيق أ . دياتشنكو كيف يجري العمل في هذه السبوت الشيوعية . وفيمـــا يلي نورد القسم الرئيسي من مقالته وعنوانهـــا «ملاحظات بصدد السبت» :

« بفرح كبير اعتزمت مع رفيقي ان امضي «مدة الخدمة» السبتية بموجب قرار من اللجنة الحزبية لعمال السكة الحديدية في الدائرة ، وان اريح رأسي موقتا ، لبضع ساعات ، بالحصول على عمل للعضلات ... ينتظرنا عمل في مصنع السكة لتكييف الخشب . جئنا ورأينا رفاقنا ، وسلّمنا بعضنا على بعض ، ومزحنا ، وحسبنا القوى ـ ٣٠ بالاجمال ... وامامنـــا شيء «فظيع» اي مرجل بخاري وزنه كبير جدا ، يتراوح بين ٦٠٠ و٧٠٠ بود ، وعلينا نحن «نقل»

هذا المرجل ، اي ان نسحبه مسافة قد تبلغ ١/٤ او ١/٣ فرسخ الى الرصيف . بدأ الشك يخامرنا ... ولكن هـا نحن نقدم على العمل : بكل بساطة ، وضع الرفاق تحت المرجل عوارض خشبيـة ، وربطوا بهـا حبلين ، وبدأ العمل ... لم يستسلم المرجل بطيبة خاطر ، ولكنه تحرك مع ذلك . ويتملكنـا السرور ، ذلك لأننـا قلة ... ذلك ان هذا المرجل نفسه سحبه خلال اسبوعين تقريبا عمال غير شيوعيين يوازي عددهم ثلاثة امثال عددنا ، ولكنه عائد منتظرا قدومنا ... عملنا ساعة ، بقوة وتكاتف تحت اوامر منتظمة : «واحد ، اثنان ، ثلاثة» يصدرها رفيقنا الرئيس ، وكان المرجل يسير ويسير . وفجاة ، ما هذا ؟ فجأة ، تدحرج فريق كامل من الرفاق بصورة مضحكة : فان الحبل «خان» ايدينا ... ولكن التوقف دام لحظة : فمكانه ربطنا حبلا ضخما ... المساء . العتمة تهبط بشكل ملحوظ ، ولكنه لا يزال يترتب علينا ان نجتاز تلة صغيرة ، وآنذاك ينتهي العمل بسرعة . الايدي تتشقق ، الراحات تلتهب ، ونلتهب نحن ، ونكبس كبسا ، وينجح العمل . «الادارة» الواقفة تأخذها الحيرة من النجاح ، فتقبض كذلك على الحبل الضخم عن غير قصد : ساعد ! آن الاوان من زمان ! ها هو ذا رجل من الجيش الاحمر يستغرق في النظر الى عملنا . بين يديه اكورديون . بمَ يفكر ؟ من هم هؤلاء الناس ؟ وماذا يريدون يوم السبت بينا الجميع يقبعون في بيوتهم ؟ فهمت ما يحدس به وقلت : «يا رفيق ! اعزف لنا لحنا

مرحا ، فنحن لسنا شغيلـــة من الشغيلـــة ، بل شيوعيون حقيقيون ، ألا ترى كيف يسرع العمل بين ايدينـــا ، ولا نتكاسل ، بل نكبس كبسا» . وضع رجل الجيش الاحمر الاكورديون على الارض باحتراس ، واسرع الى الحبل الضخم . . .

— «الانجليزي حكيم !» — قالها الرفيق او . بنغمة تينور جميلة . ورددنا معه ، واذا كلمات الاغنية العمالية : «هه ، يا هراوة ، لنضرب ، لنسحب ، لنسحب !» تتردد قوية صمّاء .

من فقدان العادة ، تعبت العضلات ، وانكسرت الاكتاف والظهور ولكن . . . الى قدام يوم حر ، يوم الراحة ، وسيتسنى لنا الوقت للنوم . الهدف قريب ، وبعد ترددات صغيرة ، وصل «فظيعـ»ـنا الى الرصيف او يكاد : مدوا الواحا خشبية ، وضعوه على الرصيف ، وليعط هذا المرجل عملا ينتظرونه منه من زمان . اما نحن ، فنمضي جماعة الى الغرفة ، الى «نادي» الخلية الحزبية المحلية ، حيث الجدران مغطاة باللوحات الدعائية ، والبنادق مجمعة بكثرة ، والنور ساطع ، وبعد ان اجدنا انشاد «الاممية» ، تلذذنا بالشاي مع «الروم» وحتى مع الخبز . وهذه المادبة التي استقبلـَنا بها الرفاق المحليون جاءت في الوقت المناسب بالضبط بعد عملنـــا المرهق . وودعنا الرفاق بصورة اخوية وانتظمنا صفوفا . وفضت اغاني الثورة سكون الليل في الشارع النائم ، ورددت الخطوات المنتظمة انغام الاغاني . «بجرأة ، يا رفاق ، طابقوا

الخطوات» . ولننشد نشيدنا ، نشيد الامية والعمل : «هبوا ايها المعذبون في الارض» .

ومر اسبوع . استراحت ايدينا واكتافنا ، فرحنا هذه المرة الى «السبت» على بعد ٩ فراسخ ، لنصنع العربات الحديدية . وذلك في بيروفو . صعد الرفاق الى سطح «الاميركية» وراحوا ينشدون «الاممية» بصوت مدو جميل . واخذ جمهور القطار يستمع ومن المؤكد ان العجب تملكه . الدواليب تضرب بانتظام ؛ اما نحن ، فلم يتسنّ لنا الوقت للتسلق الى السطح ، فتعلقنا حول «الاميركية» على السلالم ، كاننا ركاب «متهورون» . ها هو ذا الموقف ؛ لقد بلغنا الهدف . ولعبر باحة طويلة ونلتقي بالرفيق المفوض غ. يشع فرحا .

– يوجد عمل ، ولكن الناس قليلون ! ٣٠ فقط ، مع انه ينبغي خلال ٦ ساعات تصليح ١٣ عربة ! ها هي ذي دواليب موسومة ؛ ولا توجد فقط عربات فارغة ، بل هناك ايضا صهريج مليء ... ولكن لا باس ، «سنتكيف»، يا رفاق !

العمل يغلي غليانا . انا وخمسة رفاق نشتغل بالامخال . ان ازواج الدواليب هذه ، التي يتراوح وزنها بين ٦٠ و٧٠ بودا تقفز بخفة وسرعة ، من خط الى خط ، تحت ضغط اكتافنا ، بمساعدة مخلين ، وبناء على توجيه الرفيق الرئيس . نسحب زوجا ، فياتي زوج جديد محله . ها هي ذي كل الازواج وجدت مكانا لها ، وهذا القديم التالف ندفعه كله بسرعة

واي سرعة على القضبان الفولاذية الى المستودع ... واحد ، اثنان ، ثلاثة ، ـ تتلقفها في الهواء بامخال حديدية ، فتغيب فورا من على القضبان الحديدية . هناك ، في العتمة ، تطرق المطارق ، فالرفاق يعملون بسرعة كالنحل قرب عرباتهم «المريضة» . وينجّرون ، ويدهنون ويغطون السقف ؛ العمل يغلي غليانا لما فيه سرورنا وسرور رفيقنا المفوض ايضا . وهناك كذلك احتاج الحدادون كذلك الى ايدينا . في الفرن النقال «قطعة حديدية» ملتهبة اي عارضة عربة مع خطاف مقوس بسبب ضربة خرقاء . على صفيحة من الحديد الصب ، كان المحور ابيض يطلق شرارات ، فشرع يأخذ شكله العادي تحت ضرباتنا الصحيحة ونظرة رفيق محنك . لا يزال بعد ابيض احمر ، وعلى اكتافنا ينزل بسرعة كبيرة في مكانه ، ويتوضع في ثغرة حديدية مطلقا الشرارات ؛ بضع ضربات ، واذا به في مكانه . ونزلق تحت العربة . ان تركيب هذه الخطاطيف والقطعات هناك ليس بسيطا بالقدر المظنون ؛ فهناك منظومة كاملة مرفقة بالمسامير المثناة وبنابض حلزوني ...

العمل يغلي ، الليل يهبط بعتمته ، المشاعل تلتهب بمزيد من السطوع . النهاية عمّا قريب . قسم من الرفاق «يندس» في كومة من الاطارات و«يمزمز» شايا ساخنا . ليلة طرية من شهر ايـار (مايو) ، وجميل في السمـاء منجل الهلال الطالع . نكات ، وضحك ، وفكاهة طيبة .

ــ يا رفيق غ .، اترك العمل ، تكفيك ١٣ عربة !

ولكن هذا قليل للرفيق غ ..

انتهى الشاي ، وبدأنا اغانينا المظفرة ، ها نحن نقوم لنخرج ...» .

ان الحركة بتأييد تنظيم «السبوت الشيوعية» لم تقتصر على موسكو . ففي ٦ حزيران (يونيو) ، نشرت «البرافدا» :

«في ٣١ ايار ، جرى اول سبت شيوعي في تفير . فعلى السكة الحديدية ، اشتغل ١٢٨ شيوعيا . خلال ٣ ساعات ونصف الساعة ، تم شحن وتفريغ ١٤ عربة ، وتصليح ٣ قاطرات بخارية ، ونشر اكثر من ٢٠ مترا مكعبا من الخشب ، وتحققت اعمال اخرى . ان شدة عمل العمال الاكفاء الشيوعيين زادت على انتاجية العمل العادية الى ١٣ مرة» .

ثم نقرأ في «البرافدا» بتاريخ ٨ حزيران :

السبوت الشيوعية

«**ساراتوف** . في ٥ حزيران . استجابة لنداء الرفاق من موسكو ، قرر الشيوعيون من عمال السكة الحديدية في الاجتماع الحزبي العام : العمل في ايام السبت مجانا مدة خمس ساعات اضافية تدعيما للاقتصاد الوطني» .

* * *

لقد أوردت بأكثر ما يكون من التفصيل والكمال معلومات حول السبوت الشيوعية ، لأنها ، يقينا ،

مظهر من أهم مظاهر عمل البناء الشيوعي ، مظهر لا توليه صحافتنا الانتباه الكافي ، ولمّا نقدّره جميعنا التقدير الكافي .

أقل من الثرثرة السياسية ، وأكثر من الانتباه لأبسط وقائع البناء الشيوعي ، التي هي مع ذلك وقائع حية ، مستقاة من الحياة وأثبتت صحتها الحياة ! — هذا الشعار ، ينبغي لنا ، نحن جميعا ، الكتاب ، والمحرضين ، والدعاة ، والمنظمين ، الخ ، ان نردده بلا كلل .

طبيعي ، ومحتم ، ان ما يهمنا بالدرجة الاولى ، غداة الثورة البروليتارية ، انما هو المهمة الرئيسية والاساسية التالية : التغلب على مقاومة البرجوازية ، التغلب على المستثمرين ، وسحق مؤامراتهم (مثل «مؤامرة مالكي العبيد» لتسليم بتروغراد ، تلك المؤامرة التي اشترك فيها الجميع ، من المئة السود والكاديت حتى المناشفة والاشتراكيين — الثوريين ايضا (٢٥)) . ولكن ، الى جانب هذه المهمة ، توضع ، بنفس الضرورة وبقوة متزايدة أبدا ، مهمة أهم ، هي مهمة بناء الشيوعية الايجابي ، مهمة خلق علاقات اقتصادية جديدة ، ومجتمع جديد .

ان ديكتاتورية البروليتاريا — كما سبق لي وأشرت مرارا عديدة ، منها في خطابي بتاريخ ١٢ آذار (مارس) في جلسة سوفييت نواب بتروغراد —

لا تعني فقط استعمال العنف ازاء المستثمرين ، بل انها لا تعني أساسا العنف . ان الأساس الاقتصادي لهذا العنف الثوري ، ان ضمان حيويته ونجاحه ، هو ان البروليتاريا تمثل وتحقق ، بالقياس الى الرأسمالية ، النموذج الأعلى لتنظيم العمل في المجتمع . ذلك هو جوهر المسألة . ومن هنا تنبع القوة ، من هنا ضمان انتصار الشيوعية التام المحتوم .

ان التنظيم الاقطاعي للعمل الاجتماعي كان يرتكز على طاعة العصا ، على الأمية والحد الأقصى من ارهاق الشغيلة ، الذين كانت تنهبهم وتستبد بهم حفنة من الملاكين العقاريين . وكان التنظيم الرأسمالي للعمل الاجتماعي يرتكز على طاعة الجوع ؛ وكان السواد الأعظم من الشغيلة يظلون ، حتى في أكثر الجمهوريات المتمدنة والديموقراطية تقدما ، ورغم كل التقدم الذي حققته الثقافة البرجوازية والديموقراطية البرجوازية ، جماهير مرعوبة وجاهلة من العبيد المأجورين أو الفلاحين المرهقين ، تنهبهم وتستبد بهم حفنة من الرأسماليين . اما التنظيم الشيوعي للعمل الاجتماعي ، الذي تشكل الاشتراكية الخطوة الاولى في سبيله ، فانه يرتكز وسيرتكز أكثر فأكثر على طاعة واعية يتقبلها الشغيلة أنفسهم بملء حريتهم ، بعد ان يخلعوا نير الملاكين العقاريين والرأسماليين على السواء .

ان هذه الطاعة الجديدة لا تهبط من السماء ولا تنبثق عن التمنيات الطيبة ؛ انما تنبثق عن أوضاع الانتاج الرأسمالي الكبير المادية ، وعن هذه الأوضاع وحدها . وهي مستحيلة دون هذه الأوضاع . والحال ، ان حامل هذه الأوضاع المادية او محققها ، انما هو طبقة تاريخية معينة كوّنتها الرأسمالية الكبيرة وثقفتها ، ونظّمتها ، وعلّمتها ، وشدّت من لحمتها ، ومرّستها وقوّت ساعدها . هذه الطبقة هي البروليتاريا .

ان ديكتاتورية البروليتاريا ، اذا فسّرنا هذا التعبير اللاتيني العلمي ، التاريخي الفلسفي ، بلغة أسهل ، انما تعني :

ان طبقة معينة ، - اي عمال المدن وبوجه عام ، عمال المعامل ، العمال الصناعيين - هي وحدها قادرة على قيادة كل جمهور الشغيلة والمستثمَرين في النضال من أجل خلع نير الرأسمال ، وخلال عملية الخلع هذه ، وفي النضال من أجل الحفاظ على النصر وتوطيده ، وفي عمل خلق نظام اجتماعي جديد ، اشتراكي ؛ في كل النضال من أجل محو الطبقات محوا تاما . (ونلاحظ بين هلالين : ان التمييز العلمي بين الاشتراكية والشيوعية يقوم فقط في كون الكلمة الاولى تعني الدرجة الاولى من المجتمع الجديد المنبثق عن الرأسمالية ؛ وفي كون الكلمة الثانية تعني الدرجة التالية ، العليا ، من هذا المجتمع .)

ان خطــأ أممية «برن» (٢٦) ، او الأمميــة الصفراء ، هو ان زعماءهــا لا يعترفون إلا قــولا بالنضال الطبقي وبدور البروليتاريا القيادي : الهــم يخشون التفكير الى النهاية ، يخافون بالضبط هذا الاستنتاج المحتوم الذي يرعب البرجوازية أشد الرعب والذي لا يمكنها أبدا القبول به . انهم يخافون من الاعتراف بان ديكتاتورية البروليتاريا هي **ايضا** مرحلة من مراحل النضــال الطبقي المحتــوم طالمــا لم تمحَ الطبقات ، والذي تتغير أشكالــه ، وتشتــد ضراوته وحدّته ، ويغدو جد أصيل في الازمنة الاولى التي تلي اسقاط الرأسمال . ان البروليتاريا لا تكف عن النضــال الطبقي بعد الاستيلاء على السلطــة السياسية ؛ انما تواصل النضال حتى محو الطبقات ، ولكن ، طبعــا ، في أحوال أخرى ، بشكل آخر ، بوسائل أخرى .

وماذا يعني «محو الطبقات» ؟ ان جميع الذين يقولون عن أنفسهم انهم اشتراكيون يقرّون بهدف الاشتراكية النهائي هذا ، ولكن ليس الجميع ، بالطبع ، يفكرون بمعناه . ان كلمة طبقات تطلق على جماعات واسعة من الناس ، تمتاز بالمكان الذي تشغله في نظام للانتاج الاجتماعي محدد تاريخيا ، بعلاقتها (التي يحددها ويكرسها القانون في معظم الاحيان) بوسائل الانتــاج ، بدورهــا في التنظيم الاجتماعي

للعمل ، وبالتالي ، بطـرق الحصـــول على الثروات الاجتماعية وبمقدار حصتها من هذه الثروات . ان الطبقات هي جماعات من الناس ، تستطيع احداها ان تستملك عمل جماعة اخرى بسبب الفرق في المكان الذي تشغله في نمط معين من الاقتصاد الاجتماعي .

وواضح انه ، من أجل محو الطبقات تماما ، لا يكفي اسقاط المستثمرين ، الملاكين العقاريين والرأسماليين ، لا يكفي الغاء ملكيتهم ، انما ينبغي ايضا الغاء **كل** ملكية خاصة لوسائل الانتاج ؛ ينبغي ازالة الفرق بين المدينة والريف كمـــا ينبغي ازالة الفرق بين العمل اليدوي والعمل الفكري . وانها لمهمة طويلة النفس . ولأجل القيام بها ، ينبغي تحقيق خطوة كبيرة الى الامام في تطوير القوى المنتجة ؛ ينبغي التغلب على مقاومة العديد من بقايا الانتاج الصغير (هذه المقاومة السلبية احيانا ، العنيدة خاصة ، والتي يصعب التغلب عليها صعوبة) ؛ ينبغي قهـــر القوة الهائلة الكامنة في العادة والرتوب ، والمتعلقة بهذه البقايا .

ان القول بان جميع «الشغيلة» أهل لهذه المهمة على قدم المساواة ، انما هو قول لا معنى له اطلاقا أو وهـــم من اوهام اشتراكي من قبل الطوفان ، من قبل ماركس . لأن هذه الاهلية لا تأتي من تلقاء نفسها ؛ انما تنبثق تاريخيا وتنبثق **فقط** من ظروف الانتاج

الرأسمالي الكبير المادية . وفي بداية الطريق التي تقود من الرأسمالية الى الاشتراكية ، لا يملك هذه الاهلية إلا البروليتاريا . فهي قادرة على القيام بالمهمة الجليلة الخطيرة ، الملقاة على عاتقها ، اولا لأنها الطبقة الأقوى والأكثر تقدما في المجتمعات المتمدنة ؛ ثانيا ، لأنها تشكل أغلبية السكان في البلدان الأكثر تطورا ؛ ثالثا ، لأن أغلبية السكان في البلدان الرأسمالية المتأخرة ، مثل روسيا ، تتألف من أنصاف بروليتاريين ، اي من اناس يعيشون ، بانتظام ، قسما من السنة كبروليتاريين ، ويسعون ابدا وراء معيشتهم ، مشتغلين ، الى حد ما ، اجراء في المؤسسات الرأسمالية .

ان الذين يريدون ان يحلوا قضية الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية بوساطة أفكار مطروقة حول الحرية والمساواة والديموقراطية ، بوجه عام ، ومساواة ديموقراطية العمل ، الخ . (كما يفعل كاوتسكي ومارتوف وغيرهما من زعماء أممية برن الصفراء) ، انما يفضحون فقط طبيعتهم البرجوازية الصغيرة وتفاهتهم وضيق أفقهم ويتكشفون عن اناس ينساقون باستخذاء وراء البرجوازية ، من الناحية الفكرية . ان حل هذه القضية حلا صحيحا لا يمكن ان تعطيه سوى دراسة ملموسة للعلاقات الخاصة بين الطبقة الخاصة التي استولت على السلطة

السياسية ، ونعني بها البروليتاريا ، وبين كل الجماهير غير البروليتارية ، وكذلك انصاف البروليتاريين من السكان الكادحين ؛ وهذه العلاقات لا تتكوّن ضمن ظروف روعة في الانسجام والتناسق ، ضمن ظروف «مثالية» ، بل ضمن ظروف واقعية ، ظروف مقاومة ضارية متعددة الوجوه من جانب البرجوازية .

ان الأغلبية الساحقة من السكان ـ وبالاحرى من السكان الكادحين ـ في اي بلد رأسمالي كان ، بما في ذلك روسيا ، قد عانت الف مرة بنفسها وعرفت من تجربة القريبين منها نير الرأسمال ، ونهب الرأسمال ، وشتى أنواع الاهانة . وقد جاءت الحرب الامبريالية ، اي ذبح عشرة ملايين انسان لمجرّد معرفة اي من الرأسمال الانجليزي او الرأسمال الألماني ينبغي ان تعود اليه الاولوية في نهب العالم بأسره ، فزادت من تفاقم هذه المحن ووسّعتها ، وعمّقتها الى حد كبير جدا ؛ وحملت الناس على ادراك هذه المحن . ومن هنا كان هذا العطف المحتوم الذي تبديه الأغلبية الساحقة من السكان ، وبخاصة سواد الشغيلة ، ازاء البروليتاريا التي تخلع نير الرأسمال بشجاعة بطولية ، وبعزيمة ثورية راسخة ، وتسقط المستثمرين ، وتسحق مقاومتهم ، وتشق ، بدمها ، سبيلا نحو انشاء مجتمع جديد ، لا مكان فيه للمستثمرين .

ومهما كانت كبيرة ومحتومة الترددات والتراجعات البرجوازية الصغيرة نحو «النظام» البرجوازي من

جانب الجماهير غير البروليتارية ونصف البروليتارية من السكان الكادحين ، لكي تضع نفسها تحت «جناح» البرجوازية ، الا ان هذه الجماهير لا تستطيع الامتناع عن الاقرار بنفوذ البروليتاريا المعنوي والسياسي ، اذ ان البروليتاريا لا تسقط المستثمرين وتسحق مقاومتهم وحسب ، بل تشيد ايضا علاقات اجتماعية جديدة ، ارقى ، وطاعة اجتماعية جديدة ، ارقى : هي طاعة الشغيلة الواعين المتحدين ، الذين لا يعرفون فوقهم اي نير ولا اية سلطة غير سلطة اتحادهم ، غير سلطة طليعتهم التي هي أكثر وعيا ، واقداما ، وتجانسا ، وثورية ، وثباتا .

ولأجل احراز النصر ، لأجل انشاء الاشتراكية وترسيخها ، ينبغي على البروليتاريا ان تقوم بمهمتين ليستا سوى واحدة : اولا ، ينبغي عليها ان تجتذب كل جمهور الشغيلة والمستثمَرين بمثال البطولة المتفانية التي تبديها اثناء نضالها الثوري ضد الرأسمال ؛ ان تجتذب هذا الجمهور وتنظمه وتقوده بغية اسقاط البرجوازية وسحق كل مقاومة من جانبها سحقا ؛ ثانيا ، ينبغي عليها ان تقود وراءها كل جمهور الشغيلة والمستثمَرين ، وكذلك كل الفئات البرجوازية الصغيرة ، في طريق القيام بعمل جديد من البناء الاقتصادي ، بغية خلق علاقات اجتماعية جديدة ، وطاعة جديدة في العمل ، وتنظيم جديد للعمل

من شانه ان ينسّقَ آخر منجزات العلـم والتكنيك الرأسمالي مع حشد جماهير الشغيلة الواعين المنصرفين الى خلق الانتاج الاشتراكي الكبير .

ان هذه المهمة الأخيرة هي أصعب من الأولى ، اذ لا يمكن ابدا ان تحلها بطولـة اندفاع منفرد ، منعزل ؛ انها تتطلب بطولة القيـام بعمل جماهيري يومي تبلغ أعلى درجات الثبات والعناد والصعوبـة . ولكن هذه المهمة هي ايضا أهم من الأولى ، لأن ينبوع أعمق ما يكون من العزيمـة لأجل احراز الانتصارات على البرجوازية والضمان الوحيد لمتانة هذه الانتصارات ورسوخها ، لا يمكن ان يكون ، في آخر تحليل ، سوى أسلوب جديـد في الانتاج الاجتماعـي ، أرقـى ، والاستعاضة عن الانتاج الرأسمالي والبرجوازي الصغير بالانتاج الاشتراكي الكبير .

* * *

ان «السبوت الشيوعية» ترتدي أهمية تاريخية هائلة ، خصوصا لأنهـا تبين مبادرة العمـال الحرة الواعية ، الى زيادة انتاجيـة العمل ، الى تبنّي روح طاعة جديدة في العمل ، الى خلق شروط الاشتراكية في الميدان الاقتصادي وفي الحياة .

وقد قال ي . ياكوبي وهو من الديموقراطيين البرجوازيين الألمان النادرين ، وقد يكون من الأصح القول ، من النادرين جداً ، الذين لم ينتقلوا ، بعد دروس ١٨٧٠ ـ ١٨٧١ ، لا الى الشوفينية ولا الى القومية ـ الليبيرالية ، بل الى الاشتراكية ، ـ قال ياكوبي بأن لتاسيس جمعية عمالية من الأهمية التاريخية أكبر مما لمعركة سادوفا (٢٧) . هذا صحيح . فان معركة سادوفا قد فصلت في مسألة معرفة اي من الملكيتين البرجوازيتين ـ النمساوية ام البروسية ـ هي التي ستتولى الزعامة في انشاء الدولة الرأسمالية القومية الألمانية . اما تأسيس جمعية عمالية ، فقد كان خطوة صغيرة في الطريق الذي يؤول الى انتصار البروليتاريا العالمي على البرجوازية . كذلك نستطيع القول ان اول سبت شيوعي نظمه في موسكو عمال سكة حديد موسكو ـ كازان في ١٠ ايـار (مايو) ١٩١٩ يرتدي أهمية تاريخية أكبر من اي انتصار أحرزه هندنبورغ او فوش والانجليز في الحرب الامبريالية ١٩١٤-١٩١٨ . ان انتصارات الامبرياليين انما هي ذبح الملايين من العمال في سبيل أرباح أصحاب المليارات الانجليز والاميركيين والفرنسيين ؛ انما هي وحشية الرأسمالية المحتضرة ، المتخمة ، المتعفنة . ان السبت الشيوعي لعمال سكة حديد موسكو ـ كازان هو خلية من خلايا المجتمع الجديد ،

الاشتراكي ، الذي يحمل لشعوب الكرة الارضية الخلاص من نير الرأسمال ومن الحروب .

ان السادة البرجوازيين واذنابهم ، بمن فيهم المناشفة والاشتراكيون-الثوريون ، الذين تعودوا اعتبار أنفسهم ممثلي «الرأي العام» ، يسخرون ، بالطبع ، من آمال الشيوعيين ؛ وهذه الآمال ، انما يثمنونها «سنديانة في اناء للزهور» ؛ وهم يسخرون من ضآلة عدد السبوت الشيوعية بالنسبة لكثرة أمثلة السرقة ، والكسل ، وانخفاض انتاجية العمل ، وتلف المواد الخام والمنتجات ، الخ .. بيد اننا نرد على هؤلاء السادة قائلين : لو ان المثقفين البرجوازيين يقدمون علمهم لمساعدة الشغيلة بدلا من ان يمنحوه للرأسماليين الروس والأجانب بقصد اعادة سلطتهم ، لتم الانقلاب بمزيد من السرعة والهدوء . ولكن ذلك ضرب من الأوهام ، لأن المسألة تحل بالنضال الطبقي ؛ والواقع ، ان معظم المثقفين يؤيدون البرجوازية . ان البروليتاريا لن تنتصر بمساعدة المثقفين ، بل رغم معارضتهم (على الأقل في معظم الحالات) ؛ ان البروليتاريا ستنتصر باقصائها المثقفين البرجوازيين الذين لا أمل في اصلاحهم ، باعادة تكوين المثقفين المترددين ، باعادة تربيتهم ، باخضاعهم لها ، باكتسابها الى جانبها تدريجيا قسما متعاظما ابدا منهم . الشماتة بمصاعب الانقلاب واخفاقاته ، زرع

الذعر ، المناداة بالتراجع ، تلك هي الطرائق والأساليب النضالية الطبقية التي يلجأ اليها المثقفون البرجوازيون . ولكن البروليتاريا لن تنخدع .

واذا نظرنا الى المسألة من حيث جوهرها ، فهل رأينا يوما في التاريخ ان أسلوبا جديدا في الانتاج قد رسخ من الدفعة الاولى ، دون ان يمرّ بسلسلة طويلة من الاخفاقات ، والأخطاء ، والانتكاسات ؟ فبعد نصف قرن من انهيار القنانة ، كانت الأرياف الروسية ما تزال تحتفظ بالعديد من بقاياها . وبعد نصف قرن من إلغاء استرقاق الزنوج في اميركا ، كان الزنوج ما يزالون أنصاف أرقاء في العديد من الأماكن . ان المثقفين البرجوازيين بمن فيهم المناشفة والاشتراكيون-الثوريون ، ما يزالون أمناء لأنفسهم ، انهم يخدمون الرأسمال ويحتفظون بذرائعهم المرائية الكاذبة : قبل الثورة البروليتارية ، كانوا يتهموننا بالطوبوية ؟ وبعد هذه الثورة يطالبون بان نزيل بقايا الماضي بسرعة بالغة مدهشة !

ولكننا لسنا بطوبويين ، واننا نعرف ما هي بالفعل قيمة «الحجج» البرجوازية ، ونحن نعلم ايضا ان بقايـــا الماضي ، في ميدان الآداب والاخلاق ، ستتغلب بالضرورة ، لفترة من الزمن بعد الانقلاب على بذور النظام الجديد . فعندما يكون الجديد في الأيام الاولى من ولادته ، يظل القديم دائما ، خلال

فترة من الزمن ، أقوى منه ؛ فتلك هي الحال أبدا في الطبيعة ، كما في الحياة الاجتماعية . ان السخرية من ضعف بذور الجديد ، والتشكك الرخيص عند جماعة المثقفين ، الخ . ، ان كل ذلك ليس بالاجمال سوى أساليب من النضال الطبقي الذي تخوضـــه البرجوازية ضد البروليتاريـــا ، سوى دفـــاع عن الرأسمالية ضد الاشتراكية . اما نحن ، فينبغي علينا ان ندرس بذور الجديد بعناية ، وان نمحضها الحد الأقصى من الانتباه ، وان نيسّر نموها بجميع الطرق ، وان « نعتني » بهذه النبتات الضعيفة . ان بعضهـــا سيهلك ، حتما . وليس بوسعنا ان نضمن ان « السبوت الشيوعية » على وجه الضبط ستضطلع بدور هام خاص . فالمسألة ليست هنا . ان المقصود هو ان نساعد جميع بذور الجديد ، أيا كانت ؛ والحياة تختار أيّها أكثر قابلية للبقاء . فاذا كان احد العلماء اليابانيين ، رغبة منه في مساعدة الانسانيـــة في التغلب على السيفلس ، قد تحلى بروح الصبر وجرّب ٦٠٥ من المستحضرات الطبية قبل ان يجد المستحضر السادس بعد الستمئـــة الذي يستجيب للشروط المطلوبة ، فانه يترتب على الذين يريدون حلّ قضية أصعب ، يريدون التغلب على الرأسمالية ، ان يتحلوا بما يكفي من روح المثابرة لكي يجرّبوا المئات

والآلاف من الأساليب الجديـدة والطرق الجديـدة ووسائل النضال الجديدة ، لكي يختاروا أفضلها .

ان «السبوت الشيوعية» قد بلغت هذه الدرجة من الأهمية لأنه بدأ بها عمال لم تتوافر لهم شروط صالحة بصورة استثنائية ، لأنه بدأ بها عمـال من شتى الاختصاصات ، بمن فيهم عمال غير مختصين ، فعلـة ، توافرت لهم شروط **عادية** ، اي **أصعب** الشروط . واننا لنعرف جميعا جيد المعرفة السبب الأساسي لتدهور انتاجية العمل ، الذي لا يلاحظ في روسيا وحسب ، بل في العالم بأسره ايضا : هذا السبب هو ما نجم عن الحرب الامبريالية من دمار وافتقار ، من تعب وغضب ، وكذلك الامراض وقلة التغذية . ان قلة التغذية تشغل المرتبة الاولى من حيث أهميتها . الجوع ، هذا هو السبب . والحال ، لأجل القضاء على المجاعة ينبغي زيادة انتاجية العمل في الزراعة ، وفي النقليات ، وفي الصناعة . ولذا نجد أنفسنا امام نوع من حلقة مفرغة : لأجل زيادة انتاجية العمل ، ينبغي الخلاص من المجاعة ، ولأجل الخلاص من المجاعة ، ينبغي زيادة انتاجية العمل .

ومعلوم ان مثل هذه التناقضات تُحلّ في الواقع بخرق هذه الحلقة المفرغة ، عن طريق اجراء انعطاف في مزاج الجماهير ، عن طريق المبادرة البطولية التي تبديها بعض الجماعات والتـي كثيرا مـا تلعب دورا

حاسما نظرا لهذا الانعطاف . ان العمال الفعلة وعمال السكة الحديدية في موسكــو (وأقصــد ، بالطبع ، الأغلبية ، لا حفنة من المضاربين والمدراء وغيرهم من الحرس الابيض) هم شغيلــة يعيشون في ظروف صعبة مرعبة . فقلة التغذية أمر دائم عندهم ، وهم الآن ، قبل الموسم الجديد ، ومن جراء تفاقم أزمة المواد الغذائية على نطاق عام ، يعانون الجوع بكل معنى الكلمة . والحال ، ان هؤلاء العمال الجيــاع ، الذين تحيط بهم الدعاية الحاقدة المعادية للثورة ، التي تشنها البرجوازية ويشنها المناشفة والاشتراكيون- الثوريون ، هم الذين ينظمون «السبوت الشيوعية» ، ويقدمون ساعات اضافية **دون اي مقابل** ، ويحققون **زيادة كبيرة جدا في انتاجية العمل** . هذا مع العلم انهم تعبون ، ضنك ، وهدّهم الجوع . أليست تلك أعظم البطولة ؟ أليست تلك بدايــة انعطاف ذي أهمية تاريخية عالمية ؟

ان انتاجية العمل ، انما هي ، في آخر تحليل ، الشيء الأهم ، الجوهري ، لانتصار النظام الاجتماعي الجديد . ان الرأسمالية قد خلقت انتاجيــة عمل لم تُعرف في عهد القنانة ، ويمكن التغلب نهائيا على الرأسمالية وسيتم التغلب عليها نهائيا ، لأن الاشتراكية تخلق انتاجية عمل جديدة ، أرفع بكثير . وانهــا لمهمة صعبة جدا وطويلة جدا ، غير انه **قد بدئ بها** .

وهذا هو الأمر الجوهري . فاذا كان عمال يعانون الجوع ، بعد ان عرفوا أربع سنوات قاسية من الحرب الامبريالية ثم ثمانية عشر شهرا من الحرب الأهلية أشد واقسى ، قد استطاعوا ، في موسكو الجائعة ، في صيف ١٩١٩ ، ان يبدأوا هذا العمل الخطير الجليل ، فاية خطوات الى الامام سنخطوها اذا ، بعد ما نحرز النصر في الحرب الاهلية ونظفر بالسلام ؟

ان الشيوعية انما هي انتاجية عمل تفوق انتاجية العمل الرأسمالية ، يقدمها عمال متطوعون ، واعون ، متشاركون ، يستغلون التكنيك الحديث . والسبوت الشيوعية ثمينة الى ما لا حد له ، بوصفها مطلع **الشيوعية الفعلي** ؛ والحال ، ذلك امر نادر اقصى الندرة ، اذ اننا في طور «لا نخطو فيه سوى **الخطوات الاولى** في طريق الانتقال من الرأسمالية الى الشيوعية» (كما يقول برنامج حزبنا (٢٨) ، على حق) .

ان الشيوعية تبدأ حيث يتجلى حرص **العمال البسطاء** المفعم بالتفاني ونكران الذات والقادر على القيام بالعمل الشاق ، حرصهم على زيادة انتاجية العمل وحراسة **كل بود من الحبوب** ، **من الفحم** ، **من الحديد** ، وغير ذلك من المنتجات ، التي لا تعود الى الذين يشتغلون ، ولا الى «أقربائهم» ، بل الى «الابعدين» ، اي الى المجتمع بكلّيته ، الى

العشرات والمئات من ملايين النـــاس المجتمعين اولا في دولة اشتراكية واحدة ، ثم في اتحاد الجمهوريات السوفييتية .

ان كارل ماركس يسخر في كتابه «رأس المال» من فخفخة وابهة الميثاق البرجوازي الديموقراطـي الكبير من حريات الانسان وحقوقـــه ، يسخر من كل هذه الجمل والتعابير الطنانة عن الحريـــة والمساواة والأخوة ، **بوجه عام** ، التي تعمي بصائر البرجوازيين الصغار والتافهين الضيقي الافق في جميع البلدان ، بمن فيهم الأبطال الحاليون الخساس في أمميـــة برن الخسيسة . ومقابل هذه الاعلانـات المفخمة عن الحقوق ، يعرض ماركس الطريقـة البسيطـــة ، المتواضعة ، العملية ، اليومية ، التي تطرح بهـا البروليتاريا المسألة : تخفيض الدولة يوم العمل ، ذلك نموذج عن هذه الطريقة في طرح المسألة (٢٩) . ان كل صحة ملاحظة ماركس وكل عمقها يبدوان لنا بوضوح وجلاء يتزايدان بقدر ما يتكشف محتوى الثورة البروليتارية . ان ما يميِّز «صيغ» الشيوعية الحقيقية عن التعابير الطنانة الملطفة ، المهيبة التي يستعملها كاوتسكي واضرابه والمناشفة والاشتراكيون-الثوريون ، وكذلك «اخوتهم» الاعزاء في برن ، هو كونها تعيد كل شيء الى **شروط العمل** . أقل من الثرثرة حول «ديموقراطية العمل» ، حـــول

«الحرية والمساواة والأخوة» ، حول «سيادة الشعب» ، وهكذا دواليك : ان العامل الواعي والفلاح الواعي في ايامنا يستشفان في هذه الجمل الطنانة المفخمة تدجيل المثقف البرجوازي ، بنفس السهولة التي يحدد بها امرؤ محنك ، عركه الدهر ، من النظرة الاولى ، ودون ان يخطىء ، صفات «ابن ذوات» من سيمائه «الجلية» التي لا عيب فيها ومن مظهره الخارجي ، فيقول : «بكل تأكيد ، هذا مختلس» .

أقل من الجمل الطنانة ، وأكثر من العمل البسيط **اليومي** ، وأكثر من الحرص على كل بود من الحبوب وعلى كل بود من الفحم ! أكثر من الحرص على هذا البود من الحبوب وعلى هذا البود من الفحم ، الضروريين للعامل الجائع وللفلاح الرث الثياب ، العريان ، لكي يصلا اليهما **لا** عن طريق **المساومات التجارية** ، بالطرق الرأسمالية ، بل عن طريق عمل الشغيلة البسطاء الواعي ، الطوعي ، البطولي ، الزاخر بالتفاني ونكران الذات ، كفعلة وعمال خط حديد موسكو — كازان مثلا .

ينبغي علينا جميعا ان نقر بان بقايا طريقة المثقفين البرجوازيين الكلامية في معالجة قضايا الثورة ، تتجلى في كل لحظة وفي كل مكان ، حتى في صفوفنا . ان صحافتنا ، مثلا ، لا تشنها حربا كافية على هذه البقايا العفنة من الماضي البرجوازي الديموقراطي العفن

وهي لا تساند كفاية بذور الشيوعية الحقيقية ، هذه البذور البسيطة ، المتواضعة ، اليومية ، ولكنها الحيّة .

لنأخذ وضع المرأة . ما من حزب ديموقراطي في العالم ، في اية من أكثر الجمهوريات البرجوازية تقدما ، حقق طوال عشرات السنين ، بهذا الصدد ، حتى جزءا من مئة ممّا حققناه نحن في السنة الاولى بالذات من سلطتنا . اننا لم نترك ، بمعنى الكلمة الحقيقي ، اي حجر على حجر في هذه القوانين السافلة حول عدم مساواة المرأة ، حول العقبات بوجه الطلاق ، حول الشكليات الخسيسة التي تلفّه ، حول عدم الاعتراف بالأولاد الطبيعيين (غير الشرعيين) ، حول البحث عن آبائهم ، الخ ..، — هذه القوانين التي ما تزال بقاياها العديدة في جميع البلدان المتمدّنة ، لما فيه عار البرجوازية والرأسمالية . وان من حقنا ألف مرة ان نفتخر بما حققناه في هذا المضمار . ولكن ، كلما كنّسنا **ونظّفنا** الارض من القوانين والمؤسسات البرجوازية ، العتيقة ، كلما تبيّن لنا بمزيد من الوضوح ان ما قمنا به من أعمال ليست سوى أعمال تمهيدية قبل البناء ، ولكنها ليست البناء بالذات .

ان المرأة ما تزال **الرقيقة البيتية** رغم جميع القوانين التي نصت على تحريرها ، اذ ان الاعمال **المنزلية الصغيرة** ما تزال تثقل كاهلها ، وتخنقها ،

وتخبّلها ، وتذلّها ، اذ تقيدها بالمطبخ وغرفة الاولاد ، وتبدد جهودها في عمل غير منتج بصورة فاضحة ، في عمل حقير ، مثير للاعصاب ، مخبّل ، مرهق . ان **تحرر المرأة** الحقيقي ، والشيوعية الحقيقية لا يبدآن إلا حيث وحين يبدأ النضال الجماهيري (بقيادة البروليتاريا ، سيّدة السلطة) ضد هذا الاقتصاد المنزلي الصغير ، او بالاحرى حيث وحين تبدأ **اعادة تنظيمه بصورة مكثفة** في اقتصاد اشتراكي كبير .

ولكن ، أترانا ، في الواقع ، نولي ما يكفي من الانتباه هذه القضية التي لا جدال فيها ، نظريا ، بالنسبة لكل شيوعي ؟ كلا ، بكل تأكيد . وهل تبدي ما يكفي من العناية **ببذور** الشيوعية التي تتجلى في هذا الميدان منذ الآن ؟ مرة اخرى ، كلا وكلا . المطاعم العامة ، دور الحضانة ، رياض الأطفال ، تلك هي نماذج هذه البذور ، تلك هي الوسائل البسيطة ، العادية ، التي لا تنطوي على اي فخامة ، وابهة ، واحتفال ، والتي من شانها ، **بالفعل** ، ان **تحرر المرأة** ، ان تخفض وتمحو بالفعل عدم مساواتها مع الرجل ، فيما يتعلق بدورها في الانتاج الاجتماعي والحياة العامة . ان هذه الوسائل ليست بجديدة ؛ فقد خلقتها الرأسمالية الكبيرة (كما خلقت ، بوجه عام ، جميع المقدمات المادية للاشتراكية) . ولكن

هذه الوسائل كانت ، اولا ، في ظل الرأسمالية ، شيئا نادرا ؛ وكانت ، ثانيا ، — وهو أمر هام على الاخص — إما مشروعات **تجارية** ، مع أسوأ مظاهر المضاربة ، والاثراء ، والكذب ، والغش ، وإما «ضربا من بهلوانيات الاحسان البرجوازي» ، الذي كانت نخبة العمال تكرهه وتحتقره بحق .

ولا سبيل الى الريب في ان هذه المؤسسات قد تكاثرت عندنا وان طابعها **بدأ** يتغيّر . ولا سبيل الى الريب في ان ثمة بين العاملات والفلاحات عددا من **المنظّمات الموهوبات** أكبر بكثير مما نعرف ، ومن يعرفن كيف ينظمن الامور عمليا ، بشكل يشترك فيها عدد كبير من الشغيلة وعدد اكبر من المنتفعين دون هذا الفيض من الجمل والتعابير ، والتشغل الزائف ، والمشاحنات ، والثرثرات حول البرامج ، والمناهج ، الخ ، التي «يتصف» بها «المثقفون» المغرورون دائما بانفسهم الى ما لا حد له ، او «الشيوعيون» المبكرون . بيد اننا **لا نعتني** كما ينبغي ببذور الجديد هذه .

انظروا الى البرجوازية . فلكم تعرف كيف تقوم بالدعاية لما هو مفيد **لها** ! ولكم تكال المدائح في ملايين النسخ من صحف **الرأسماليين** ، للمؤسسات «النموذجية» بنظرهم ؛ ولكم يعرفون كيف يتصرفون لكي يجعلوا المؤسسات البرجوازية «النموذجية»

موضع الاعتزاز القومي ! ان صحافتنا لا تهتم أبدا ، او تقريبا ، بان تصف خير المطاعم او دور الحضانة ، لكي يؤدي الحاحها اليومي الى تحول بعضهـا الى مؤسسات نموذجية ، بان تطريها وتمدحها ، بان توضح بكثير من التفاصيل اي توفير في الجهد البشري ، اية تسهيلات للمنتفعين منها ، اي توفير في المنتجات ، اي تحرر من العبودية المنزلية للمرأة ، اي تحسن في الظروف الصحية ، يمكن الحصول عليهـا **بعمل شيوعي مثالي** ، وتلك نتائج يمكن الحصول عليها وافادة جميع الشغيلة بها والمجتمع كله .

انتاج نموذجي ، سبوت شيوعية نموذجية ، عناية واستقامة مثالية في انتاج وتوزيع كل بود من الحبوب ؛ مطاعم نموذجية ، نظافة مثالية في هذا البيت او ذاك من بيوت العمال ، في هذا الحي او ذاك ، — كلها أمور ينبغي لها ان تسترعي انتبـاه صحافتنا وتسترعي عنايتها ، وكذلك انتباه وعناية **كل** منظمة عمالية او فلاحية ، وذلك عشر مرات أكثر من ذي قبل . انها كلها بذور الشيوعية ، والعناية بها هي واجبنا الاول نحن جميعا . ومهما بلغت خطورة وضعنا في حقل التموين والانتاج ، فانه ما يزال من الصحيح مع ذلك ان تقدّمنا **على طول خط الجبهة** خلال هذه الشهور الثمانية عشر من الحكـم البلشفي ، هو أمر لا جدال فيه : ان مخزون الحبوب

قد ارتفــع من ٣٠ مليون بود (من اول آب ــ اغسطس ــ ١٩١٧ الى اول آب ١٩١٨) الى ١٠٠ مليون بود (من اول آب ١٩١٨ الى اول ايار ــ مايو ــ ١٩١٩) ؛ وازدادت مزروعــات الخضراوات ، وانخفض النقص في الاراضي المزروعة حبوبا ، وبدأت النقليات بالسكة الحديدية تتحسّن رغم المصاعب الهائلة التي نعانيها من جراء الوقود ، الخ .. في هذا الوضع العــام ، وبمساندة سلطــة الدولــة البروليتارية ، لن تذبل نبتات الشيوعية وتموت ؛ انما ستنمو وتكبر وتصبح الشيوعية الكاملة .

* * *

من المهم ان نحسن التفكير في مغزى « السبوت الشيوعية » لكي نستخلص من هذه المبادرة الكبيرة جميع الدروس العملية البعيدة المدى التي تنجم عنها .

مساندة هذه المبادرة بجميع الوسائل ، ذلك هو الدرس الاول ، الرئيسي . ان كلمة « كومونة » قد غدت سهلة الاستعمال جدا عندنا . فكل مؤسسة يقوم بها شيوعيون او تقوم بمساهمتهم ، تُعلن ، عادة ، ومن الدفعة الاولى ، « كومونة » . وغالبا ما ينسون ان **لقب الشرف هذا** ، انما ينبغي **الظفر** بــه

بعد القيام بجهد طويل جهيد ، ينبغي الظفر به بعد احراز نجاح جلّي **عملي** في البناء الشيوعي حقا .

ولذا كان صحيحا تماما ، بنظري ، القرار الناضج في فكر اغلبية اللجنة التنفيذية المركزية ، **بالغاء** مرسوم مجلس مفوّضي الشعب فيما يتعلق **بتسمية** «كومونات الاستهلاك» (٣٠) فلنطلق عليها اسما أبسط . وفي كل حال ، لن تلقى على «الكومونات» مسؤولية النواقص والعيوب في العمل التنظيمي الجديد في خطواته **الاولى** ، انما ستلقى (تبعا للحق والعدالة) على الشيوعيين **الأردياء** . ومن المفيد جدا إبطال كلمة «كومونة» من الاستعمال **الدارج** ، ومنع اول قادم من التمسك بهذه الكلمة ، أو **عدم الاعتراف بهذا اللقب الا** للكومونات الحقيقية ، التي أثبتت عمليا (وباجماع السكان المجاورين) كفاءتها ، وأهليتها لتنظيم الأمور على الطريقة الشيوعية . أثبت اولا انك قدير على العمل مجانا ، في مصلحة المجتمع ، في مصلحة جميع الشغيلة ، انك قدير على «العمل على النمط الثوري» ، قدير على زيادة انتاجية العمل ، وتنظيم العمل بصورة مثالية ، وبعد ذلك مدّ يدك الى لقب الشرف ، الى لقب «الكومونة» !

و«السبوت الشيوعية» هي ، بهذا الصدد ، استثناء ثمين جدا . لأن الفعلة والعمال في سكة حديد موسكو ــ كازان قد أثبتوا ، **اولا** ، **وبالفعل** ، انهم

قادرون على العمل **كشيوعيين** ، وبعد ذلك فقط ، اطلقوا على مبادرتهم لقب «السبوت الشيوعية» . ينبغي اللجوء الى جميع الوسائل والعمل بشكل تكون معه الحال على هذا النحو في المستقبل ايضا ؛ لكي يُقابَل الجميعُ وكل فرد بسخرية لا رحمة فيها ويُوصموا بالعار بوصفهم مشعوذين ثرثارين اذا ما اطلقوا اسم كومونة على مشروعتهم ، او على مؤسستهم، او على عملهم ، **دون ان يثبتوا ذلك** بكدح شديد ، **وبالنجاح** العملي اثر **جهد طويل النفس** ، بتنظيم المؤسسة تنظيما مثاليا ، شيوعيا حقا .

ان هذه المبادرة الكبيرة ، مبادرة «السبوت الشيوعية» ، انما ينبغي استخدامها ايضا من ناحية اخرى : بغية **تطهير** الحزب . لقد كان من المحتم اطلاقا ، غداة الانقلاب ، حين كان سواد الناس «الشرفاء» ذوي التفكير السطحي ، يبدون شديد الخوف ؛ وحين كان المثقفون البرجوازيون ، بمن فيهم طبعا المناشفة والاشتراكيون-الثوريون ، يقومون جميعهم ، بلا استثناء ، بأعمال التخريب ، راكعين امام البرجوازية ، — كان من المحتم اطلاقا حينذاك ان يتسرب الى صفوف الحزب المتسلم زمام الحكم المغامرون وغيرهم من العناصر البليغة الاذى . وما من ثورة تجنبت هذه التجربة او ستتجنبها . كل ما في الأمر ان يعرف الحزب الحاكم ، الذي يعتمد على

طبقة متقدمة ، سليمة ، قوية ، صلبة ، كيف يطهر صفوفه .

وبهذا الصدد ، بدأنا بتنفيذ مهمتنا منذ زمن بعيد . وينبغي الاستمرار في تنفيذ هذه المهمة دون توقف ولا كلل ولا وهن . وقد ساعدتنا في ذلك تعبئة الشيوعيين من اجل الحرب : فقد فرّ الرعاديد والاخسّة من الحزب . مع السلامة ! ان **مثل** هذا النقص في عدد أفـراد الحـزب هـو **نمو هائل** في قوته ووزنه . ينبغي مواصلة التطهير ، مع استخدام مبادرة «السبوت الشيوعية» : ينبغي الا نقبل في الحزب اي عضو جديد إلا ، مثلا ، بعد ستة أشهر من «الاختبار» او «التدرّج» ، يقوم خلالها «بعمل على النمط الثوري» . ينبغي فرض الامتحان نفسه على **جميع** أعضاء الحزب الذين انضموا الى الحزب بعد ٢٥ اكتوبـر (تشريـن الاول) ١٩١٧ ، ولم يثبتوا بجهد بذلوه أو بمآثر خاصة انهم اطلاقـا امناء ، وأهل ثقـة ، وقادرون على ان يكونـوا شيوعيين .

ان تطهير الحزب ، المرتبط **بالمتطلبات النامية ابدا** التي يريدهـا الحزب من عمل شيوعي حقـا ، سيحسن **جهاز** سلطـة الدولـة ويعجـل الى حد رائع **انتقال** الفلاحين **نهائيا** الى جانب البروليتاريا الثورية .

ان «السبوت الشيوعية» قد ألقت ، فيما ألقت ، نورا ساطعا على الطابع الطبقي لجهاز سلطة الدولة في ديكتاتورية البروليتاريا . ولجنة الحزب المركزية تكتب رسالة بصدد «العمل على النمط الثوري» . وقد اوحت بهذه الفكرة اللجنة المركزية لحزب يتراوح عدد أعضائه بين ١٠٠٠٠٠ و٢٠٠٠٠٠ عضو (وأفترض ان سيبقى مثل هذا العدد بعد اجراء تطهير جدّي ، لأن عدد أعضاء حزبنا هو أكبر من ذلك في الوقت الحاضر) .

وهذه الفكرة تبنّاها العمال النقابيون . ويبلغ عددهم في روسيا واوكرانيا حتى اربعة ملايين . وهم ، بأغلبيتهم الساحقة ، يؤيدون سلطة الدولة البروليتارية ، يؤيدون ديكتاتورية البروليتاريا . ٢٠٠٠٠٠ الى ٤ ملايين ، تلك هي النسبة بين «اسنان الدواليب المتداخلة» ، اذا جاز لي التعبير على هذا النحو . ثم تأتي **عشرات الملايين** من الفلاحين الذين ينقسمون الى ثلاث فئات رئيسية : أكثرهم عددا واقربهم الى البروليتاريا ، انصاف البروليتاريين او الفلاحون الفقراء ؛ ثم الفلاحون المتوسطون ؛ واخيرا ، الفئة الثالثة ، الضئيلة العدد ، الكولاك او البرجوازية الريفية .

وما دامت المتاجرة بالحبوب واستغلال المجاعة امرا ممكنا ، ظل الفلاح نصف شغيل ، نصف مضارب

(وهذا أمر محتـوم خلال فترة من الزمن في ظل ديكتاتورية البروليتاريـا) . ان الفلاح ، بوصفـه مضاربا ، هو خصم لنا ؛ انه خصم للدولة البروليتارية ؛ ويميل الى التفاهم مع البرجوازية وخدمها الأمناء ، بمـن فيهـم المنشفي شير والاشتراكي-الثـوري ب . تشرنينكوف ، اللذان يؤيدان حرية تجـارة الحبوب . ولكن الفلاح **بوصفه شغيلا** ، هـو صديق الدولة البروليتارية ، وأخلص حليف للعامل في النضال ضد الملاك العقاري وضد الرأسمالي . ان الفلاح ، بوصفه شغيلا ، يدعم ، بكل ثقله الهائل ، بثقل الملايين من أخوانه الفلاحين ، «آلة» الدولة ، التي تقودها طليعة بروليتارية شيوعية ، تعدّ مئة او مئتي الف عضو ، وتضم ملايين من البروليتاريين المنظمين .

لم تنشـأ قط في العالم قبل اليوم دولـة أكثر ديموقراطية بمعنى الكلمة الحقيقي ، وأوثق ارتباطا بالجماهير الكادحة والمستثمَرة .

ان هذا العمل البروليتاري ، الذي سجلتـه «السبوت الشيوعية» وحققته ، هو الذي يسهم في ترسيخ احترام وحب الفلاح للدولة البروليتارية بصورة نهائية . ان هذا العمل – وهذا العمل وحده – يقنـع الفلاح نهائيا بأننا على حق ، بـان الشيوعية على حق ؛ وهو يجعل من الفلاح حليفنا المخلص . وهذا يعني ان هذا العمل يؤول الى التغلب نهائيا على مصاعب

التموين ، ويقود الى انتصار الشيوعية على الرأسمالية نهائيا في ميدان انتاج الحبوب وتوزيعهـا ، ويؤدي الى توطيد الشيوعية نهائيا .

٢٨ حزيران (يونيو) ١٩١٩ .

صدر في تموز (يوليو) ١٩١٩ في كراس على حدة اصدرته دار الدولـة للطبـع والنشر في موسكو
التوقيع : **ن . لينين**

لينين . المؤلفات ، الطبعة الروسية الخامسة ، المجلد ٣٩ ، ص ص ٥–٢٩

كلمة في الاجتماع الثالث لعامة روسيا لرؤساء الاقسام غير المدرسية لدى مصالح التعليم الشعبي في المحافظات

٢٥ شباط (فبراير) ١٩٢٠

(مقتطف)

ولكي ابين كيف افهم مهام وكل طابع التعليم والتدريس والتربية والتثقيف وفقا للمهام المتغيرة التي تواجـه الجمهورية السوفييتية ، اذكر القـرار عن الكهربة الذي اتخذته اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا في دورتها الاخيرة . اغلب الظن ان جميعكم تعرفون هذا القرار . ففي الايام الاخيرة ، ظهر في الصحف نبأ يقول انه في مدة شهرين (في النبـأ

المطبوع الرسمي قيل : في مدة اسبوعين ـ هذا خطأ) ، انه في مدة شهرين ستوضع خطة لكهربة البلد محسوبة لسنتين او ثلاث بموجب برنامج الحد الادنى ، ولعشر سنوات بموجب برنامج الحد الاقصى . ان طابع دعايتنا بما فيها الدعاية الحزبية الصرف وطابع التعليم المدرسي والتثقيف ، وطابع التعليم غير المدرسي ، يجب ان يتغير ، لا بمعنى ان تتغير اسس التعليم نفسه واتجاهه نفسه ، بل بمعنى تكييف طابع النشاط للانتقال الى البناء السلمي حسب خطة واسعة لتحويل البلد صناعيا واقتصاديا ، لأن الصعوبة الاقتصادية العامة والمهمة العامة هي مهمة بعث قوى البلد الاقتصادية على نحو بحيث تستطيع الثورة البروليتارية ان تنشئ ، الى جانب الاقتصاد الفلاحي الصغير ، الاسس الجديدة للحياة الاقتصادية . فحتى الآن تأبى للفلاح ان يقدم حبوبه للدولة العمالية على سبيل القرض : ان الاوراق الملونة ، النقود ، لا يمكنها ان ترضي الفلاح مقابل الحبوب . وبما ان الفلاح لا يرضى بها ، فهو يطالب بحق مشروع : مقابل الحبوب التي يعطيها ، منتوجات الصناعة ، التي لا نستطيع اعطاءها طالما لم نبعث الاقتصاد . ان البعث هو المهمة الاساسية ، ولكننا لا نستطيع ان نبعث على الاساس الاقتصادي والتكنيكي القديم . وهذا مستحيل تكنيكيا ايضا ، ولو كان ممكنا ، لكان وحشيا ؛

ينبغي أيجاد اساس جديد . وخطة الكهربة هي هذا الاساس الجديد .

نحن نتقدم من الفلاحين ، من الجمهور الاقل تطورا بتوجيه يبين ان الانتقال الجديد الى درجة اعلى في حقل الثقافة والتعليم التكنيكي ضروري لنجاح البناء السوفييتي كله . وهكذا لا بدّ اذن من بعث الاقتصاد . ان اجهل فلاح يفهم ان الحرب هي التي الحقت الخراب بالاقتصاد ، وانه بدون بعث الاقتصاد لا يستطيع القضـــاء على العوز ، اي الحصـــول على المنتوجـــات الضرورية مقابل الحبوب . وبحاجـــة الفلاحين هذه المباشرة ، الملحة ، يجب ان يتمسك ويتشبث كل عمل الدعاية والتعليم والتنوير والتعليم غير المدرسي لكي لا ينفصل هذا العمل عن ألح حاجات الحياة اليومية ، بل لكي ينطلق على وجه الدقة من تطويرها وتوضيحها من اجل الفلاح مع الاشارة الى ان المخرج من الوضع ينحصر في بعث الصناعة . ولكنه لا يمكن ان يقوم بعث الصناعة على التربة القديمة ، انما ينبغي بعثها على تربة التكنيك العصري . وهذا يعني كهربة الصناعة وانهاض الثقافة . ان المحطات الكهربائية تتطلب عملا في حدود ١٠ سنوات ، على ان يكون عملا اكثر ثقافة ووعيا .

نحن نضع خطة واسعة للعمل يجب ان ترتبط في مخيلة الجماهير الواسعة من الفلاحين بهدف واضح ، مطروح عمليا . وهذا لا يمكن عمله في بضعة اشهر .

فان برنامج الحد الادنى لا يمكن اعطاؤه لمدة تقل عن ثلاث سنوات . ولكنه يمكن القول ، دون الاستسلام للطوباويات ، ان في مقدورنا خلال ١٠ سنوات ان نغطي روسيا كلها بشبكة من المحطات الكهربائيـة وان ننتقل الى وضع في الصناعـة الكهربائيـة يلبي مقتضيات التكنيك العصريـة ويقضـي على الاسلوب الزراعي الفلاحي القديم . وهذا الوضع يتطلب مستوى اعلى في حقل الثقافة والتعليم .

ودون ان تخفوا عن انفسكم ان المهمة العملية المباشرة هي الآن بعث النقليـات ونقل المأكولات ، وانه يستحيل ، في وضع الانتاجية الحالي ، الانصراف الى مهام واسعة ، يجب عليكم مع ذلك ، في ميدان الدعاية والتنوير ، ان تأخذوا بالحسبان هذه المهمة ، مهمة اعادة البناء كليا على تربة تناسب المقتضيات الثقافية والتكنيكية ، وان تنفذوا هذه المهمة . ونحن سنشفى بسرعة كبيرة من الاساليب القديمة للدعاية ، من هذه الاساليب التي كان يعيبها القدم والتي كانت حتى الآن تقترب من الفلاح بجمل عامـة عن النضال الطبقي ، والتي لفقوا على اساسها شتى الحماقات بصدد الثقافة البروليتارية (٣١) ، الخ .، سنشفى من هذه الاسمال التي تشبـه كثيرا امراض الاطفال في سن الطفولة . وفي الدعاية والتحريض والنشاط التعليمي والتنويري سننتقل الى طرح المسألة بمزيد من الصحة والروح العمـلي ، بصورة تليـق برجال السلطـة

السوفييتية الذين تعلموا في سنتين شيئا ما ، والذين يمضون الى الفلاح بخطة عملية ، واقعية ، واضحة ، لاعادة بناء الصناعة كلها وبالقول ان الفلاح والعامل ، نظرا لوضع التعليم في الوقت الحاضر ، لن ينفذا هذه المهمـــة ولن يتفلتـــا من القذر والعوز والتيفوس والمرض . ان هذه المهمة العملية ، المرتبطة ارتباطا واضحا برفع مستوى الثقافة والتعليم ، انما يجب ان تكون بمثابة عقدة يجب ان يلتف حولها كل طابع دعايتنـــا الحزبيـــة ونشاطنـــا الحزبي ، وتعليمنـــا وتدريسنا . وآنذاك تتشبث هذه العقدة بمصالح جماهير الفلاحين الحيوية الاولية بدرجة من العمق ، وتربط انهاض الثقافة والمعرفـــة العام بالحاجات الاقتصادية الملحة بدرجة من الشدة بحيث اننا نقوي مائة مرة طلب تحصيل العلم من جانب جماهير العمال . ونحن واثقون اطلاقا باننـــا اذا كنا قد نفذنـــا في سنتين المهمة الحربية الخارقة الصعوبـــة ، فاننـــا سننفذ في ٥ ــ ١٠ سنوات مهمة اصعب هي المهمة الثقافية والتعليمية والتنويرية .

هذه هي الامنية التي اردت ان اعرضها عليكم .

(**تصفيق**) .

صدر للمرة الاولى بنصه الكامل في ٢٥ نيســـان (ابريـــل) ١٩٣٠ في جريدة «البرافدا» ، العدد ١١٤

لينين . المؤلفات ، الطبعة الروسية الخامسة ، المجلد ٤٠ ، ص ص ١٦٢ــ١٦٥

كلمة في مؤتمر عمال النقليات المائية الثالث لعامة روسيا

١٥ آذار (مارس) ١٩٢٠

(مقتطف)

كانت الثورات السابقة تهلك لأن العمال لم يكونوا يتمكنون من الصمود بفضل ديكتاتورية ثابتة ، ولم يكونوا يدركون انـــه يستحيـــل الصمود بفضل الديكتاتورية وحدها ، بفضل العنف وحده ، والقسر وحده ؛ لا يمكن الصمود الا بأخذ كل خبرة الرأسمالية المثقفة ، التكنيكية ، التقدمية ، الا باستخدام جميع هؤلاء الناس . وعندما يأخذ العمال للمرة الاولى في ايديهم قضية الادارة ويقفون موقفـــا غير ودي من الاختصاصي ، من البرجوازي ، من الرأسمالي ، الذي كان بالأمس مديرا ، وابتز الملايين ، واضطهد العمال ، فاننـــا نقول ــ والارجح ان اغلبكـــم يقولون الشيء ذاتـــه ــ ان هؤلاء العمال بدأوا فقط يقتربون من الشيوعية . ولو انه كان من الممكن بناء الشيوعيـــة من اختصاصيين غير مفعمين بالنظرات البرجوازية ، لكان ذلك سهلا جدا ، ولكن هذه الشيوعية ستكون خيالية في هذه الحال . نحن نعرف ان لا شيء يهبط من السماء ، ونحن نعرف ان الشيوعيـــة تنمو من الرأسمالية ، وانه لا يمكن بناء الشيوعيـــة الا من

بقايا الرأسمالية ، من بقاياها السيئـــة حقا وفعلا ، ولكنه ليس ثمـــة غيرها . وان من يحلم بمثل هذه الشيوعية الخيالية ، انما ينبغي طرده من كل اجتماع عملي ، وفي هذا الاجتماع ، ينبغي ابقاء اولئك الذين يعرفون كيف يستفيدون من بقايا الرأسمالية . ان مصاعب هذا العمل هائلـــة ، ولكن هذا عمل مثمر ، وكل اختصاصي ينبغي اعتباره ملك التكنيك والثقافة الوحيد الذي لا يمكن بدونه ان يكون اي شيء ، اي شيوعية .

جريدة «البرافدا» ، العددان ٥٩ و٦٠ ، في ١٧ و١٨ آذار (مـارس) ١٩٢٠ ؛ وجريدة «ازفيستيـا اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيـا» ، الاعداد ٥٩ و٦١ و٦٢ في ١٧ و٢٠ و٢١ آذار ١٩٢٠

لينين . المؤلفات ، الطبعة الروسية الخامسة ، المجلد ٤٠ ، ص ٢١٧

مهمات منظمات الشباب

(خطاب القي في المؤتمر الثالث لاتحاد الشبيبة الشيوعي لعامة روسيا)
في ٢ تشرين الاول ١٩٢٠

(الحضور يستقبلون لينين بتصفيـــق عاصف وهتاف حماسي .) ايها الرفاق ، اود اليوم ان احدثكم

عن المهمات الاساسية الموضوعة امام اتحاد الشبيبة الشيوعية ، وبالتالي ، عما يجب ان تكون عليه ، بوجه عام ، منظمات الشباب في الجمهورية الاشتراكية .

يجدر بنا ان نتوقف عند هذه المسألة خاصة وانه يمكن القول ، بمعنى ما ، ان المهمة الحقيقية القاضية بانشاء المجتمع الشيوعي ستقع بالضبط على عاتق الشباب . فواضح ان جيل الشغيلة ، الذي تربى في المجتمع الرأسمالي ، قادر ، في احسن الحالات ، على الغاء اسس النظام الرأسمالي القديم ، القائم على الاستثمار . واكثر ما يمكنه القيام به ، ان يحل مسألة انشاء نظام اجتماعي من شأنه ان يساعد البروليتاريا والطبقات الكادحة في الاحتفاظ بالسلطة بايديها وفي ارساء قاعدة متينة لا يستطيع ان يبني عليها غير الجيل الذي يبدأ العمل في ظروف جديدة ، في وضع لا وجود فيه لعلاقات الاستثمار بين الناس .

واذ اتناول مسألة مهمات الشباب من وجهة النظر هذه يترتب عليّ ان اقول ان المهمات الموضوعة امام الشباب بوجه عام وامام اتحادات الشبيبة الشيوعية وجميع المنظمات الاخرى بوجه خاص يمكن تحديدها بكلمة واحدة — تعلم .

بدهي ان ليست تلك سوى «كلمة» . ان هذه الكلمة لا تجيب على مسألتين رئيسيتين هما من اهم

المسائل : ماذا ينبغي ان نتعلم وكيف ؟ والحال ، ان النقطة الاساسية هنا ، هي انه ، مع تحول المجتمع الرأسمالي القديم ، لا يمكن ان يظل تعليم الاجيال الجديدة التي ستنشىء المجتمع الشيوعي وتربيتها وتثقيفها كما كانت عليه فيما مضى . ان نقطة الانطلاق في تعليم الشباب وتثقيفه وتربيته ينبغي ان تكون المواد التي تركها لنا المجتمع القديم . فليس بوسعنا ان نبني الشيوعية الا مع مجمل المعارف والمنظمات والمؤسسات ، الا برصيد القوى البشرية والموارد ، التي بقيت لنا عن المجتمع القديم . ولن نتمكن من بلوغ ما نرمي اليه ، وهو ان تؤدي جهود الجيل الجديد الى انشاء مجتمع لا يشبه المجتمع القديم ، أي الى انشاء المجتمع الشيوعي ، الا بتحويل تعليم الشباب وتنظيمه وتربيته تحويلا جذريا . ولهذا ينبغي لنا ان نبحث بالتفصيل مسألة معرفة ما ينبغي ان نعلم الشباب وكيف ينبغي لهم ان يتعلموا ، اذا شاؤوا فعلا ان يكونوا جديرين باسم الشباب الشيوعي ، وكيف ينبغي اعدادهم لكي يكونوا قادرين على انجاز المهمة التي بدأنا بها وتكليلها بالنجاح .

يجب عليّ ان اقول ان الجواب الذي يتبادر لاول وهلة الى الذهن ، على ما يخيل ، والذي يبدو طبيعيا اكثر من غيره ، هو انه ينبغي على اتحاد

الشبيبة ، وبوجه عام ، على كل الشباب الذين يريدون الانتقال الى الشيوعية ، ان يتعلموا الشيوعية .

ولكن هذا الجواب : «تعلم الشيوعية» ذو طابع عام جدا . فماذا ينبغي لنا اذن لكي نتعلم الشيوعية ؟ ماذا ينبغي لنا ان نختار من مجمل المعارف العامة لكي نكتسب معرفة الشيوعية ؟ في هذا المضمار ، تهددنا جملة كاملة من الاخطار التي تبدو في اغلب الاحيان ما ان يساء وضع مهمة تعلم الشيوعية ، او حين تفهم بصورة وحيدة الطرف الى حد كبير .

وطبيعي ان الفكرة التي تمر بالخاطر ، من الوهلة الاولى ، هي ان تعلم الشيوعية يعني اكتساب مجمل المعارف الواردة في الكتب والكراريس والمؤلفات الشيوعية . ولكن مثل هذا التعريف لدراسة الشيوعية غير محكم ابدا وغير كاف . فلو كانت دراسة الشيوعية تنحصر في استيعاب ما هو وارد في الكتب والكراريس والمؤلفات الشيوعية ، لأنتجنا بفائق السهولة شراحا سطحيين شيوعيين او مدعين مغرورين شيوعيين ، الامر الذي يسيء الينا في غالب الاحيان ويلحق بنا الاذى ؛ لان هؤلاء القوم ، الذين تعلموا وقرأوا ما في الكتب والكراريس الشيوعية ، يظهرون عاجزين عن تنسيق جميع هذه المعارف ولا يستطيعون التصرف والعمل كما تقتضيه الشيوعية فعلا .

من افدح الشرور ، ومن اسوأ المصائب التي

خلفها لنا المجتمع الرأسمالي القديم ، القطيعة التامة بين الكتاب والحياة العملية اذ كانت لدينا كتب تعرض كل شيء على خير ما يرام ؛ والحال ، ان هذه الكتب لم تكن ، في معظم الاوقات ، سوى رياء وكذب كريهين ، يعطيان صورة كاذبة عن المجتمع الرأسمالي .

ولهذا كان من فادح الخطأ الاقتصار على استيعاب ما هو وارد في الكتب حول الشيوعية . فان خطاباتنا ومقالاتنا ليست ، اليوم ، مجرد تكرار لما كان يقال فيما مضى عن الشيوعية ، اذ ان خطاباتنا ومقالاتنا مرتبطة بعملنا اليومي ، بالعمل في جميع الميادين . فبدون عمل ، بدون نضال ، ليس ثمة اطلاقا ايـة قيمة للمعرفة التي تستقي عن الشيوعيـة من الكتب والمؤلفات الشيوعية ، اذ انها ليست سوى استمرار للقطيعة السابقة بين النظرية والتطبيق العملي ، هذه القطيعـة التي هي اكره سمـة بين سمات المجتمع البرجوازي القديم .

وقد يشتد الخطر ايضا اذا اقتصرنا على استيعاب الشعارات الشيوعية فقط . فاذا لم ندرك هذا الخطر في حينه ، واذا لم نرم جهودنا كلها الى اجتنابه ، فان وجود نصف مليون او مليون من الشبان والفتيات ، الذين سيسمون انفسهم شيوعيين بعد دراسة كهذه للشيوعية ، لن يؤدي الا الى الحاق ضرر كبير بقضية الشيوعية .

واذ ذاك ، يوضع امامنا السؤال التالي : كيف ينبغي لنا اذن ان نوفق كل ذلك لكي نعلم الشيوعية ؟ ماذا ينبغي علينا أن نأخذه من المدرسة القديمة ، من العلم القديم ؟ لقد كانت المدرسة القديمة تعلن انها تريد انشاء اناس مثقفين ثقافة شاملة ، وانها تدرس العلوم بوجه عام . بيد اننـــا نعرف ان ذلك كان مجرد كذب ، اذ ان المجتمع كلـــه كان مبنيـــا وقائما على انقسام الناس الى طبقات ، الى مستثمرين ومظلومين مضطهـَدين . وكان طبيعياً الا تمنح المدرسة القديمة المعارف الا لابناء البرجوازية ، لأنهـا كانت مفعمة تماما بالروح الطبقي . وكل كلمة من كلماتها كانت مكيفة وفقاً لمصالح البرجوازيـــة . وفي هذه المدارس ، كانوا يهتمون ، لا بتربية الجيل الفتي من العمال والفلاحين بل باعداده في مصلحة هذه البرجوازية نفسها . كانوا يربـّونهم بصورة يجعلون منهم خدما للبرجوازية يستجيبون لمتطلباتها ، قادرين على جني الارباح لها دون اقلاق راحتهـــا وازعاج بطالتهـــا . ولهذا ، نبذنا المدرسة القديمة ، ولكننـــا في الوقت نفسه اخذنا على انفسنا الا نقتبس منها الا ما هو ضروري لنا للتوصل الى تربية شيوعية حقيقية .

وهنا أصل الى تلك الملامات وتلك الاتهامات التي تسمعها دائما بصدد المدرسة القديمة ، والتي تؤدي في غالب الاحيان الى تأويلات خاطئة اطلاقا .

يقولون ان المدرســة القديمــة لم تكن لتعرف غير الدراسة المضنية ، والترويض ، والحشو الآلي . هذا صحيح ، غير انه ينبغي ان نعرف كيف نميز بين ما في المدرسة القديمة من سيئ وبين ما فيهـا من صالح لنا ؛ ينبغى ان نعرف كيف نختار منها ما هو ضروري للشيوعية .

لقد كانت المدرسة القديمة مدرسة لا تعرف غير الدراسة المضنية ، كانت تجبر التلاميذ على استيعاب طائفة من المعارف التي لا فائدة منها ولا غناء فيها ولا حياة وتحشى الرؤوس بهـا ، وتجعل من الجيل الفتي دواوينيين مصبوبين في نفس القالب . بيد انكم تقترفون خطأ جسيما اذا ما شئتم ان تستنتجوا من ذلك ان بالامكان ان يصبح المرء شيوعيا دون استيعاب المعارف التي كدسها العلم البشري . ومن الخطأ التفكير بانه يكفي استيعاب الشعارات الشيوعية ، واستنتاجات العلم الشيوعي ، لكي نعفى من استيعاب مجمل المعارف التي الشيوعية نفسها هي حاصلها . ان الماركسية تبين جيدا كيف ولدت الشيوعية من مجمل المعارف التي اكتسبتها الانسانية .

لقد قرأتم وسمعتم ان النظرية الشيوعية ، ان العلم الشيوعي ، الذي انشأه ماركس بصورة رئيسية ، ان مذهب الماركسية هذا ، لم يبقَ من صنع اشتراكي واحد من القرن التاسـع عشر ، مهمـا أوتـي من

العبقرية ، انما غدا مذهب الملايين وعشرات الملايين من البروليتاريين في العالم بأسره ، الذين يطبقون هذا المذهب في نضالهم ضد الرأسمالية . ولو طرحتم السؤال التالي : لماذا استطاع مذهب ماركس ان يستولي على قلـــوب الملايين وعشرات الملايين في صفوف الطبقة الاكثر ثورية ، لما استطعتم ان تسمعوا سوى جواب واحد : لقد كان الامر كذلك لان ماركس قد اعتمد على اساس مكين ، اساس من المعارف الانسانية المكتسبة في ظل الرأسمالية . فقد درس ماركس قوانين تطور المجتمع الانساني ، فادرك ان تطور الرأسمالية يؤدي حتما الى الشيوعية ، والامر الاساسي هو انه أثبت هذه الحقيقة بمجرد دراسة المجتمع الرأسمالي الدراسة الاكثر دقة ، والاوفر تفصيلا ، والاشد عمقا ، بعد ان استوعب تماما كل ما اعطاه العلم السابق . وكل ما انشأه المجتمـــع الانساني ، درسه ماركس وانتقده ، دون ان يهمل منه نقطة واحدة . وكل ما ابدعه الفكر البشري ، عالجه ماركس بروح النقد ، بعد ان خبره في معمعان الحركة العمالية ، واستخلص منه استنتاجات لم يستطع ان يستخلصها الناس المحصورون في النطاق البرجوازي او المقيدون بالاوهام البرجوازية .

ينبغي لنا الا ننسى ذلك حين نتكلم ، مثلا ، عن الثقافة البروليتارية . فاذا لم نفهم بوضوح ان

معرفة الثقافة التي ابدعها كل تطور الانسانية معرفة صحيحة ودراسة هذه الثقافة بصورة انتقادية هما وحدهما اللتان تتيحان بناء الثقافة البروليتارية ، اذا لم نفهم ذلك ، فاننا لن نتوصل الى حل هذه المسألة . ان الثقافة البروليتارية لم تنبثق من مكان مجهول ؛ ولم يخترعها الناس الذين يقولون عن انفسهم انهم اختصاصيون في ميدان الثقافة البروليتارية . كل ذلك سخف وهراء . ينبغي ان تكون الثقافة البروليتارية التطور المنطقي لمجمل المعارف التي صاغتها الانسانية تحت نير المجتمع الرأسمالي ، ومجتمع الملاكين العقاريين ، والمجتمع الدواويني . كل هذه الطرق والشعاب قادت وتقود وستظل تقود الى الثقافة البروليتارية ، تماما كما بين لنا الاقتصاد السياسي ، الذي وضعه ماركس من جديد ، ما لا بدّ ان يبلغه المجتمع الانساني وكما بين لنا الانتقال الى النضال الطبقي ، الى بداية الثورة البروليتارية .

عندما نسمع ، في كثير من الاحيان ، ممثلي الشباب وبعض المدافعين عن التعليم الجديد ، يهاجمون المدرسة القديمة ، قائلين انها كانت مدرسة حشو آلي ، فاننا نقول لهم انه ينبغي لنا ان نأخذ عن المدرسة القديمة ما كان صالحا . ينبغي لنا الا نأخذ عن المدرسة القديمة اسلوب ارهاق ذاكرة الشباب بكمية من المعارف لا حد لها ، تسعة اعشارها لا تفيد

والعشر الباقي مشوه . غير ان ذلك لا يعني اننا نستطيع الاكتفاء بالاستنتاجات الشيوعية والشعارات الشيوعية المحفوظة غيبا . ما هكذا تنشأ الشيوعية . فلا يمكن للمرء ان يصبح شيوعيا الا بعد ما يغني ذاكرتـــه بمعرفة جميع الثروات الفكرية التي ابدعتها الانسانية .

لسنا بحاجة الى الحشو الآلي ، انما ينبغي لنا ان ننمي ونحسن ذاكرة كل تلميذ بمعرفة الوقائع الاساسية ، لأن الشيوعية تمســـي صفرا ، تمســـي مجرد شعار خارجي ، لأن الشيوعي يمســـي مجرد دعيّ سخيف ، اذا لم يتمثل وجدانه جميع المعارف التي اكتسبها كافة . هذه المعارف ، ينبغي لكم الا تكتفوا بمجرد استيعابها ، ينبغي لكم ان تستوعبوها بفكر نقاد ، لكي لا تلبكوا دماغكم بخليط لا فائدة منه ، لكي تغنوا دماغكم بعلم جميع الوقائع التي لا يمكن للمرء بدون معرفتها ان يكون اليوم انسانا مثقفا . ان الشيوعي الذي يدّعي الشيوعيـــة لأنـــه تعلم استنتاجات جاهزة ، دون ان يقوم بعمل كبير جدي كثيرا وصعب جدا ، دون ان ينظر بعين ناقدة الى الوقائع التي يترتب عليه ان يتبصر بهـــا بفكـــر ناقد نفاذ ، ان مثل هذا الشيوعي يدعوك للرثاء له . وليس ثمة ما هو اشأم من مـــوقف سطحـــي كهذا الموقف . فاذا كنت اعرف اني اعرف قليلا ، بذلت كل ما في طاقتي لأعرف المزيد ، ولكن ، اذا زعم

امرؤ يدّعي انه شيوعي ، انه ليس بحاجة لأن يعرف اي شيء ثابت ، فانه لن يصبح ابدا ولو شبيهـا بالشيوعي .

كانت المدرسة القديمة تكوّن الخدم الضروريين للرأسماليين ، وكانت تجعل من رجال العلم اناسا ملزمين بأن يكتبوا ويتكلموا وفقا لاهواء الرأسماليين . وهذا يعني انه ينبغي لنا ان نتخلص من المدرسة القديمة . ولكن ، اذا كان ينبغي لنا ان نتخلص منها ، اذا كان ينبغي لنا ان نهدمها ، فهل هذا يعني انـه لا يترتب علينا ان نستخلص منها كل ما كدستـه البشرية من ضروري للناس ؟ هل هذا يعني انه لا يترتب علينا ان نعرف كيف نميز بين ما كان ضروريا للرأسمالية وما هو ضروري للشيوعية ؟

فبدلا من الترويض الذي كان يطبق فيما مضى في المجتمع البرجوازي خلافا لارادة الاغلبية ، ندخل الانضباط الواعي لدى العمال والفلاحين الذين يؤلفون بين حقدهم على المجتمع القديم وبين العزيمة والقدرة والارادة على توحيد قواهم وتنظيمها في سبيل هذا النضال ، بغية تكوين ارادة موحدة واحدة من ارادة الملايين ومئات الملايين من المبعثرين ، المجزئين ، المشتتين في اصقاع البلاد الشاسعة ، اذ اننا ، بدون هذه الارادة الموحدة الواحدة ، نمنى بالهزيمة حتما . وبدون هذا التكاتف والتضامن ، وبدون هذا الانضباط

الواعي لدى العمال والفلاحين ، تكون قضيتنا فاشلة . بدون ذلك ، لن نتمكن من التغلب على الرأسماليين والملاكين العقاريين في العالم بأسره . بل اننا لن نتمكن من توطيد اسس المجتمع الجديد ، الشيوعي ، بل اننا لن نتمكن بالاحرى من انجاز بناء هذا المجتمع الجديد على هذه الاسس . وهكذا ، مع نبذنا المدرسة القديمة ، مع الحقد عليها حقدا مشروعا وضروريا تماما ، مع تقديرنا الرغبة في هدمها ، ينبغي لنا ان ندرك انه ، بدلا من الدراسة المضنية القديمة ، بدلا من الحشو الآلي القديم ، بدلا من الترويض القديم ، يترتب علينا ان نتعلم كيف نتمثل كل حصيلة المعارف الانسانية ، وكيف نفعل ذلك بصورة لا تكون معها الشيوعية ، عندكم ، شيئا محفوظا عن ظهر قلب ، بل شيئا فكرتم وتفكرون به بانفسكم ، شيئا يمثل الاستنتاجات التي تفرض نفسها من وجهة نظر التعليم الحديث .

هكذا ينبغي وضع المهمات الاساسية عندما نتحدث عن مهمة : تعلم الشيوعية .

ولكي اوضح لكم هذه النقطة واتناول في الوقت نفسه مسالة معرفة كيف ينبغي لنا ان نتعلم ، اورد مثلا عملياً . تعلمون جميعكم ان القضية الاقتصادية توضع امامنا ، بعد القضايا العسكرية فورا ، بعد القضايا المتعلقة بالدفاع عن الجمهورية . ونحن نعلم

انــه يستحيل بنــاء المجتمع الشيوعي دون بعث الصناعة والزراعة ، مع العلم اننا لا نقصد بعثهما بشكلهما القديم . انما ينبغي بعثهمــا على اساس حديث ، ينطبق على آخر منجزات العلم . وانتــم تعلمون ان هذا الاساس ، انما هو الكهرباء ، ويوم تتم كهربة كل البلاد ، وجميع فروع الصناعــة والزراعة ، ويوم تنجزون هذه المهمـــة ، يومذاك فقط تتمكنون من ان تبنوا لانفسكم المجتمع الشيوعي الذي لا يستطيع الجيل السابق ان يبنيه . وامامكم توضع مهمة بعث اقتصاد البلاد بأسرها ، واعادة تنظيم الزراعة والصناعة والنهوض بهما على اساس تكنيكي حديث يرتكز بدوره على العلم والتكنيك الحديثين ، وعلى الكهرباء . وانتم تدركــون كـــل الادراك ان الكهربة لن يحققها الاميون ، وانها تتطلب غير المعرفة الاولية . ولا يكفي هنا ان نفهم ما هي الكهرباء : ينبغي ان نعرف كيف نطبقها عمليا في الصناعة والزراعة وفي مختلف فروعهما . كل ذلك ، ينبغي ان نتعلمه بانفسنا ، ينبغي ان نعلمه لكل الجيل الكادح الصاعد . تلك هي المهمة التي توضع امام جميع الشيوعيين الواعين ، امام جميع الشبان الذين يعتبرون انفسهم شيوعيين والذين يدركون كل الادراك انهم ، بانضمامهم الى اتحاد الشبيبة الشيوعي ، يقطعون عهدا على انفسهم بمساعدة الحزب في بناء

الشيوعية ، وبمساعدة كل الجيل الفتي في خلق المجتمع الشيوعي . ينبغي عليهم ان يفهموا انهم لن يتمكنوا من انشاء هذا المجتمع الا على اساس الثقافة الحديثة فقط وان الشيوعية ستبقى مجرد امنية اذا لم يأخذوا بناصية هذه الثقافة .

كانت مهمة الجيل السابق اسقاط البرجوازية . وكانت المهمة الرئيسية حينذاك انتقاد البرجوازية ، وانماء شعور الحقد عليها بين الجماهير ، ومعرفة حشد قواها وتطوير الوعي الطبقي . اما الجيل الجديد ، فانه يواجه مهمة اكثر تعقيدا . ان واجبكم لا يقتصر على حشد كل قواكم في سبيل دعم حكم العمال والفلاحين ضد غزو الرأسماليين . ذلك ما يترتب عليكم القيام به . وقد ادركتموه كل الادراك ، وكل شيوعي يدركه بوضوح . ولكن ذلك لا يكفي . عليكم ان تبنوا المجتمع الشيوعي . لقد تم النصف الاول من العمل ، في كثير من النواحي . لقد هدم النظام القديم ، كما كان ينبغي هدمه ، وحول ، كما كان ينبغي تحويله ، الى ركام من الخراب . والتربة ممهدة ، وعلى هذه التربة ، ينبغي على الجيل الشيوعي الفتي ان يبني المجتمع الشيوعي . امامكم مهمة ، هي مهمة البناء . ولن تتمكنوا من القيام بها الا اذا استوعبتم كل المعارف الحديثة ، الا اذا استطعتم تحويل الشيوعية من صيغ ونصائح ، وتوصيات ،

وتعليمات ، وبرامج ، جاهزة ومحفوظة غيبا ، الى هذا الشيء الحي الذي ينسق عملكم المباشر ، الا اذا استطعتم ان تجعلوا من الشيوعية مرشدا في نشاطكم العملي .

تلك هي مهمتكم ، المهمة التي يترتب عليكم ان تستلهموها من اجل تعليم وتربية كل الجيل الفتي ، وحفز تقدمه . وعليكم ان تكونوا اوائل بناة المجتمع الشيوعي بين هؤلاء الملايين من البناة الذين ينبغي ان يكون منهم كل شاب وكل فتاة . واذا لم تجتذبوا الى عمل بناء الشيوعية كل الشباب العمال والفلاحين ، فانكم لن تبنوا المجتمع الشيوعي .

وهنا ، اصل بطبيعة الحال الى مسألة معرفة كيف ينبغي لنا ان نعلم الشيوعية واي طابع ينبغي ان تتخذه اساليبنا .

قبل كل شيء اتناول هنا مسألة الاخلاق الشيوعية .

ينبغي عليكم ان تربوا انفسكم تربية شيوعية . المهمة الموضوعة امام اتحاد الشبيبة ، هي ان يمارس نشاطه العملي بحيث ان هذه الشبيبة ، وهي تتعلم ، وتنتظم ، وتحتشد ، وتناضل ، تربي نفسها و جميع الذين يعترفون بها كمرشدة ، لكي تربي شيوعيين . ينبغي ان يرمي

كل عمل تثقيف الشبيبة الحالية وتعليمها وتربيتها الى انماء الاخلاق الشيوعية عندها .

ولكن ، هل ثمة اخلاق شيوعية ؟ هل ثمة سلوك شيوعي ؟ اجل ، بكل تأكيد . غالبا ما يزعم ان ليس لدينا اخلاق خاصة بنا ، وفي معظم الاحيان ، تتهمنا البرجوازية ، باننا ، نحن الشيوعيين ، ننكر كل اخلاق . وتلك طريقة لتشويه الافكار ، لذر الرماد في عيون العمال والفلاحين .

باي معنى ننكر الاخلاق وننكر السلوك ؟

بالمعنى الذي تبشر به البرجوازية ، التي كانت تشتق هذه الاخلاق من وصايا الله . وبهذا الصدد ، نقول ، بالطبع ، اننا لا نؤمن بالله ، ونعرف جيدا جدا ان رجال الدين والملاكين العقاريين والبرجوازية كانوا يتكلمون باسم الله لكي يؤمنوا مصالحهم كمستثمرين . كذلك كانوا لا يشتقون هذه الاخلاق من قواعد السلوك ومن وصايا الله ، وانما كانوا يستخلصونها ايضا من جمل مثالية او نصف مثالية ، تعني دائما شيئا يشبه كثير الشبه وصايا الله .

ان كل اخلاق من هذا النوع ، مستقاة من مفاهيم مفصولة عن الانسانية ، مفصولة عن الطبقات ، ان كل اخلاق كهذه ننفيها وننكرها . ونقول انها تخدع العمال والفلاحين وتغشهم ، وتحشو ادمغتهم حشوا ، وذلك في صالح الملاكين العقاريين والرأسماليين .

اننا نقول ان اخلاقنا خاضعة تماما لمصالح نضال البروليتاريا الطبقي . ان اخلاقنا تنبثق من مصالح نضال البروليتاريا الطبقي .

لقد كان المجتمع القديم قائما على اضطهاد جميع العمال وجميع الفلاحين من جانب الملاكين العقاريين والرأسماليين . كان علينا ان نهدم كل ذلك ، ان نسقط هؤلاء ؛ ولكن كان ينبغي تحقيق الاتحاد لأجل هذا الغرض . ولم يكن الله هو الذي سيحقق هذا الاتحاد .

ان هذا الاتحاد لم يكن من الممكن ان يأتي الا من المصانع والمعامل ، الا من بروليتاريا متعلمة ، استيقظت من سباتها الطويل . وفقط عندما تشكلت هذه الطبقة ، بدأت الحركة الجماهيرية التي ادت الى ما نراه اليوم ، الى انتصار الثورة البروليتارية في بلد من اضعف البلدان ، في بلد يدافع عن نفسه منذ ثلاث سنوات ضد هجوم برجوازية العالم بأسره . وها نحن نرى الثورة البروليتارية تنمو وتتعاظم في العالم بأسره . ونقول اليوم ، بالاستناد الى تجربتنا ، ان البروليتاريا وحدها كانت تستطيع ان تنشئ قوة متجانسة تجانسا كافيا لكي تجتذب وراءها الفلاحين المبعثرين المتشتتين ، قوة صمدت بوجه جميع هجمات المستثمرين . هذه الطبقة وحدها تستطيع ان تساعد الجماهير الكادحة في توحيد صفوفها

وحشدها ، في صيانة المجتمع الشيوعي نهائيا ، في ترسيخه نهائيا ، في بنائه نهائيا .

ولهذا نقول : ليس ثمة اخلاق بنظرنا خارج نطاق المجتمع الانساني ، والقول بوجودها خارج المجتمع خداع وتضليل . فالاخلاق ، بنظرنا ، خاضعة لمصالح نضال البروليتاريا الطبقي .

ولكن ، ما هو قوام هذا النضال الطبقي ؟ قوامه اسقاط القيصر ، واسقاط الرأسماليين ، ومحو طبقة الرأسماليين .

وما هي الطبقات بوجه عام ؟ انها ما يتيح لقسم من المجتمع ان يستأثر بعمل الآخرين . فاذا استأثر قسم من المجتمع بكل الارض ، كانت طبقة الملاكين العقاريين وطبقة الفلاحين . واذا امتلك قسم من المجتمع المصانع والمعامل ، والاسهم والرساميل ، بينما القسم الآخر يشتغل في هذه المصانع ، كانت طبقة الرأسماليين وطبقة البروليتاريين .

ان طرد القيصر لم يكن صعبا ، — فقد كفت بضعة ايام . ولم يصعب صعوبة طرد الملاكين العقاريين — فقد استطعنا تحقيق ذلك في بضعة اشهر ؛ كذلك ليس من الصعب صعوبة طرد الرأسماليين . ولكنه من الاصعب الى ما لا حد له محو الطبقات ؛ فان الانقسام الى عمال وفلاحين ما يزال قائما . فاذا اقام الفلاح على قطعة من الارض واستأثر بفائض

حبوبه ، اي الحبوب التي لا يحتاج اليها ، لا لنفسه ، ولا لماشيته ، في حين يظل جميع الآخرين بلا حبوب ، فان هذا الفلاح يستحيل اذ ذاك الى مستثمر . وكلما احتفظ بحبوبه ، كلما رأى في ذلك فائدته ، ولا بأس ان يجوع الآخرون : «كلما جاعوا ، بعت حبوبي بسعر اغلى» . ينبغي ان يشتغل الجميع وفقا لبرنامج مشترك على ارض مشتركة ، وفي المصانع والمعامل المشتركة ، ووفقا لنظام مشترك . فهل من السهل تحقيق ذلك ؟ انكم ترون ان الحل هذه المرة اصعب مما كان عليه حين كان يتعلق الامر بطرد القيصر والملاكين العقاريين والرأسماليين . فهذه المرة ، ينبغي ان تعيد البروليتاريا تربية وتعليم قسم من الفلاحين وان تجتذب اليها الذين هم فلاحون كادحون ، لكي تسحق مقاومة الفلاحين الاغنياء الذين يثرون من بؤس الآخرين . ولذا فان الهدف من نضال البروليتاريا لما يتحقق لكوننا اسقطنا القيصر ، وطردنا الملاكين العقاريين والرأسماليين ؛ والحال ، ان انجاز هذا النضال ، انما هو بالضبط مهمة النظام الذي نسميه ديكتاتورية البروليتاريا .

ان النضال الطبقي مستمر ؛ ولم يتغير الا شكله . فالبروليتاريا تخوض هذا النضال الطبقي لكي تحول دون عودة المستثمرين السابقين ، ولكي توحد في حلف واحد جماهير الفلاحين المبعثرين الجاهلين . ان

النضال الطبقي مستمر ، وواجبنا ان نخضع جميع المصالح لهذا النضال . ولهذه المهمة نخضع كل اخلاقنا الشيوعية . ونحن نقول : الاخلاق هي ما يتيح هدم مجتمع المستثمرين القديم وتوحيد جميع الشغيلة حول البروليتاريا التي تنشئ المجتمع الجديد ، الشوعي .

ان الاخلاق الشيوعية ، انما هي الاخلاق التي تخدم هذا النضال ، وتوحد الشغيلة ضد كل استثمار ، ضد كل ملكية صغيرة ، لأن الملكية الصغيرة تضع في يدي فرد واحد ما ابدعه عمل المجتمع باسره . ان الارض ، عندنا ، ملكية مشتركة .

ولكن اذا اخذت قسما من هذه الملكية المشتركة ، واذا انتجت منها كمية من الحبوب تزيد الضعفين عما هو ضروري لي ، واذا ضاربت بفائض هذه الحبوب ؟ واذا قلت في نفسي ان كلما ازداد عدد الجياع ، ارتفعت الاسعار التي تدفع لي ؟ فهل اتصرف على هذا النحو كشيوعي ؟ كلا ، اني اتصرف كمستثمر ، كمالك . ينبغي ان نناضل ضد هذا . فاذا تركت الامور على حالها ، فكل شيء يسير الى وراء ، نحو حكم الرأسماليين ، نحو حكم البرجوازية ، كما تبين مرارا عدة في الثورات الماضية . ولأجل الحؤول دون عودة حكم الرأسماليين والبرجوازية ، ينبغي الحؤول دون المضاربة ، ينبغي

الحؤول دون اثراء البعض على حساب الآخرين ، ولهذا الغرض ، ينبغي ان يتحد جميع الشغيلة مع البروليتاريا ويكونوا المجتمع الشيوعي . ذلك هو الطابع الخاص ، الاساسي ، لما يشكل المهمة الاساسية الموضوعة امام اتحاد الشباب الشيوعي وتنظيمه .

كان المجتمع القديم قائما على المبدأ التالي : اما ان تنهب قريبك ، واما ان ينهبك قريبك ؛ اما ان تشتغل في صالح آخر ، واما ان يشتغل هو في صالحك ؛ اما ان تكون مالك عبيد ، واما ان تكون انت عبدا . ومفهوم ان يرضع الناس الذين تربوا في هذا المجتمع ، مع حليب امهاتهم ، اذا جاز القول ، نفسية وعادات ومفاهيم مالك العبيد او العبد ، او الملاك الصغير ، او المستخدم الصغير ، او الموظف الصغير ، او المثقف ، وبكلمة موجزة ، انسان لا يفكر الا بامتلاك ما هو ضروري له ، ولا يبالي بمصير الآخرين .

اذا كنت استثمر قطعة ارضي ، فليس لي ان اهتم بالآخرين ؛ واذا جاع الآخر كان ذلك افضل : فاني سأبيع حبوبي بسعر اغلى . واذا كان لي منصب صغير كطبيب او مهندس او معلم او مستخدم ، فما همني من الغير . وربما تملقت المتسلطين على زمام الحكم ، وسعيت الى ارضائهم ، فاحافظ على منصبي ، بل قد انجح في شق طريقي ، واصبح انا نفسي

برجوازيا . ان مثل هذه النفسية ، مثل هذه الحالة الفكرية ليستا من صفات الشيوعي . فعندما اثبت العمال والفلاحون اننا قادرون ، بقوانا الخاصة ، على ان ندافع عن انفسنا وان ننشىء مجتمعا جديدا ، حينذاك بدأت تربية جديدة ، شيوعية ، تربية تمت في غمرة النضال ضد المستثمرين ، تربية بالتحالف مع البروليتاريا ، ضد الانانيين وصغار الملاكين ، ضد النفسية والعادات التي تحمل المرء على القول : اني اسعى وراء فائدتي انا ، والباقي لا يهمني ابدا .

ذلك هو الجواب على مسألة معرفة كيف ينبغي على الجيل الفتي الصاعد ان يتعلم الشيوعية .

ان الجيل الصاعد لا يستطيع ان يتعلم الشيوعية الا اذا ربط كل خطوة يخطوها في دراسته وتربيته وتعليمه ، بالنضال الدائب الذي يخوضه البروليتاريون والشغيلة ضد مجتمع المستثمرين القديم . وعندما يحدثوننا عن الاخلاق ، نقول : ان الاخلاق ، بنظر الشيوعي ، تقوم كلهـا في هذا الانضباط والتضامن والتراص وفي هذا النضال الواعي الذي تخوضه الجماهير ضد المستثمرين . اننا لا نؤمن بالاخلاق الابدية ، واننا نفضح جميع القصص والحكايات الكاذبة الملفقة حول الاخلاق . ان الاخلاق تتيح للمجتمع الانساني ان يرتفع الى اعلى ، ان يتحرر من استثمار العمل .

ولأجل بلوغ هذا الهدف ، ينبغي ان يكون هذا الجيل من الشبان الذين اخذوا يتحولون الى رجال واعين ، في جو من النضال النظامي ، الضاري ، ضد البرجوازية . وفي معمعان هذا النضال سيربي هذا الجيل شيوعيين حقيقيين ؛ ولهذا النضال وبه ينبغي على هذا الجيل ان يخضع ويربط كل خطوة يخطوها في دراسته وتربيته وتعليمه . ان تربية الشبيبة الشيوعية لا تعني التكرم عليها بالخطب المعسولة وبقواعد الاخلاق . فليس هذا قوام التربية . فان الذين رأوا آباءهم وامهاتهم يقضون حياتهم تحت نير الملاكين العقاريين والرأسماليين ؛ والذين تحملوا قسطهم من الآلام التي عاناها اولئك الذين بدأوا المعركة ضد المستثمرين ؛ والذين رأوا اي تضحيات تقتضيها مواصلة هذا النضال دفاعا عن المكتسبات ، وأي اعداء الداء ضراة هم الملاكون العقاريون والرأسماليون ، — ان هؤلاء هم الذين يتربون ، في هذه الاحوال ، تربية شيوعية . ان ما يقوم في اساس الاخلاق الشيوعية ، هو النضال في سبيل ترسيخ الشيوعية ، وانجاز بنائها . ذلك هو ايضا اساس التربية الشيوعية والتثقيف الشيوعي والتعليم الشيوعي . ذلك هو الجواب على مسألة معرفة كيف ينبغي ان نتعلم الشيوعية .

اننا لن نؤمن بالتعليم والتثقيف والتربية اذا انحصرت في المدارس وانفصلت عن الحياة المتدفقة .

وما دام الملاكون العقاريون والرأسماليون يضطهدون العمال والفلاحين ، وما دامت المدارس في ايدي هؤلاء الملاكين والرأسماليين ، فلسوف يبقى الجيل الفتي اعمى وجاهلا . والحال ينبغي لمدرستنا نحن ان تعطي الشباب اسس المعرفة ، وان تعلمهم كيف يكوّنون بانفسهم عقلية شيوعية ، ينبغي لها ان تجعل منهم اناسا متعلمين . ينبغي لها ، خلال مدة دراستهم ، ان تجعل منهم مشتركين في النضال لاجل التحرر من المستثمرين . ان اتحاد الشبيبة الشيوعي ، لن يكون جديرا بهذا الاسم ، لن يكون حقا اتحاد الجيل الشيوعي الفتي ، الا متى ربط كل خطوة يخطوها في دراسته وتربيته وتعليمه ، بالنضال المشترك الذي يخوضه جميع الشغيلة ضد المستثمرين . وبالفعل ، انتم تعرفون جيدا انه ما دامت روسيا هي الجمهورية العمالية الوحيدة ، وما دام النظام البرجوازي القديم قائما في باقي العالم ، فاننا سنظل اضعف منهم ، وسنظل مهددين في كل لحظة بهجوم جديد ، واننا لن ننتصر في النضال اللاحق ولن ترسخ بالتالي اقدامنا ومواقعنا ، فيستحيل فعلا قهرنا الا اذا تعلمنا كيف نتحد وكيف نعمل بقلب واحد . وهكذا ، ان يكون المرء شيوعيا ، فهذا يعني تنظيم وتوحيد كل الجيل الصاعد ، هذا يعني اعطاء المثال على التربية والروح النظامي في هذا النضال ،

واذ ذاك تستطيعون ان تباشروا وتتمموا بناء صرح المجتمع الشيوعي .

ولكي انيركم حول هذه النقطة ، اورد مثلا . اننا نسمى انفسنا شيوعيين . فمن هو الشيوعي ؟ ان كلمة شيوعي آتية من اللاتينية Communis ، (كومونس – **المعرب**) . وكلمة كومونس تعني مشترك . والمجتمع الشيوعي ، يعني : كل شيء مشترك – الارض مشتركة ، والمعامل مشتركة ، والعمل مشترك . تلك هي الشيوعية .

فهل يمكن ان يكون ثمة عمل مشترك اذا كان كل امرئ يستثمر قطعة ارض لحسابه الخاص ؟ ان العمل المشترك لا ينشأ دفعة واحدة . هذا غير ممكن . ولا يهبط من السماء . انما ينبغي اكتسابه ، انه ثمرة آلام طويلة . ينبغي انشاؤه . وهو ينشأ في غمرة النضال . فالمسألة لا تنحصر الآن في الكتابات القديمة ، فليس ثمة من يصدق هذه الكتابات . تنبغي التجربة الشخصية في الحياة . عندما كان كولتشاك ودينيكين يتقدمان ، قادمين من سيبيريا والجنوب ، كان الفلاحون الى جانبهما . ولم تكن البلشفية لترضيهم ، لأن البلاشفة كانوا يأخذون الحبوب باسعار ثابتة . ولكن ، عندما عانى الفلاحون في سبيريا واوكرانيا حكم كولتشاك ودينيكين ، ادركوا انه لا أختيار عندهم : فاما السير وراء

الرأسمالي الذي يسلمهم الى عبودية الملاك العقاري ، واما السير وراء العامل الذي لا يعد ، حقا ، بالمن والسلوى ، والذي يتطلب منهم الثبـات والانضباط الحديدي في معركة قاسية ، ولكنه يحررهم من عبودية الرأسماليين والملاكين العقاريين . بـل حين ادرك الفلاحون الجهلة انفسهم هذه الحقيقة وتثبتوا منها بتجربتهم الخاصة ، اصبحوا من انصار الشيوعية الواعين الذين اجتازوا مدرسة صعبة . هذه التجربة ، ينبغي على اتحاد الشبيبة الشيوعي ان يضعها في اساس كل نشاطه .

لقد اجبت على مسألة معرفة ما يترتب علينا ان نتعلمه ومـا ينبغي لنا ان نأخذه من المدرسة القديمة والعلم القديم . وسأحاول ان اجيب ايضا على مسألة معرفة كيف ينبغي ان نتعلم كل هذه الامور : لن نتعلمها الا اذا ربطنا بصورة لا تنفصم عراها كل خطوة من العمل في المدرسة ، وكل خطوة من التربية والتعليم والدراسة ، بنضال جميع الشغيلة ضد المستثمرين .

ببعض الامثلة المستقاة من تجربة عمل هذه المنظمة او تلك من منظمات الشباب ، سأبين لكـم بوضوح كيف ينبغي ان تجري هذه التربية الشيوعية . جميع الناس يتحدثون عن تصفية الامية . وانتـم تعلمون انه يستحيل بناء مجتمع شيوعي في بلد من

الاميين . فلا يكفي ان تأمـــر سلطة السوفييت ، او ان يلقي الحزب شعارا معينا ، او ان نعبىء لهذه المهمة قسما من خيرة مناضلينـــا . لهذا الغرض ، ينبغي على الجيل الفتي نفسه ان يشرع في تنفيذ هذه المهمة . ان الشيوعية تقوم في كون الشبان والفتيات المنتسبين الى اتحـــاد الشبيبة يعلنـــون : ان هذه قضيتنا ، وسنضم صفوفنا ونمضي الى القرى لتصفية الامية ، لكي لا يبقى في صفوف جيلنا الصاعد اميون . ونحن نسعى لكي تنصب مبادرة الجيل الناشىء على هذه المهمة . وانتم تعلمون انه يستحيل تحويل روسيا الجاهلة الامية بسرعة الى بلد متعلم ؛ ولكن ، اذا اخذ اتحاد الشبيبة هذه المهمة على عاتقه ، واذا عملت الشبيبة كلهـــا في صالح الجميع ، فان هذا الاتحاد ، الذي يضم ٤٠٠٠٠٠ من الشبان والفتيات ، سيحق له ان يتسمى اتحاد الشبيبة الشيوعي . وعلى الاتحاد ايضا ، مع استيعابه هذه المعارف او تلك ، ان يساعد الشبان الذين لا يستطيعون تحرير انفسهم بانفسهم من ظلمات الامية . وان يكون المرء عضوا في اتحاد الشبيبة ، يعني انه يترتب عليه ان يضع عمله وطاقته في خدمة القضية المشتركة . في هذا تنحصر التربية الشيوعية . فبالعمل على هذا النحو فقط ، يصبح الشاب او الفتاة شيوعيين حقيقيين . ولا يصبحان شيوعيين الا اذا حصلا بعملهما هذا على نتائج عملية .

خذوا ، مثلا ، العمل في بساتين الخضراوات قرب المدن . او ليست هذه مهمة ؟ انها من مهمات اتحاد الشبيبة الشيوعي . فالناس جياع والمجاعة سائدة في المعامل والمصانع . فلكي نتخلص من المجاعة ، ينبغي تطوير زراعة الخضراوات ؛ ولكن الزراعة ما تزال تتبع الاساليب القديمة . ينبغي اذن ان تبدأ العمل العناصر الاكثر وعيا . وحينذاك ترون ان بساتين الخضراوات تتكاثر ومساحتها تزداد ، والنتائج تتحسن . ينبغي على اتحاد الشبيبة الشيوعي ان يشترك اشتراكا نشيطا في هذا العمل . ينبغي على كل منظمة او كل خلية في الاتحاد ان تعتبر هذه المهمة مهمتها الخاصة .

ينبغي على اتحاد الشبيبة الشيوعية ان يكون فصيلة الصدام التي تقدم مساعدتها في كل عمل وتعطي الدليل على روح المبادرة والمبادهة . ينبغي على الاتحاد ان يسلك سلوكا يستطيع معه كل عامل ان يرى في اعضاء الاتحاد قوما قد لا يفهم مذهبهم ، قوما قد لا يؤمن فورا بمذهبهم ، ولكن عملهم الحي ونشاطهم يقنعانه بانهم فعلا هم الذين يبينون له السبيل القويم .

فاذا لم يتوصل اتحاد الشبيبة الشيوعي الى تنظيم نشاطه على هذا النحو في جميع الميادين ، فهذا يعني انه يسلك السبيل القديم ، السبيل البرجوازي . ينبغي لنا ان نربط تربيتنا بنضال

الشغيلة ضد المستثمرين ، لكي نساعد الشغيلة في انجاز المهمات الناجمة عن المذهب الشيوعي .

ينبغي على اعضاء الاتحاد ان يكرسوا كل ساعة من اوقات فراغهم لتحسين الزراعة في بساتين الخضراوات او في تنظيم تعليم الشبان في مصنع ما او معمل ما الخ .. اننا نريد ان نجعل من روسيا الفقيرة البائسة بلادا غنية . ولذا ينبغي ان يربط اتحاد الشبيبة الشيوعي تعلمه ودراسته وتربيته بعمل العمال والفلاحين ، والا ينحصر في مدارسه والا يقتصر على قراءة الكتب والكراريس الشيوعية . فبالعمل فقط بصورة مشتركة مع العمال والفلاحين ، يستطيع المرء ان يصبح شيوعيا حقيقيا . وينبغي ان يرى جميع الناس ان المنتسبين الى اتحاد الشبيبة متعلمون وانهم يعرفون في الوقت نفسه كيف يشتغلون . وعندما يرى الجميع اننا نبذنا من المدرسة القديمة اساليب الترويض القديمة واننا استعضنا عنها بروح نظامي واع ، وان جميع شبابنا يشتركون في السبوت الشيوعية وانهم يستخدمون كل مزرعة قرب المدن لكي يساعدوا السكان ، فان الناس سيقفون من العمل موقفا يختلف كل الاختلاف عن موقفهم السابق .

على اتحاد الشبيبة الشيوعي ان ينظم في القرية او في الحي المساعدة الضرورية – واضرب مثلا صغيرا –

لتأمين النظافة او لتوزيع المأكولات . ولكن ، كيف كان يتم ذلك في المجتمع الرأسمالي القديم ؟ كان كل امرئ لا يشتغل الا لنفسه ، ولم يكن احد ليهتم بمعرفة ما اذا كان ثمة شيوخ او مرضى ، او ما اذا كانت جميع الشئون المنزلية تقع على كاهل المرأة التي كانت لهذا السبب ، مرهقة ومستعبَدة . فمن يترتب عليه ان يناضل ضد هذا ؟ اتحاد الشبيبة . ينبغي عليه ان يقول : سنغير كل هذا ، وسننظم فصائل من الشبـان تساعد في تأمين النظافـة او في توزيـع المأكولات ، وتزور البيوت بانتظام ، وتعمل بصورة منظمة في خير المجتمع كله ، موزعة القوى توزيعا سديدا ومبينة انه ينبغي ان يكون العمل عملا منظما .

ان الجيل الذي بلغ ممثلوه اليوم ما يقرب من الخمسين من العمر لا يستطيع ان يأمل رؤية المجتمع الشيوعي . فان هذا الجيل سينقرض قبل ان يأتي هذا المجتمع . اما الجيل الذي يبلغ اليوم الخامسة عشرة من العمر ، فسيرى المجتمع الشيوعي وسيعمل بنفسه في بنائه . ولذا ينبغي عليه ان يعرف ان كل هدف حياته هو بناء هذا المجتمع . ففي المجتمع القديم كان العمل تقوم به العائلات ، كل عائلة منعزلة منفردة عن الاخرى ، ولم يكن ثمة من ينسق هذا العمل الا الملاكون العقاريون والرأسماليون ، الذين كانوا يضطهدون سواد الشعب . اما نحن ، فينبغي علينا ان

ننظم كل عمل ، مهما كان قذرا وصعبا ، بصورة يستطيع معها كل عامل وكل فلاح ان يقول في نفسه : اني عضو في هذا الجيش الكبير ، جيش العمل الحر ، وسأعرف كيف انظم بنفسي حياتي دون الملاكين العقاريين والرأسماليين ، سأعرف كيف اقيم النظام الشيوعي . ينبغي على اتحاد الشبيبة الشيوعي ان يثقف الجميع ، منذ الصبى * ، بروح العمل الواعي النظامي . وهكذا نستطيع ان نأمل انجاز المهمات الموضوعة الآن امامنا . ينبغي ان نحسب انه يجب ان تنقضي عشر سنوات على الاقل لكي تتم كهربة البلاد ، ولكي تتمكن ارضنا التي أفتقرت ، من الاستفادة من آخر منجزات التكنيك . والحال ، ينبغي على الجيل الذي يبلغ اليوم الخامسة عشرة من العمر والذي سيعيش في المجتمع الشيوعي بعد عشر او عشرين سنة ان ينظم دراسته بصورة تستطيع معها الشبيبة في كل يوم ، في كل مدينة وفي كل قرية ، ان تقوم عمليا بهذه المهمة او تلك من العمل المشترك ، مهما كانت هذه المهمة ضئيلة وبسيطة . وبقدر ما يجري ذلك في جميع القرى وتتطور المباراة الشيوعية ، وتبرهن

---

* في عدد «البرافدا» رقم ٢٢٣ بتاريخ ٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٠ ، وردت كلمات «منذ الثانية عشرة من العمر» بدل كلمتي «منذ الصبى» . — **الناشر** .

الشبيبة على انها تعرف كيف تنسق عملها ، بقدر ما يتأمن نجاح البناء الشيوعي . ولن يستطيع اتحاد الشبيبة الشيوعي ان يحشد نصف المليون من اعضائه في جيش واحد للعمل ، ويكسب احترام الجميع ، الا اذا رأينا الى كل عمل من اعمالنا من حيث نجاح هذا البناء ، الا اذا تساءلنا اذا كنا بذلنا كل ما في وسعنا لكي نكون شغيلة متحدين واعين . (**عاصفة من التصفيق .**)

«البرافدا» ، الاعداد : ٢٢١ ، ٢٢٢ و٢٢٣ ؛ ٥ و٦ و٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٠

لينين . المؤلفات ، الطبعة الروسية الخامسة ، المجلد ٤١ ، ص ص ٢٩٨–٣١٨

عن الثقافة البروليتارية (٣٢)

من عدد «ازفيستيا» بتاريخ ١٠/٨ ، يتبين ان الرفيق لوناتشارسكي قال في مؤتمر «بروليتكولت» * **تماما عكس** ما اتفقنا عليه معه امس .

فمن اللازم اعداد مشروع قرار (لمؤتمر «بروليتكولت») بسرعة خارقة ، وتمريره في اللجنة المركزية ، وعدم التأخر في تمريره في دورة

* راجع الملاحظة رقم ٢٣ . — **المعرب .**

«بروليتكولت» **هذه بالذات** . وينبغي اليوم بالذات تمريره باسم اللجنة المركزية سواء أفي هيئة مفوضية الشعب للتعليم ام في مؤتمر «بروليتكولت» ، لأن المؤتمر ينتهي اليوم .

مشروع قرار :

١ – في جمهورية العمال والفلاحين السوفييتية ، ينبغي ان يكون تنظيم الامور كله في حقل التعليم ، سواء أمن الناحية السياسية التثقيفية على العموم ام من ناحية الفن على الخصوص ، مفعما بروح نضال البروليتاريا الطبقي من اجل تحقيق اهداف ديكتاتوريتها بنجاح ، اي من اجل اسقاط البرجوازية ، من اجل القضاء على الطبقات ، من اجل ازالة كل استثمار للانسان من قبل الانسان .

٢ – لهذا ينبغي على البروليتاريا ، سواء أفي شخص طليعتها الحزب الشيوعي ام في شخص مجمل المنظمات البروليتارية على العموم ايا كانت ، ان تشترك انشط الاشتراك واكبره واهمه في قضية تثقيف الشعب كلها .

٣ – ان كل تجربة التاريخ الحديث ولا سيما نضال البروليتاريا الثوري في جميع بلدان العالم خلال اكثر من نصف قرن منذ ظهور «البيان الشيوعي» قد

اثبتا بما لا يقبل الجدل ان مفهوم الماركسية عن العالم هو وحده التعبير الصحيح عن مصالح البروليتاريا الثورية وثقافتها ووجهة نظرها .

٤ — لقد اكتسبت الماركسية اهميتها التاريخية العالمية بوصفها ايديولوجية البروليتاريا الثورية لان الماركسية لم تطرح جانبا على الاطلاق اثمن مكتسبات العهد البرجوازي ، بل بالعكس ، استوعبت واعادت صياغة كل ما كان ذا قيمة في تطور الفكر البشري والثقافة البشرية خلال اكثر من الفي سنة . وان العمل اللاحق على هذا الاساس وفي هذا الاتجاه بالذات ، العمل الذي يستوحي التجربة العملية لديكتاتورية البروليتاريا بوصفها نضال البروليتاريا الاخير ضد كل استثمار ، هو وحده الذي يمكن اعتبـــاره تطويرا للثقافة البروليتارية فعلا .

٥ — ان مؤتمر « بروليتكولت » لعامة روسيا يتمسك بثبات بوجهة النظر المبدئية هذه ، ويرفض باحزم وجه جميع المحاولات الرامية الى تلفيق ثقافة خاصة متميزة ، والانطواء في منظمات خاصة منعزلة ، واقامة الحواجز بين ميدان عمل مفوضية الشعب للتعليم وميدان عمل « بروليتكولت » او اقرار « الاستقلال الذاتي » « لبروليتكولت » داخل مؤسسات مفوضية الشعب للتعليم ، وخلاف ذلك ، لاعتباره هذه المحاولات خاطئة نظريا وضارة عمليا . وعلى العكس ، يلزم

المؤتمر قطعا جميع منظمات «بروليتكولت» بــان تعتبر نفسها كليا هيئات معاونة في شبكة مؤسسات مفوضية الشعب للتعليم وان تنفذ مهامها ، بوصفها قسما من مهام ديكتاتورية البروليتاريا ، تحت قيادة عامة من قبل السلطة السوفييتية (وخصوصا مفوضية الشعب للتعليم)والحزب الشيوعي الروسي .

* * *

يقول الرفيق لوناتشارسكي انهم شوهوا قوله . ولكن القرار ضروري **بالاحرى** منتهى الضرورة .

كتب في ٨ تشريــن الاول (اكتوبر) ١٩٢٠ . صدر للمرة الاولى عــام ١٩٢٦ في مجلــة «كراسنايــا نوف» ، العدد ٣

لينين . المؤلفات ، الطبعة الروسية الخامسة ، المجلد ٤١ ، ص ص ٣٣٦-٣٣٧

مسودة قرار عن الثقافة البروليتارية (٣٣)

١ – لا افكار خاصة ، بل الماركسية .

٢ – لا **اختلاق** ثقافة بروليتارية جديدة ، بل **تطوير** خيرة نماذج وتقاليد ونتائج الثقافة **الموجودة من وجهة نظر** الماركسية عن العالم وظروف حيــاة ونضال البروليتاريا في عهد ديكتاتوريتها .

٣ ـ لا كشيء خاص منفصل عن مفوضية الشعب للتعليم ، بل كجزء منهـا ، لأن الحزب الشيوعي الروسي+مفوضية الشعب للتعليم= Σ* البروليتكولت .

٤ ـ صلـة وثيقـة وخضـوع البروليتكولت لمفوضية الشعب للتعليم .

٥ ـ قطعا لا يجوز ...**

كتـب في ٩ تشريـن الاول (اكتوبر) ١٩٢٠ . صدر للمرة الاولى في ١٩٤٥ في المجموعة اللينينية الـ٣٥

لينين . المؤلفات ، الطبعة الروسية الخامسة ، المجلد ٤١ ، ص ٤٦٢

كلمة في اجتماع عامة روسيا لهيئات التثقيف السياسى في اقسام التعليم العام بالمحافظات والاقضية

٣ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٠ (٣٤)

ايها الرفاق ، اسمحوا لي ان اشاطركم بعض الافكار التي لمستها جزئيا اللجنة المركزية للحزب الشيوعي ومجلس مفوضي الشعب حول تنظيم الادارة المركزية للتثقيف السياسي وخطرت جزئيـا في بالي

---

* Σ (سيغمـا ـ حرف يوناني) ـ ويعني الحاصل . **المعرب** .

** هنا تنقطع المخطوطة . ـ **الناشر** .

لمناسبة ذلك المشروع الذي احيل الى مجلس مفوضي الشعب . وامس ، قبل هذا المشروع كاساس ، ثم سيصار ايضا الى بحثه بالتفصيل (٣٥) .

واني لاسمح لنفسي بان اشير فقط الى اني وقفت في البدء موقفاً سلبيا للغاية من تغيير اسم مؤسستكم . فبرأيي ان مهمة مفوضية الشعب للتعليم انما هي مساعدة الناس على التعلم وتعليم الغير . وقد اعتدت في زمن خبرتي السوفييتية ان اقف من مختلف التسميات وقوفي من المزحات الصبيانية لأن كل تسمية هي ضرب من مزحة . والآن تمت المصادقة على تسمية جديدة : الادارة المركزية للتثقيف السياسى .

وبما ان هذه المسألة قد حلت ، فلا تعتبروا ملاحظتي اكثر من ملاحظة شخصية . واذا لم يقتصر الامر على مجرد تغيير اللقب ، فلا يبقى غير الترحيب به .

اذا افلحنا في اجتذاب شغيلة جدد لأجل العمل التثقيفي والتعليمي ، فان القضية لن تقتصر آنذاك على التسمية الجديدة ، وآنذاك سيصبح من الممكن التساهل بالولع «السوفييتي» في لصق النعوت على كل قضية جديدة وكل مؤسسة جديدة . واذا توفقنا ، توصلنا الى شيء ما يزيد عما توصلنا اليه حتى الآن .

ان أهم ما ينبغي ان يحمل الرفاق على الاشتراك معنا في العمل التثقيفي والتعليمي هو مسألة علاقة التعليم مع سياستنا . في وسع التسمية ان تقصد شيئا ما اذا اقتضى الامر ، لأننا لا نستطيع ان نأخذ في عموم النهج المتعلق بعملنا التعليمي بوجهة النظر القديمة القائلة بلاسياسية التعليم ، لا نستطيع ان نضع العمل التعليمي في معزل عن السياسة .

هذه الفكرة كانت تهيمن ولا تزال تهيمن في المجتمع البرجوازي . ان تعبير «لاسياسية» التعليم انما هو نفاق برجوازي ، وهــو ليس غير خداع للجماهير التي تستذل سيطرة الكنيسة والملكية الخاصة وخلافهما ٩٩ بالمئة منها . والى هذا الخداع بالذات للجماهير ، تنصرف البرجوازيــة السائدة في جميع البلدان التي لا تزال بعد برجوازية .

وبقدر ما تتعاظم اهمية الجهاز هناك ، بقدر ما تقل حريته حيال الرأسمال وسياسته .

ان الصلة بين الجهاز السياسي والتعليم في جميع الدول البرجوازية هي فائقة المتانة ، رغم ان المجتمع البرجوازي لا يستطيع الاعتراف بهذا الواقع صراحة ، مع العلم ان هذا المجتمع يؤثر في الجماهير بواسطة الكنيسة وبواسطة كل مؤسسة الملكية الخاصة .

ومهمتنا الاساسية تقوم ، فيما تقــوم ، في معارضة «الحقيقة» البرجوازية بحقيقتنا وفي حمل الناس على الاعتراف بها .

ان الانتقال من المجتمع البرجوازي الى سياسة البروليتاريا انتقال عسير جدا ، خصوصـــا وان البرجوازية تفتري علينا بلا كلل بكل جهاز دعايتها وتحريضها . وهي تحاول قصارى جهدها ان تطمس دور ديكتاتورية البروليتاريا الذي هو أهم ، ان تطمس واجب ديكتاتورية البروليتاريا التربوي الذي يتسم باهمية خاصة في روسيا حيث البروليتاريا تشكل اقلية السكان . والحال ، هنا ينبغي ان يبرز هذا الواجب في المرتبة الاولى لأنه من الضروري لنا ان تهيئ الجماهير للبناء الاشتراكي . ولم يكن من الممكن حتى الكلام عن ديكتاتورية البروليتاريا لو لم تصقل البروليتاريا في نفسها درجة كبيرة من الوعي ، درجة كبيرة من الطاعة والانضباط ، درجة كبيرة من التفاني في النضال ضد البرجوازية ، اي ذلك المجموع من المهام الذي ينبغي طرحه لأجل انتصار البروليتاريا التام على عدوها المزمن .

نحن لا نأخذ بوجهة النظر الطوبوية التي تزعم ان الجماهير الكادحة مهيأة للمجتمع الاشتراكي . فنحن نعرف على اساس معطيات دقيقة يقدمها كل تاريخ الاشتراكية العماليـــة ان الحـــال ليس هكذا ، وان الاستعداد للاشتراكية لا يؤمنه غير الصناعة الكبيرة والنضال الاضرابي والتنظيم السياسي . ولأجل احراز النصر ، لأجل تحقيق الانقلاب الاشتراكي ، ينبغي ان

تكون البروليتاريـــا اهلا للعمل التضامني ، للاطاحـة بالمستثمرين . ونحن نرى الآن ان البروليتاريا قد اكتسبت جميع المؤهلات اللازمة وحولتها الى فعل عندما ظفرت بالسلطة .

ان المساعدة في تربية وتعليم الجماهير الكادحة لكي تتغلب على العادات القديمة والملكات القديمة التي بقيت لنا ارثا من النظام القديم ، عادات وملكات الملكية التي تفعم كليا صفوف الجماهير ، ينبغي ان تكون مهمة اساسية من مهام شغيلة التثقيف ومهام الحزب الشيوعي بوصفه طليعة النضال . وهذه المهمة الاساسية في عموم الانقلاب الاشتراكي لا ينبغي ابدا ان تغيب عن البال عند بحث تلك المسائل الجزئية التي استرعت كثيرا جدا انتباه لجنة الحزب المركزية ومجلس مفوضي الشعب . اما كيف نبني الادارة المركزية للتثقيف السياسي ، كيف نربطها بمختلف المؤسسات ، كيف نربطهـــا لا بالمركز وحسب ، بل ايضا بالمؤسسات المحلية ، فعن هذا السؤال يجيبنا رفاق اكثر كفاءة في هذا المضمار ويملكون تجربة كبيرة ودرسوا القضية خصيصا . الا اني اود فقط ان اشير الى الخطوط الاساسية في الجانب المبدئي من المسألة . فنحن لا يسعنا الا نطرح المسألة صراحة ، معترفين صراحة ، وخلافا للكذب القديم كله ، بانه لا يمكن للتعليم ألا يكون مرتبطا بالسياسة .

نحن نعيش في حقبة تاريخية من النضال ضد البرجوازية العالمية التي هي اقوى منا مرارا ومرارا عديدة . وفي مثل هذه الحقبة من النضال ، يتعين علينا ان نذود عن البناء الثوري ، ان نناضل ضد البرجوازية سواء بالسبيل الحربي او اكثر ايضا بالسبيل الفكري ، سبيل التربيـــة ، لكي تصبـــح العـــادات والملكات والمعتقدات التي صاغتها الطبقة العاملة لنفسها في سياق عقود وعقود من السنين في النضال لأجل الحرية السياسية ، لكي يصبح مجموع هذه العادات والملكات والافكار اداة لتربية جميع الشغيلة ؛ والحال ان حل مسألـــة طريقة التربيـــة بالذات يقـــع على كاهل البروليتاريا . ومن الضروري تربية الادراك بانه لا ينبغـــي ولا يجوز الوقوف في معزل عن نضـــال البروليتاريا الذي يشمل الآن اكثر فاكثر جميع البلدان الرأسمالية في العالم بلا استثناء ، الوقوف في معزل عن السياسة الدولية بأسرها . ففي اتحاد جميع البلدان الرأسمالية ذات الحول والطول في العالم ضد روسيا السوفييتية ، في هذا يقوم الاساس الحقيقي للسياسة الدولية الراهنة . ثم انه ينبغي الاعتراف بان مصير مئات الملايين من الشغيلة في البلدان الرأسمالية رهن بهذا . ذلك انه لا توجد في الوقت الحاضر زاوية في الكرة الارضيـــة ليست خاضعة لحفنة من البلدان الرأسماليـــة . وهكذا يرتدي الوضع شكلا بحيث

ينبغي اما الوقوف في معزل عن النضال القائم وتقديم البرهان بذلك على انعدام الوعي كليا كما فعل اولئك الجهلاء الذين وقفوا في معزل عن الثورة والحرب والذيـــن لا يــرون كل خداع الجماهير من قبل البرجوازية ، لا يرون كيف تبقي البرجوازية ، قصدا وعمدا ، هذه الجماهير في لجة الظلام والجهل ، واما خوض النضال في سبيل ديكتاتورية البروليتاريا .

وعن نضال البروليتاريا هذا ، نتكلم بصراحة تامة ، وينبغي لكل امرئ اما ان يقف الى هذا الجانب ، الى جانبنا ، واما الى الجانب الآخر . ان جميع المحاولات لعدم الوقوف لا الى هذا الجانب ولا الى ذاك تنتهي بالافلاس والفضيحة .

ونحن عندما راقبنا بقايا الكيرنسكية اللامتناهية ، وبقايا الاشتراكيين-الثوريين والاشتراكية-الديموقراطية، المتجلية في شخص اضراب يودينيتش وكولتشـــاك وبيتليورا وماخنو ومن لف لفهم ، رأينا تنوعا في اشكال وتلاوين الثورة المضادة في مختلف انحـــاء روسيا بحيث انه يمكننا القول اننا قد تمرسنـــا وتصلبنا اكثر من اي احد آخر ؛ ونحن عندما ننظر الى اوروبا الغربية نرى انه يتكرر هناك ما جرى عندنا ، يتكرر تاريخنا . ففي كل مكان تقريبا ، تظهر عناصر الكيرنسكية الى جانب البرجوازيـــة . وهذه العناصر تهيمن في جملة كاملة من الدول ، ولا سيما

في المانيا . وفي كل مكان ، يلاحظ الشيء نفسه ، اي استحالة اي موقف وسط ، والادراك الجلي لما يلي : اما الديكتاتورية البيضاء (ولها تستعد البرجوازية في جميع بلدان اوروبا الغربية بتسلحها ضدنا) ، واما ديكتاتورية البروليتاريا . ولقد لمسنا ذلك بدرجة من الحدة والعمق بحيث انه لا يتعين علي الاسهاب في الحديث عن الشيوعيين الروس . ومن هنا استنتاج واحد وحيد ، استنتاج يجب ان يقوم في اساس جميع المحاكمات والتعليلات المتعلقة بالادارة المركزية للتثقيف السياسي . فقبل كل شيء ، ينبغي الاعتراف صراحة بهيمنة سياسة الحزب الشيوعي في عمل هذا الجهاز . وشكلا آخر نحن لا نعرف ، وشكلا آخر لم يضع بعد اي بلد . قد يستجيب الحزب الى هذا الحد او ذاك لمصالح طبقته ، وقد يتعرض لهذه او تلك من التغييرات او الاصلاحات ، ولكننا لا نعرف بعد شكلا افضل ؛ والنضال في روسيا السوفييتية التي صدت في سياق ثلاث سنوات زحف الامبريالية العالمية ، مرتبط كله بكون الحزب يأخذ على عاتقه قصدا وعمدا مهمة مساعدة البروليتاريا في اداء دورها كمربية ومنظمة وقائدة ، في اداء ذلك الدور الذي يستحيل بدونه انهيار الرأسمالية . فعلى الجماهير الكادحة ، جماهير العمال والفلاحين ، ان تتغلب على عادات المثقفين

القديمة ، وان تعيد تربية نفسها من أجل بنـــاء الشيوعية ، وبدون هذا ، لا يجـــوز الشروع بقضية بناء الشيوعية . ان تجربتنا كلها تبين ان هذه القضية في منتهى الجد ، ولهذا يجب ألا يغيب عن بالنـــا امر الاعتراف بدور الحزب القيادي ؛ ولا نستطيع ان نهمل هذا لدن مناقشة مسألة النشاط ، مسألة البناء التنظيمي . اما كيف يتعين تحقيقه ، فهذا ما لا يزال ينبغي التكلم عنه كثيرا ، وما لا يزال يترتب التحدث عنه سواء أفي لجنة الحزب المركزية ام في مجلس مفوضي الشعب ؛ فـــان المرسوم الذي صودق عليه امس جاء اساسا بالنسبة للادارة المركزية للتثقيف السياسي ، ولكنه لم يقطع بعد كل سبيله في مجلس مفوضي الشعب ؛ وخلال بضعة ايام ، سينشر هذا المرسوم ، وسترون في صيغته المحررة نهائيا انه لا يتضمن اي تصريح مباشر بصدد العلاقة بالحزب .

ولكنه ينبغي لنا ان نعرف ونذكر ان دستور الجمهورية السوفييتية الحقوقي والواقعي يقوم بكليته على واقع ان الحزب يصلح ويعين ويبني كل شيء وفقـــا لمبدأ واحد ، لكي تتمكن العناصر الشيوعية المرتبطة بالبروليتاريا من اشباع هذه البروليتاريا بروحها ، واخضاعها لنفسها ، وتحريرهـــا من ذلك الخداع البرجوازي الذي نحاول من زمان بعيد التخلص منه . لقد ناضلت مفوضية الشعب للتعليم زمنـــا

طويلا ، وزمنا طويلا ناضلت منظمة المعلمين ضد الانقلاب الاشتراكي . ففي هذه البيئـــة التعليميـــة ترسخت الاوهام البرجوازية بقوة خاصة . وهنا احتدم النضال زمنا طويلا سواء أبصورة تخريب مباشر ام بصورة اوهام برجوازية صامدة بعناد ، ولذا يترتب علينا ان نظفر لانفسنـــا بالموقع الشيوعي ببطء ، خطوة اثر خطوة . امـــا الادارة المركزية للتثقيف السياسي التي تعمل في حقل التعليم خارج المدرسة والتي تحل مهمة تعليم الجماهير وتثقيفها ، فانهـــا تواجه بسطوع خاص مهمة ان تمارس القيـــادة الحزبية ، وان تخضع لنفسهـــا وتشبع بروحها ، وتلهب بنار مبادرتها هذا الجهاز الهائل ، اي هذا الجيش من رجال الهيئة التعليمية الذي يضم نصف مليون رجل والذي هو الآن في خدمة العمال . ان رجال التعليم ، الهيئة التعليمية ، قد تربوا بروح الاوهـــام والعـــادات البرجوازية ، بـــروح العداء للبروليتاريـــا ، ولم تكن بينهم وبينها اي صلة على الاطلاق . اما الآن ، فيجب علينا ان نربي جيشا جديدا من رجال هيئة التعليم والتربية ينبغي له ان يكون وثيق الارتباط بالحزب وافكاره ، ينبغي له ان يكون مشبعا بروح الحزب ، ينبغي له ان يجتذب اليه الجماهير العمالية ويشبعهـــا بروح الشيوعيـــة ويحملها على الاهتمام بما يفعله الشيوعيون .

وبما انه يتعين قطع كل صلة بالقديم من العادات والملكات والافكار ، فان الادارة المركزية للتثقيف السياسي تجابهها في هذا المجال وتجابه العاملين فيها مهمة في منتهى الاهمية ينبغي اخذها بالحسبان قبل غيرها . فنحن ، بالفعل ، نواجه هنا المعضلة التالية : كيف نربط المعلمين ، واغلبهم من ذوي العقلية القديمة ، بالحزبيين ، بالشيوعيين ؟ ان هذه المعضلة لفي اقصى الصعوبة ، وفيها ينبغي التفكير والتامل كثيرا جدا .

لنر كيف نربط تنظيميا اناسا على مثل هذه الدرجة من الاختلاف . مبدئيا ، لا يمكن ان يساورنا الشك في انه يجب ان تكون الزعامة للحزب الشيوعي . وهكذا يكون الهدف من الثقافة السياسية ، من التعليم السياسي تربية شيوعيين اقحاح في مقدورهم ان يقهروا الكذب والاوهام ويساعدوا الجماهير الكادحة في التغلب على النظام القديم والقيام ببناء الدولة دون الرأسماليين ، دون المستثمرين ، دون الملاكين العقاريين . ولكن كيف يمكن تحقيق هذا ؟ ان هذا لا يمكن تحقيقه الا باكتساب مجمل المعارف التي ورثها المعلمون عن البرجوازية . ولولا هذا ، لاستحالت جميع المكتسبات التكنيكية للشيوعية ، ولكان كل حلم في هذا المجال حلما باطلا . وهنا بالذات ينهض السؤال التالي : ما العمل لربطهم ، اي لربط هؤلاء

العاملين الذين لم يعتادوا العمل على صلة بالسياسة ، وبالسياسة النافعة لنا على الاخص ، أي الضرورية من اجل الشيوعية . ان هذه ، كما سبق وقلت ، مهمة صعبة جدا . لقد بحثنا هذه المسألة في اللجنة المركزية ايضا ؛ وعند بحث هذه المسألة ، حاولنا ان نأخذ بالحسبان التوجيهات التي اوحت لنا التجربة بها ، وبرأينا ان مؤتمرا كهذا المؤتمر الحالي الذي اتكلم فيه الآن ، ان اجتماعا موسعا كاجتماعكم ، ستكون له في هذا الصدد اهمية كبيرة . فينبغي الآن على كل لجنة حزبية ان تنظر نظرة جديدة الى كل داعية كنا ننظر اليه سابقا نظرتنا الى انسان من حلقة معينة ، من منظمة معينة . فكل داعية يخص الحزب الذي يدير والذي يقود الدولة بأسرها ، ونضال روسيا السوفييتية على الصعيد العالمي ضد النظام البرجوازي . وكل داعية هو ممثل طبقة مناضلة وحزب يسيطـــر ويجب ان يسيطر على جهاز الدولة الضخم . الا ان عددا كبيرا جدا جدا من الشيوعيين ممن اجتازوا بصورة ممتازة رائعة مدرســـة العمل السري ، واكتسبوا الخبرة والمراس في معمعان النضال ، لا يريدون ولا يستطيعون ان يفهموا كل اهمية هذا الانعطاف ، هذا الانتقال ، عندما يصبح المحرض الداعية قائد محرضين ، قائد منظمة سياسية عملاقة . اما ان يطلق عليه في هذا المجال اسم مناسب ، ولربما حتى اسم حساس ، مثلا ،

اسم رئيس المدارس الشعبية ، — فهذا غير مهم كثيرا ، ولكنه من المهم ان يعــرف كيف يقود جمهــور المعلمين .

يجب القول ان مئات الآلاف من المعلمين انما يشكلون ذلك الجهاز الذي ينبغي له ان يدفع العمل ويوقظ الفكر ويكافح الاوهــام التي لا تزال منتشرة بين الجماهير . ان ميراث الثقافة الرأسمالية ، وتشبع جماهير المعلمين بنواقصها ، مع العلم ان هذه الجماهير لا يمكن ان تكون شيوعية في حــال وجــود هذه النواقص ، كل هذا لا يمكن له مع ذلك ان يحول دون أخذ هؤلاء المعلمين في صفوف شغيلــة العمل السياسي التثقيفي ، لأن هؤلاء المعلمين يملكون من المعارف ما لا نستطيع بدونه التوصّل الى غايتنا .

ينبغي ان نضع في خدمــة التثقيف الشيوعي مئات الآلاف من الناس اللازمين . وهذه مهمة حُلّت في الجبهة ، في صفوف جيشنا الاحمر ، الذي أخذ لنفسه عشرات الآلاف من ممثلي الجيش القديم . وقد اندمج هؤلاء مع الجيش الاحمر في سياق عملية طويلة ، عملية اعادة التربية ، الامر الذي أثبتوه في آخر المطاف بانتصاراتهم . ولذا ينبغي علينــا ان نقتدي بهذا المثال في عملنا التثقيفي والتعليمي . صحيح ان هذا العمل ليس باهرا بالقدر نفسه ، ولكنه ذو اهمية اكبر ايضا . فكل محرض وكل داعية ضروري لنا ،

وهو يؤدي واجبه عندما يعمل بروح حزبي صرف ، ولكن دون ان يقتصر على الحزب ، بل يتذكر ان مهمته هي قيادة مئات الآلاف من رجال الهيئة التعليمية واثارة اهتمامهم ، والتغلب على الاوهام البرجوازية القديمة ، واجتذابهم الى ما نقوم به ، وحملهم على ادراك كل ضخامة عملنا ؛ ولن نتمكن الا بالانتقال الى هذا العمل من اجتذاب هذا الجمهور الذي ضغطت عليه الرأسمالية وابعدته عنّا ، ومن دفعه في السبيل القويم .

هذه هي المهام التي يتعين ان يبتغيها كل محرض وكل داعية يعمل خارج نطاق المدرسة ، وهذه المهام يجب ألا تغيب عن باله . ان حل هذه المهام تعترضه طائفة من المصاعب العملية ، وعليكـــم ان تساعدوا الشيوعية وان تصبحوا لا ممثلي وقادة الحلقـــات الحزبية وحسب ، بل ايضا ممثلي وقادة كل سلطة الدولة التي تقبض الطبقة العاملة على زمامها .

ومهمتنا ان نقهر كل مقاومة الرأسماليين ، لا الحربية والسياسية منها وحسب ، بل ايضا الفكرية ، التي هي اشد اشكال مقاومتها عمقا وقوة . ومهمة رجال التعليم عندنا ان يقوموا باعادة صنع الجمهور هذه . فان ما نلحظه عنده من اهتمام ومن ميل الى العلم والى معرفة الشيوعية هو الضمانة باننا سنخرج ظافرين في هذا الميدان ايضا رغم ان هذا لن يحصل ،

اغلب الظن ، بنفس السرعة ، كما على الجبهة ، رغم ان هذا سترافقــه ، اغلب الظن ، مصاعب اكبر ، بل الهزائم احيانا ، ولكننا نحن الذين سنكون الظافرين في نهاية الامر .

واود ان اتوقف اخيرا عند نقطة اخرى : ان تعبير الادارة المركزية للتثقيف السياسي قد لا يكون مفهوما بصورة صحيحة . فبما انه يشير الى مفهوم «السياسي» ، فان السياسة هي الأهم فيه .

ولكن كيف ينبغي فهم السياسة ؟ اذا فهمنا السياسة بمعناها القديم ، فقد نقع في خطـأ كبير فادح . ان السياسة انما هي النضال بين الطبقات ، السياسة انما هي مواقف البروليتاريا المناضلة في سبيل التحرر ضد البرجوازية العالمية . ولكنه يبرز جانبان في قضيتنا : من جانب ، مهمة القضاء على ميراث النظام البرجوازي ، القضاء على المحاولات التي تقوم بها وتكررها البرجوازية باسرها من اجل خنق السلطة السوفييتية . وحتى الآن ، شغلت هذه المهمة انتباهنا اكثر من غيرها وحالت دون الانتقال الى مهمة اخرى ، هي مهمة البناء . اما السياسة حسب المفهوم البرجوازي عن العالم ، فكانت كانما مفصولة عن الاقتصاد . كانت البرجوازية تقول : اعملوا ، ايها الفلاحون ، لكي تتمكنوا من العيش ؛ اعملوا ، ايهـا العمال ، لكي تحصلوا في السوق على كل ما هو ضروري من اجل

العيش ، اما السياسة الاقتصادية فيتولى امورهـا اسيادكم . ولكن الحال ليس هكذا ؛ فالسياسة يجب ان تكون قضية الشعب ، قضية البروليتاريا . وهنا ينبغي لنا ان نشير الى اننا مشغولون في تسعة اعشار اوقات عملنا بالنضال ضد البرجوازية . ان الانتصارات على فرانجل ، التي قرأنا عنها امس والتي ستقرأون عنها اليوم ، وعلى الارجح غدا ، تبين ان مرحلة من النضال توشك ان تنتهي واننا ظفرنا بالسلام بيننا وبين جملة كاملة من البلدان الغربية ؛ والحال ، يحررنـا كل انتصار على الجبهة الحربية من اجل النضـال الداخلي ، من اجل سياسة بناء الدولة . وكل خطوة تقربنا من النصر على الحرس الابيض تنقل تدريجيا مركز الثقل في النضال الى السياسة الاقتصادية . ان الدعاية على الطراز القديم تقول مـا هي الشيوعية وتضرب الامثلة . ولكن هذه الدعاية القديمة لا تنفع اطلاقا ، لأنه ينبغي ان نبين عمليا كيف يجب بناء الاشتراكية . ينبغي بناء الدعاية كلها على تجربة البنـاء الاقتصـادي السياسيـة . وهذه هي اكبر مهامنا ؛ واذا ما حاول احد ان يفهـم هذا بمعنى الكلمة القديم ، فانـه سيكون متأخرا ولن يستطيع القيام بعمل الدعاية من اجل جمهور الفلاحين والعمال . ينبغي ان تكون سياستنا الرئيسية الآن بناء الدولة الاقتصادي لكي نجمع بودات اخرى من الحبوب ، لكي

نعطي بودات اخرى من الفحم ، لكي نجد خير طريقة للافادة من هذه البودات من الحبوب والفحم ، لكي لا يكون ثمة جياع . هذه هي سياستنا . وعلى هذا يجب بناء كل تحريضنا وكل دعايتنا . ينبغي ان يقل الكلام ، لأنكم لن ترضوا الشغيلة بالكلام . وما ان تتيح لنا الحزب فرصة تحرير مركز الثقل من النضال ضد البرجوازية ، من النضال ضد فرانجل وضد الحرس الابيض ، حتى ننصرف الى السياسة الاقتصادية . وهنا سيضطلع التحريض والدعاية بدور هائل يتعاظم باستمرار .

ينبغي ان يكون كل محرض قائد دولة ، قائدا لجميع الفلاحين والعمال في قضية البناء الاقتصادي . ينبغي ان يقول انه لكي يكون المرء شيوعيا يجب ان يعرف ، يجب ان يقرأ هذا الكراس بالذات ، هذا الكتاب بالذات . بهذه الطريقة بالضبط سنحسّن الاقتصاد ونزيده متانة ونجعله اكثر اتساما بالسمة الاجتماعية ، ونزيد الانتاج ونحسّن مسألة الحبوب ، ونوزع السلع المنتوجة توزيعا أصح ، ونزيد استخراج الفحم ونبعث الصناعة بدون الرأسمالية وبدون الروح الرأسمالية .

فيم تقوم الشيوعية ؟ ينبغي تنظيم الدعاية كلها من اجلها على نحو بحيث ينحصر الامر في قيادة بناء الدولة عمليا . ينبغي ان تصبح الشيوعية في منال

جماهير العمال ، ينبغي ان تصبح قضيتها الخاصة . وهذا العمل يسير سيئا وتصحبه آلاف الاخطاء . ونحن لا نخفي ذلك ، ولكنه ينبغي للعمال والفلاحين انفسهم ان يصنعوا جهازنا ويحسنوا عمله بمساعدتنا ، بمساهمتنا الصغيرة والضعيفة . ان هذا الجهاز لم يبق بالنسبة لنا برنامجا ونظرية ومهمة ، وهو بالنسبة لنا قضية البناء العملي الحالي . ولئن كنا كابدنا من اعدائنا اقسى الهزائم في حربنا ، فاننا قد تعلمنا بالمقابل من هذه الهزائم واحرزنا النصر التام . والآن ينبغي ان نقتبس العبر والمعارف من كل هزيمة ، ينبغي ان نتذكر بانه ينبغي تعليم العمال والفلاحين بمثال العمل المنفذ ، وان نشير الى النواقص والمساوئ الموجودة عندنا لكي نتجنبها فيما بعد .

وبمثال هذا البناء ، وبتكراره مرارا كثيرة ، سنتوصل ونصنع من الرؤساء الشيوعيين الارديـاء بناة حقيقيين وقبل كل شيء فى اقتصادنا . سنتوصل الى كل ما يلزم ، وسنتغلب على جميع العقبات التي بقيت لنا عن النظام القديم والتي يستحيل تذليلها دفعة واحدة ؛ ينبغي اعادة تربية الجماهير ؛ والحال ، لا تمكن اعادة تربيتها الا بالتحريض والدعاية ؛ ينبغي ربط الجماهير ببناء الحياة الاقتصادية العامة ، في المقام الاول . وهذا ما ينبغي ان يكون الامـر

الرئيسي والاساسي في عمل كل محرض وداعية ؛ ومتى ما استوعب هذا ، كان نجاح عمله مضمونا . (**تصفيق صاخب .**)

«نشرة اجتماع عامة روسيا لينين . المؤلفات ، الطبعة لهيئـات التثقيف السيـاسي الروسية الخامسة ، المجلد ٤١ ، ص ص ٣٩٨–٤٠٨ (١–٨ تشرين الثاني – نوفمبر ١٩٢٠)» ، موسكو –

لمناسبة الذكرى الرابعة لثورة اكتوبر

تقترب الذكرى الرابعـــة للخامس والعشرين من اكتوبر (٧ تشرين الثاني – نوفمبر) .

بقدر ما يبتعد عنا هذا اليوم العظيم ، بقدر ما يزداد دور الثورة البروليتارية في روسيا اتضاحـا وبقدر ما نتأمل بمزيد من التعمق ايضـا تجربة نشـاطنا العملية ، مأخوذة بمجملها .

ومن الممكن عرض هذا الدور وهذه التجربة بلمحات في غاية الايجاز – هي بالطبع ابعد من ان تكون كاملة ودقيقة – على النحو التالي .

ان مهمة الثورة في روسيا ، المباشرة والقريبة ، كانت مهمة ديموقراطية برجوازية قوامها القضاء على بقايا القرون الوسطى ، وازالتها الى الابد ، وتنظيف روسيا من هذه البربرية ، من هذا العار ، مما كان

يعيق الى مـــا لا حد له كل ثقافة وكل تقدم في بلادنا .

ومن حقنـــا ان نفتخر لكوننـــا قمنـــا بهذا التنظيف باكثر بكثير من الحــزم والسرعة والجرأة ، باكثر بكثير من النجــاح والشمول والعمق ، – من حيث التأثير في جماهير الشعب ، في اعماقـــه ، – مما فعلت الثورة الفرنسيـــة الكبرى منذ اكثر من ١٢٥ سنة .

لقد قـــال الفوضويـــون والديموقراطيـــون البرجوازيون الصغار (اي المناشفة والاشتراكيون-الثوريون ، بوصفهم الممثلين الروس لهذا النموذج الاجتماعي العالمي) ولا يزالون يرددون كثرة كثيرة من الآراء المشوشة بصدد العلاقة بين الثورة البرجوازية الديموقراطية والثورة الاشتراكية (**اي** البروليتارية) . وحول هذه النقطة ، تأكدت كليـــا ، خلال اربـــع سنوات ، صحة مفهومنا للماركسية ، صحة اعتبارنا لتجربة الثورات الماضية . ولقد سرنا ، كمـــا لا احد ، بالثورة البرجوازية الديموقراطية **الى النهاية** . وبكل ادراك ، وبخطى ثابتة ، ودون اي انحراف ، نسير **الى امام** ، نحو الثورة الاشتراكيـــة ، عارفين انها غير منفصلة عن الثورة البرجوازية الديموقراطية بسور صيني ، عارفين ان **النضـــال وحده** هو الذي سيقرر مقدار التقدم الذي سنتمكن من تحقيقه (في

نهاية الامر) ، مقدار القسم الذي سننفذه من مهمتنا اللامتناهية الكبر ، مقدار النصيب الذي سنوطده من إنتصاراتنا . من يعش ير . ولكننا نرى منذ اليوم ان عملا جليلا – بالنسبة لبلد خرب ، منهوك ، متأخر – قد أنجز فيما يتعلق بتحويل المجتمع على اسس اشتراكية .

ولكن لننه عرضنا حول مضمون ثورتنا البرجوازي الديموقراطي . يجب على الماركسيين ان يفهموا ما يعنيه هذا . وعلى سبيل التوضيح ، لنأخذ بضعة امثلة عملية .

مضمون الثورة البرجوازي الديموقراطي ، هذا يعني تنظيف العلاقات الاجتماعية (النظم ، المؤسسات) في البلد من خصائص القرون الوسطى ، من القنانة ، من الاقطاعية .

ما هي اهم الظاهرات ، البقايا ، الرواسب من القنانة في روسيا عشية ١٩١٧ ؟ الملكية ، انقسام المجتمع الى فئات مغلقة ، تملك الارض والتمتع بالارض ، وضع المرأة ، الدين ، اضطهاد القوميات . خذوا ايا من « اصطبلات اوجياس » هذه ، المتروكة –، ونقول هذا للمناسبة –، الى حد ملحوظ ، غير منظفة بصورة تامة من قبل جميع الدول المتقدمة حين قامت بثوراتها البرجوازية الديموقراطية ، منذ ١٢٥ سنة و٢٥٠ سنة واكثر (١٦٤٩ في انجلترا) ،–

خذوا ايا من اصطبلات اوجياس هذه ، تروا اننا نظفناها كليا . ففي نحو **عشرة اسابيع** ، لا اكثر ، منذ ٢٥ اكتوبر – تشرين الاول (٧ نوفمبر – تشرين الثاني) ١٩١٧ حتى حل الجمعية التأسيسية (٣٦) (٥ كانون الثاني – يناير ١٩١٨) ، فعلنا في هذا المضمار ما يزيد الف مرة عما فعل الديموقراطيون البرجوازيون والليبيراليون (الكاديت) والديموقراطيون البرجوازيون الصغار (المناشفة والاشتراكيون-الثوريون) **في ثمانية اشهر** من حكمهم .

ان هؤلاء الجبناء ، هؤلاء الثرثارين ، هؤلاء اشباه نرجيس الشغوفين بانفسهم ، هؤلاء اشباه هملت من قياس مصغر ، كانوا يلوحون بسيف من كرتون ، – ولم يقضوا حتى على الملكية ! لقد افرغنا الزبالة الملكية كما لم يفعل احد في اي وقت مضى . ولم نترك حجرا على حجر ، وقرميدة على قرميدة ، من هذه العمارة التي دامت قرونا وقرونا ، عمارة نظام الفئات المغلقة (ان اكثر البلدان تقدما ، كانجلترا وفرنسا والمانيا ، لم تتخلص بعد حتى الآن من بقايا هذا النظام !) . ان اعمق جذور هذا النظام ، اي بقايا الاقطاعية والقنانة في تملك الارض ، انما استأصلناها كليا . «يمكن الجدال» (ففي الخارج ما يكفي من الادباء ، والكاديت ، والمناشفة ، والاشتراكيين-الثوريين للدخول في هذا الجدال) حول

معرفة ما سينجم «في آخر المطاف» من التغييرات الزراعية التي تقوم بها ثورة اكتوبر الكبرى . اننا لا نرغب اليوم في تضييـــع الوقت على هذا الجدال ، لاننا بالنضال نحل هذا الجدال وكل طائفة الجدالات التي تتوقف عليه . ولكنه لا يمكن الجدال ضد واقع ان الديموقراطيين البرجوازيين الصغار «قد تفاهموا» ، طوال ثمانية اشهر ، مع الملاكين العقاريين حفظة تقاليد القنانة ، بينا كنسنا نحن كليا خلال بضعـــة اسابيع هؤلاء الملاكين العقاريين وجميع تقاليدهم على السواء من على وجه الارض الروسية .

خذوا الدين ، او انعدام الحقوق للمرأة ، او اضطهاد القوميات غير الروسية وعدم مساواتها في الحقوق . وكلها قضايا تتعلق بالثورة البرجوازيـــة الديموقراطية . ان المبتذلين من صفوف الديموقراطية البرجوازية الصغيرة قد ثرثروا حول هذه الموضوعة طوال ثمانية اشهر ؛ وليس ثمة **بلد واحد** ، بين ارقى البلدان في العالم ، حلّت فيه **هذه** المسائل **الى النهاية** بالروح **الديموقراطية البرجوازيـــة** . اما عندنا فقد حلها الى النهاية تشريع ثورة اكتوبر . لقد حاربنـــا الدين ونحاربه حقـــا ، ومنحنا **جميع** القوميات غير الروسية جمهوريات او مقاطعات مستقلـــة ذاتيـــا **خاصة بها** . ولم تبق روسيا تعرف هذه السفالـــة ، هذه الشناعة ، هذه الدناءة ، ونعني بها انعدام الحقوق

او عدم المساواة في الحقوق بالنسبة للمرأة ، هذه البقية المنفرة المتبقية عن القنانة والقرون الوسطى ، والمجددة في جميع بلدان الكرة الارضية ، دون اي استثناء ، من جانب البرجوازية الجشعة والبرجوازية الصغيرة البليدة والمذعورة .

وكل هذا مضمون الثورة البرجوازية الديموقراطية . منذ مائة وخمسين سنة ومائتين وخمسين سنة ، وعد زعماء هذه الثورة (هذه الثورات ، اذا تناول الكلام كل نوع وطني من طراز عام واحد) التقدميون الشعوب بتحرير الانسانية من امتيازات القرون الوسطى ، وعدم مساواة المرأة ، والافضليات الممنوحة من جانب الدولة لهذا الدين او ذاك (او «فكرة الدين» ، «النزعة الدينية» بوجه عام) ، وعدم المساواة بين القوميات . وعدوا ، ولم يفوا بهذا الوعد . ولم يكن في مقدورهم ان يفوا به ، لانه حال بينهم وبين الوفاء به «احترام» — «الملكية الخاصة الكلية القداسة» . ان ثورتنا البروليتارية لم تكن هذا «الاحترام» الملعون لهذه البقايا من القرون الوسطى ، الملعونة ثلاثاً ، ولهذه «الملكية الخاصة الكلية القداسة» .

ولكنه توطيدا لمكتسبات الثورة البرجوازية الديموقراطية في صالح شعوب روسيا ، كان يتعين علينا ان نمضي الى ابعد . وهذا ما فعلناه . فقد

حللنا قضايا الثورة البرجوازية الديموقراطية عرضا ، خلال السير ، بوصفها «نتاجا ثانويا» لعملنا الرئيسي والحقيقي ، لعملنا الثوري **البروليتاري** ، الاشتراكي . فالاصلاحات ، كما قلنا دائما ، نتاج ثانوي للنضال الطبقي الثوري . والاصلاحات البرجوازية الديموقراطية، كما قلنا واثبتنا بافعالنا – نتاج ثانوي للثورة البروليتارية ، اي الاشتراكية . ونقول بالمناسبة ان جميع اضراب كاوتسكي وهيلفردينغ ومارتوف وتشيرنوف وهيلكويت ولونغه وماكدونالد وتوراتي وسائر ابطال الماركسية «الثانية والنصف» (٣٧) لم يستطيعوا ادراك **هذه** العلاقة بين الثورة البرجوازية الديموقراطية والثورة البروليتارية الاشتراكية . ان الاولى تتحول الى الثانية . والثانية تحل ، عرضا ، قضايا الاولى . والثانية توطد عمل الاولى . والنضال ، النضال وحده ، هو الذي يقرر الى اي حد تنجح الثانية في تجاوز الاولى .

ان النظام السوفييتي هو ، على وجه الدقة ، من التأكيدات او الظاهرات الساطعة لهذا التحول ، تحول ثورة الى اخرى . فان النظام السوفييتي هو الحد الاقصى من الديموقراطية للعمال والفلاحين ؛ وهو يعني في الوقت نفسه القطيعة مع الديموقراطية **البرجوازية** وظهور **طراز جديد** من الديموقراطية في التاريخ العالمي ، عنيت به الديموقراطية البروليتارية او ديكتاتورية البروليتاريا .

فليصب علينـــا كلاب وخنازيـــر البرجوازيـــة المحتضرة والديموقراطية البرجوازيـــة الصغيرة التي تسير في ذيلها ، اكواما من اللعنات والشتائم والسخر بسبب من الاخفاقات التي نمنى بها والاخطاء التي نرتكبها في بناء **نظامنا** السوفييتي . فاننـــا لا ننسى لحظة انـــه وقعت ولا تزال تقع عندنـــا كثرة من الاخفاقات والاخطاء . وما الوسيلة لعدم وقـــوع الاخفاقات والاخطاء في عمل جديد في تاريخ العالم كما هو عليه انشاء **طراز** غير معروف سابقا لتنظيم الدولـــة ! اننـــا سنناضل بلا كلل من اجل اصلاح اخفاقاتنا واخطائنا ، من اجل تحسين تطبيقنا للمبادئ السوفييتية ، البعيد جدا جدا عن الكمال . ولكنه يحق لنا ان نفتخر ، ونحن نفتخر فعلا ، بانـــه كان من حظنا **البدء** ببنـــاء الدولة السوفييتية ، **البدء** هكذا بعهد جديد في التاريخ العالمي ، عهد سيطرة طبقة **جديدة** ، مضطهدة في جميع البلدان الرأسمالية وتسير في كل مكان نحو حياة جديدة ، نحو الانتصار على البرجوازية ، نحو ديكتاتورية البروليتاريـــا ، نحو تحرير الانسانية من نير الرأسمال ، من الحروب الامبريالية.

ان مسألة الحروب الامبريالية ، مسألة السياسة الدولية التي ينتهجها الرأسمال المالي والتي تهيمن اليوم في العالم كله ، وهي سياسة تولد **حتما** حروبا

امبريالية جديدة وتؤدي حتما الى اشتداد لا سابق له في الاضطهـــاد القومـــي والنهب واللصوصيـــة وخنق القوميات الصغيرة الضعيفة والمتأخرة من جانب حفنة من الدول «المتقدمة» ، — هذه المسألة غدت ، منذ ١٩١٤ ، حجر الزاوية في كامل السياسة في جميع بلدان الكرة الارضية . انها مسألة حياة او موت بالنسبة لعشرات الملايين من الكائنات البشرية . انها مسألة معرفة ما اذا كان سيباد ٢٠ مليونا من الناس (بدلا من العشرة ملايين من القتلى ابان حرب ١٩١٤— ١٩١٨ والحروب «الصغيرة» التي تستكملهـــا والتي لم تنته بعد حتى الآن) في الحرب الامبريالية المقبلة التي تحضرها البرجوازية امام انظارنا والتي نراهـــا تنبثق من الرأسمالية ؛ ما اذا كان سيظهر ٦٠ مليونا من المشوهين (بدلا من الثلاثين مليونا من المشوهين في ١٩١٤ — ١٩١٨) ابان الحرب القادمة المحتمة (اذا بقيت الرأسمالية) . وفي هذه المسألـــة ، دشنت ثورتنـــا ، ثورة اكتوبر ، عهدا جديدا في التاريخ العالمي . ان خدم البرجوازية واعوانهـــا — بشخص الاشتراكيين-الثوريين والمناشفـــة ، بشخص كـــل الديموقراطيـــة البرجوازية الصغيرة و«الاشتراكيـــة» المزعومة في العالم بأسره — قد تهكموا من شعـــار «تحويل الحرب الامبريالية الى حرب اهلية» . ولكنه تبين ان هذا الشعار هو **الحقيقة** الوحيدة — المزعجة ،

الفظة ، العارية ، القاسية ، فليكن ! ولكنها **حقيقة** في هذه الكثرة الكثيرة من انعم الاكاذيب الشوفينية والمسالمة . ان هذه الاكاذيب تتهار . وقد تم كشف القناع عن صلح بريست-ليتوفسك . وكل يوم يكشف القناع بصرامة متزايدة ابدا عن دور وعواقب صلح اسوأ من صلح بريست-ليتوفسك ، هو صلح فرساي . وامام الملايين والملايين من الناس الذين يفكرون في اسباب حرب الامس وحرب الغد الزاحفة ، تزداد هذه الحقيقة الرهيبة وضوحا ودقة والحاحا على الدوام ، وهي انه يستحيل التخلص من الحرب الامبريالية والعالم * الامبريالي (لو كانت الكتابة السابقة لا تزال قائمة عندنا ، لكنت استعملت كلمتي «مير» بمفهوميهما) الذي يولدها حتما ، – يستحيل التخلص من هذا الجحيم **بغير النضال البلشفي والثورة البلشفية .**

فليغضب المسالمون والبرجوازية ، والجنرالات والبرجوازيون الصغار ، والرأسماليون والتافهون الضيقو الافق ، وجميع المسيحيين المؤمنين وجميع فرسان الاممية الثانية (٣٨) والاممية الثانية والنصف وليشتموا هذه الثورة بجنون . فليس ثمة سيول من

---

* «مير» بالروسية وتعني «العالم» و«السلام» . كانت الكلمة تكتب ، وفق طريقة الكتابة القديمة ، بشكلين مختلفين ، حسبما تعني «السلام» او «العالم» . – **الناشر .**

الحقد والافتراءات والاكاذيب تستطيع ان تعكّر هذا الواقع ذا الاهمية التاريخية العالمية ، وهو ان العبيد ، لاول مرة منذ المئات والآلاف من السنين ، قد ردوا على الحرب بين مالكي العبيد ، باعلان الشعار التالي امام الملأ : لنحول هذه الحرب بين مالكي العبيد من اجل اقتسام غنيمتهم الى حرب يخوض غمارها عبيد جميع الامم ضد مالكي العبيد من جميع الامم .

ولاول مرة منذ المئات والآلاف من السنين ، تحول هذا الشعار من انتظار غامض وعاجز الى برنامج سياسي واضح ودقيق ، الى نضال فعال يشنه ملايين المظلومين تحت قيادة البروليتاريا ، تحول الى اول انتصار تحرزه البروليتاريا ، الى اول انتصار تحرزه قضية ازالة الحروب ، قضية اتحاد العمال من جميع البلدان على اتحاد البرجوازية من مختلف الامم ، هذه البرجوازية التي تسالم وتحارب على حساب عبيد الرأسمال ، على حساب العمال الاجراء ، على حساب الفلاحين ، على حساب الشغيلة .

ان هذا الانتصار الاول **ليس بعد انتصارا نهائيا** ، وثورتنا ، ثورة اكتوبر ، احرزته لقاء مصاعب وحرمانات لم يسمع بمثلها من قبل ، وآلام لا توصف ، واثر جملة من الاخفاقات والاخطاء الفادحة من جانبنا . فاين الوسيلة لشعب متأخر لكي يتغلب بمفرده ، بلا اخفاقات ولا اخطاء ، على الحروب

الامبريالية التي تشنها اقوى بلدان الكرة الارضية وارقاها ! نحن لا نخشى الاعتراف باخطائنا وسننظر اليها بصفاء ذهن لكي نتعلم اصلاحها . ولكن هناك امرا ثابتا : لاول مرة منذ المئات والآلاف من السنين ، **حقق الى النهاية** الوعد « بالرد » على الحرب بين مالكي العبيد بثورة العبيد **على** مالكي العبيد من كل شاكلة وطراز ـــ ولا يزال يحقق رغم جميع المصاعب .

ونحن بدأنا هذا العمل . اما بروليتاريو اي امة ، ومتى ، وفي اي مدة سينجزون هذا العمل ، فليس هذا المهم . فالمهم ان الجليد قد تفسخ ، والطريق قد فتح ، والسبيل قد رسم .

فواصلوا نفاقكم ، ايها السادة الرأسماليون من جميع البلدان انتم الذين « تدافعون عن الوطن » الياباني ضد الوطن الاميركي ، وعن الوطن الاميركي ضد الوطن الياباني ، وعن الوطن الفرنسي ضد الوطن البريطاني ، وهكذا دواليك ! واصلوا ، ايها السادة فرسان الاممية الثانية والاممية الثانية والنصف مع جميع البرجوازيين الصغار والتافهين الضيقي الافق المسالمين في العالم بأسره ، ـ واصلوا التهرب من مسألة وسائل النضال ضد الحروب الامبريالية ، باصدار « بيانات بال » الجديدة (على طراز بيان بال الصادر عام ١٩١٢) ! ان **الثورة البلشفية الاولى** قد انتزعت من الحرب الامبريالية ، من العالم الامبريالي ، **المئة مليون الاولى**

من **الناس** في الارض . وستنتـزع الثورات المقبلة الانسانية بأسرها من هذه الحروب ومن هذا العالم .

والمهمة الاخيرة ، وهي اهم المهام واصعبها واقلها انجازا ، انما هي مهمة البناء الاقتصادي ، ارساء الاسس الاقتصاديـة للصرح الجديد ، الاشتراكي ، مكان الصرح الاقطاعي المتهدم والصرح الرأسمالي نصف المتهدم . وهنا ، اثناء انجاز هذه المهمة التي هي اهم واصعب مهمة ، منينا باكثر الاخفاقات وارتكبنا اكثر الاخطاء . واين الوسيلة للشروع بمثل هذا العمل الجديد العالمي الاهمية ، دون اخفاقات ولا اخطاء ! والحال اننا شرعنا به . ونحن نقوم به . واليـوم على وجه الدقة ، نصلح جملة كاملة من اخطائنا ، « بسياستنا الاقتصادية الجديدة » (٣٩) ؛ ونتعلم كيف يجب مواصلة بناء الصرح الاشتراكي ، في بلد من صغار الفلاحين ، دون ارتكاب هذه الاخطاء .

والمصاعب هائلة . وقد تعودنـا ان نكافح المصاعب الهائلة . وليس عبثا يقول اعداؤنا عنا اننا « ثابتون كالصخر » ، وانهم لقبونـا بممثلي « سياسة تكسر العظام » . ولكننا تعلمنا ايضا ، — الى حد ما على الاقل ، — فنا آخر لا غنى عنه في الثورة : فن ان نكون مرنين ، ان نعرف كيف نغير تاكتيكنا بسرعة ، بفجاة ، آخذين الظروف الموضوعية المعدلة بعين الاعتبار ، مختارين سبيلا جديدا للوصول الى

هدفنا ، اذا تبين السبيل القديم ، في هذه الفترة من الزمن ، غير ملائم ، غير صالح .

لقد كنا نحسب ، نحن الذين ايقظنا الحماسة الشعبية ،- السياسية العامة اولا ثم العسكرية ،- كنا نحسب ، وقد حملتنا موجة الحماسة ، باننا سنتمكن من ان نحقق ، بفضل هذه الحماسة مباشرة ، مهمات اقتصادية جليلة (كما هي عليه المهمات السياسية العامة ، والمهمات العسكرية) . كنا نحسب ،- وقد يكون من الاصح القول : كنا نفترض ، دون حساب كاف ،- باننا سنتمكن بالاوامر الصريحة تصدرها الدولة البروليتارية ، من ان ننظم على الطريقة الشيوعية ، في بلد من صغار الفلاحين ، انتاج وتوزيع المنتجات من جانب الدولة . الا ان الحياة بينت خطأنا . وتبين انه لا بد من سلسلة من الدرجات الوسيطة : رأسمالية الدولة والاشتراكية ، بغية **تحضير** الانتقال الى الشيوعية وتحضيره بعمل يدوم سنوات طويلة . فليس بالاعتماد على الحماسة مباشرة ، بل بواسطة الحماسة التي تولدها الثورة الكبرى ، وبتحريك المصلحة الشخصية والفائدة الشخصية ، وبالاستناد الى الحساب الاقتصادي ، يجب عليكم ان تبنوا ، بادئ الامر ، جسورا متينة تقود ، في بلد من صغار الفلاحين ، الى الاشتراكية ، عبر رأسمالية الدولة . والا فانكم لن تقتربوا من الشيوعية ؛ والا

فانكم لن تقودوا عشرات وعشرات الملايين من الناس الى الشيوعية . هذا ما كشفته لنا الحياة . هذا ما كشفه سير الثورة الموضوعي .

ونحن الذين تعلمنا قليلا ، في هذه السنوات الثلاث او الاربع ، كيف نقوم بانعطافات فجائية (حين يقتضي الحال انعطافا فجائيا) ، شرعنا بحمية ، وانتباه ، ومواظبة (وان بما لا يكفي بعد من الحمية ومن الانتباه ومن المواظبة) لنتعلم الانعطاف الجديد ، «السياسة الاقتصادية الجديدة» . يجب ان تصبح الدولة البروليتارية «رب عمل» محترسا ، حاذقا ، **تاجرا بالجملة** مجتهدا - والا فانها لن تتمكن من ان توقف ، اقتصاديا ، هذا البلد من صغار الفلاحين على قدميه . فاليوم ، في الاحوال الراهنة ، والى جانب الغرب الرأسمالي (الذي لا يزال بعد رأسماليا) ، لا يمكن الانتقال الى الشيوعية على نحو آخر . تاجر بالجملة ، هذا يبدو نموذجا اقتصاديا بعيدا عن الشيوعية بعد الثرى عن الثريا . ولكنه على وجه الضبط تناقض من هذه التناقضات التي تقود ، في الواقع الحي ، من الاستثمارة الفلاحية الصغيرة الى الاشتراكية ، عبر رأسمالية الدولة . ان المصلحة الشخصية تؤدي الى انهاض الانتاج ؛ ونحن بحاجة الى زيادة الانتاج قبل كل شيء ومهما كان الثمن . والتجارة بالجملة توحد اقتصاديا

الملايين من صغار الفلاحين ، اذ تثير مصلحتهم ، وتشركهم ، وتقودهم الى الدرجة التالية : الى مختلف اشكال التشارك والاتحاد في الانتاج بالذات . وقد بدأنا منذ حين عملية لا غنى عنها ، وهي اعادة تنظيم سياستنا الاقتصادية . ومنذ الآن ، نسجل في هذا الميدان بعض النجاحات ، غير الكبيرة حقا ، الجزئية ، ولكنها مع ذلك اكيدة لا مراء فيها . ونحن في هذا الميدان من «العلم» الجديد ، ننهي صفنا الاعدادي . وبالدراسة بثبات ومثابرة ، بالتحقق ، بواسطة التجربة العملية ، من كل من خطواتنا ، ودون خشية من ان نعيد مرارا عديدة ما كنا بدأنا ، ومن ان نصلح اخطاءنا ، وبسعينا الى فهم معناها ، سننتقل الى الصفوف العليا . سنتابع «الدرس» بكامله ، رغم ان احوال الاقتصاد العالمي والسياسة العالمية قد جعلته اطول بكثير واشق بكثير مما نود . ومهما كان الثمن ، ومهما كانت آلام المرحلة الانتقالية ، والكوارث ، والجوع ، والخراب مضنية ، فاننا لن ندع عزيمتنا تخور ، وسنسير بعملنا حتى النصر النهائي .

١٤-١٠-١٩٢١

«البرافدا» ، العدد ٢٣٤ ، ١٨ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢١

لينين . المؤلفات ، الطبعة الروسية الخامسة ، المجلد ٤٤ ، ص ص ١٤٤-١٥٢

التوقيع : ن . لينين

السياسة الاقتصادية الجديدة ومهام هيئات التثقيف السياسي

مقتطف من تقرير القي في المؤتمر الثاني لهيئات التثقيف السياسي لعامة روسيا ١٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢١

المعجزة الكبرى

اي سياسة جديدة هنا ؟ نرجو الله ان يساعدنا في ان نصمد بالقديمة ، اذا ترتب علينا تصفية الامية باجراءات فوق العادة . هذا واضح . ولكن هناك ما هو اوضح : لقد اجترحنا المعجزات سواء أفي الميدان الحربي ام في غيره من الميادين . واكبر معجزة بين هذه المعجزات قد تكون ، حسبما اظن ، القضاء نهائيا على لجنة تصفية الاميـــة . وعدم ظهور مشاريع كهذه ، كمـــا سمعت هنـــا ، بصدد الفصل عن مفوضية الشعب للتعليم . فاذا كان الحال هكذا ، واذا امعنتم الفكر في هذا ، فلا بدّ ان توافقوا انه ينبغي انشاء لجنـــة فوق العـادة لتصفيـــة بعض المشاريع الغبية .

وفضلا عن ذلك ، لا تكفي تصفية الامية ، انما يجب ايضا بناء الاقتصاد السوفييتي ، وفي هذا المجال

لن نمضي بعيدا بمجرد القراءة والكتابة . ينبغي لنا رفع الثقافة الى مستوى عال جدا . يجب أن يتمتع الانسان فعلا بمعرفة القراءة والكتابة لكي يحوز ما يقرأ ، لكي يحوز الجرائد والكراريس الدعائية ، لكي تتوزع هذه بصورة صحيحة وتصل الى الشعب ، لكي لا تضيع في الطريق ، اذ انها ، في حال ضياعها ، لا يقرأها اكثر من نصف القراء ، ويستخدمونها لاغراض ما في الدواوين ؛ اما الى الشعب فلا يصل ، اغلب الظن ، حتى الربع . ولذا يجب ان نتعلم كيف نستفيد مما عندنا ، مهما كان ضئيلا .

ولهذا يجب ، بالارتباط مع السياسة الاقتصادية الجديدة ، ان نبرز بلا كلل الفكرة القائلة ان التثقيف السياسي يتطلب رفع مستوى الثقافة مهما كلف الامر . يجب التوصل الى ان تفضي معرفة القراءة والكتابة الى رفع مستوى الثقافة ، لكي تتوفر للفلاح امكانية استخدام هذه المعرفة ، معرفة القراءة والكتابة ، من اجل تحسين استثمارته ودولته .

«المؤتمر الثاني لهيئات التثقيف السياسي لعامة روسيا . نشرة المؤتمر» ، العدد ٢ ، ١٩ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢١ لينين . المؤلفات ، الطبعة الروسية الخامسة ، المجلد ٤٤ ، ص ص ١٧٠-١٧١

مخطط التقرير في المؤتمر الثاني لهيئات التثقيف السياسي لعامة روسيا

السياسة الاقتصادية الجديدة ومهام هيئات التثقيف السياسي

١ ــ لا مباشرة بالطريقة الشيوعية ، بل « باللف والدوران » .

٢ ــ الهزيمة والتراجع ــ من اجل هجوم جديد .

٣ ــ من ذا الذي سيسبق الآخر في الاستفادة ، الرأسماليون ام نحن ؟

٤ ــ «المصلحة الشخصية» ... الفلاحون ، العمال ، الاختصاصيون ،

كثرة من الحماقة في معاملتهم .

٥ ــ **التعلم** من المزارعين والرأسماليين .

علم جدي ، **قاس** .

٦ ــ **زيادة الانتاج** مهما كلف الامر .

انتم خارج المؤسسات ؟ بل من الاحسن انكم خارجها

٧ ــ **معرفة القراءة والكتابة** . تصفية الامية ، ولكن لا في العلياء ، وتصفية لجنة التصفية .

١٩ــ٧ــ١٩٢٠ .

قائمة مخزية بالمحافظات والاقضية المتاخـــرة من حيث تصفية الامية .

٨ ـ رفع مستوى الثقافة .

(بعد كل انقلاب سياسي كبير ، وقت طويل « للهضم » ، « للاستيعاب » ، لتعلم الاستفادة ، لانجاز البناء الاولي الفظ الخشن) .

٩ ـ رفع مستوى الشرعيـــة ... تعلّم النضـــال **ثقافيا** من اجل الشرعية ، دون النسيان لحظة حدود الشرعية في الثورة . الشر ليس في هذا **الآن** ، بل في **كثرة** من اللاشرعية .

١٠ ـ **الرشوة** خصوصا . من فعل شيئا لأجل مكافحة الرشوة .

١٠ ـ bis * . الدواوينية والمماطلة .

١١ ـ الدعايـــة الانتاجية ، ابراز نجاحـــات الاقتصاد ، **الممكنة المنال** على الفور بالنسبة للفلاح ، معرفة ابراز النجاح والدعاية له **وتتبعه** .

١٢ ـ **نجاحات بناء** الاقتصاد **العملية** ـ ـ ـ هنا الجوهر . التثبت من كل شيء بها .

---

* bis= مكرر ، مرة اخرى . ـ **الناشر** .

اربع وصايا :

١٣ . ΣΣ *

ثلاثة اعداء : الغطرسة الشيوعية — هذا هو العدو	(١) احك ببساطة ، لا تتباه بالشيوعيـــة ، لا تغط بالكلمات الكبيرة الاهمال والعطالـــة والميوعـــة ، والتاخر ؛
الامية	(٢) صف الامية ؛
الرشوة	(٣) حارب الرشوة ؛
ΣΣ ΣΣ	(٤) تثبت من كل عملك ، لكي لا تبقـــى الكلمـــات كلمات ، بنجاحات **عملية** في البناء الاقتصادي

كتب في تشرين الاول (اكتوبر) (قبل ١٧ منـــه) ، ١٩٢١ صدر للمرة الاولى عام ١٩٢٤ في مجلة «مولودايا غفارديا» (« الحرس الفتي ») ، العدد ٢—٣

لينين . المؤلفات ، الطبعة الروسية الخامسة ، المجلد ٤٤ ، ص ص ٤٦٤—٤٦٥

---

* Summa summarum= الحاصل العام . — **الناشر** .

رسالة الى
ن . اي . بوخارين

يا رفيق بوخارين ! ارسل لك «البرافدا» ، عدد اليوم . ولكن اي داع لطبع حماقـــات بصورة مقالة بليتنيف المتعالية المحشوة بجميع الكلمات العلمية والدارجة ؟ اشرت الى حماقتين ووضعت جملة من علامات الاستفهام . ينبغي على كاتب المقالة ، لا ان يتعلم العلم «البروليتاري» ، بل ان يتعلم وحسب . ترى ، ألا توضح هيئة تحريـــر «البرافدا» لكاتب المقالة اخطاءه ؟ ذلك ان هذا **تزييف** للمادية التاريخية بالضبط ! لعب بالمادية التاريخية !

لينينك

كتب في ٢٧ ايلول (سبتمبر) ١٩٢٢
صدر للمرة الاولى عام ١٩٥٠
في الطبعة الرابعة من مؤلفات
لينين ، المجلد ٣٥

لينين . المؤلفات ، الطبعة
الروسية الخامسة ، المجلد
٥٤ ، ص ٢٩١

اوراق من دفتر مذكرات

المؤلف الذي صدر في هذه الايـــام عن التعليم في روسيا وفقا لمعطيات احصاء ١٩٢٠ («التعليم في روسيا» ، موسكو ، ١٩٢٢ ، مكتب الاحصاءات

المركزي ، قسم احصاءات التعليم العام) ، يشكل حدثا على جانب كبير من الاهمية .

وفيما يلي انقل لوحة ماخوذة عن هذا المؤلف تبين حالة التعليم في روسيا في ١٨٩٧ و١٩٢٠ :

	عدد الرجال الذين يعرفون القراءة والكتابة (من كل ١٠٠٠ رجل)		عدد النساء اللواتي يعرفن القراءة والكتابة (من كل ١٠٠٠ امرأة)		عدد الاشخاص الذين يعرفون القراءة والكتابة (من كل ١٠٠٠ شخص)	
	١٨٩٧	١٩٢٠	١٨٩٧	١٩٢٠	١٨٩٧	١٩٢٠
١. روسيا الاوروبية	٣٢٦	٤٢٢	١٣٦	٢٥٥	٢٢٩	٣٣٠
٢.القفقاس الشمالي	٢٤١	٣٥٧	٥٦	٢١٥	١٥٠	٢٨١
٣.سيبيريا (الغربية)	١٧٠	٣٠٧	٤٦	١٣٤	١٠٨	٢١٨
بالمتوسط	٣١٨	٤٠٩	١٣١	٢٤٤	٢٢٣	٣١٩

بينما نثرثر بصدد الثقافة البروليتارية وعلاقاتها بالثقافة البرجوازية ، تقدم لنا الوقائع ارقاما تدل على ان الامور تسير بصورة سيئة جدا عندنا حتى فيما يخص الثقافة البرجوازية . والحقيقة ، كما كان ينبغي توقعها ، هي اننا لا نزال بعيدين جدا عن المعرفة الشاملة للقراءة والكتابة ، وان تقدمنا

بالذات بالنسبة للعهد القيصري (١٨٩٧) بطيء جدا . وهذا تحذير صارم ولوم لاولئك الذين كانـــوا ولا يزالون يحلقون في سماء «الثقافة البروليتاريـــة» . فـــان هذه الارقام تبين لنا اي عمل شاق وعاجل لا يزال يترتب علينـــا القيام به لكي نبلغ مستوى بلد متمدن عـــادي في اوروبـــا الغربيـــة . وكذلك تبين هذه الارقـــام اي قدر هائل من العمل يترتب علينـــا القيام به الآن لكي نبلغ فعلا ، على اساس مكتسباتنـــا البروليتارية ، مستوى من الثقافة رفيعا نوعا ما .

وينبغي لنا الا نقتصر على هذه الحقيقة التـــي لا جدال فيها ، ولكنها حقيقة نظريـــة جدا . انمـــا ينبغي لنا ان ننكب على المهمة من الناحية العملية ايضا لدن اعادة النظر المقبلة في ميزانيتنا لثلاثـــة اشهر . ان ما يجب تخفيضه بالدرجة الاولى ، ليس ، بالطبع ، نفقات مفوضية الشعب للتعليم العام ، بل نفقات الدوائر الاخـــرى ، قصد استخدام المبالـــغ المتوافرة على هذا النحو في تلبية حاجات مفوضية الشعب للتعليم العام . ويجب الا نقتر في زيادة حصة المعلمين من الخبز في سنة كهذه السنة ، اذ ان مؤونتنا من الحبوب حسنة نسبيا .

ان العمل الذي يجري حاليا في مضمار التعليم العام لا يمكن ، على العموم ، اعتباره ضيقا جدا .

فـــان جهـــودا كبيرة تبذل لتحريك سلك المعلمين القديم ، ولاشراكه في القيام بمهام جديدة ، واثارة اهتمامه في الطريقة الجديدة لطرح قضايا التربية ، واثارة اهتمامه في مسائل كمسألة الدين .

ولكننا نهمل الاساسي . فاننا لا نهتم ، او اننا نهتم بصورة ناقصة جدا ، بتوفير وضع رفيع للمعلم الشعبي لا يمكن بدونه ان تكون اي ثقافة ، لا بروليتارية ولا حتى برجوازية . فينبغي التحدث عن هذه اللاثقافة نصف الآسيوية التي لم نخرج منها حتى الآن ، والتي لن نستطيع الخروج منها دون جهود جدية ؛ هذا مع العلم انه تتوافر لنا امكانية الخلاص من هذه الحال ، طالما الجماهير الشعبية لا تهتم بالثقافة الحقيقية في اي بلد من العالم قدر ما تهتم بها عندنا ، طالما ان قضايا هذه الثقافة لا توضع في اي بلد بنفس القدر من العمق والانسجام الذي توضع به عندنا ؛ وان سلطة الدولة في اي بلد من بلدان العالم لا تمارسها الطبقة العاملة التي يدرك سوادهـــا تمـــام الادراك النواقص ، ولا اقول في ثقافتها ، بل في تعليمهـــا الابتدائي ؛ وان الطبقة العاملة ليست مستعدة لأن تبذل ولا تبذل فعلا في اي بلد آخر تضحيات بمثل هذه الجسامة ، التي تبذلها بها عندنـــا ، من اجل تحسين حالتها في هذا الميدان .

اننا لا نزال نفعل القليل القليل ، القليل الى ما لا حد له ، من اجل تعديل كل ميزانية الدولة بصورة تلبي بالدرجة الاولى حاجات التعليم الابتدائي العام . وحتى في نطاق مفوضية الشعب للتعليم العام ، يمكننا ان نجد في معظم الاحيان عددا مضخما بصورة فظيعة من الموظفين في مؤسسة كدار الدولة للطبع والنشر مثلا ، وهذا دون اي اهتمام بانه يجب على الدولة ان تعنى ، قبل كل شيء ، لا بالطبع والنشر ، بل بان يكون هناك قرّاء ، بان يزداد عدد الاشخاص الذين يعرفون القراءة ، لكي تأخذ حركة الطبع والنشر مدى سياسيا واسعا في روسيا المقبلة . ونحن ، حسب عادتنا القديمة (والسيئة) ، نخصص للمسائل التكنيكية كمسألة الطبع والنشر ، من الوقت والجهود اكثر بكثير مما نخصص لمسألة سياسية عامة ، هي مسألة تعليم الشعب القراءة والكتابة .

واذا اخذنا الادارة العامة للتعليم المهني ، فنحن على يقين بانه يمكننا ان نجد هناك ايضا كثرة كثيرة من الامور النافلة ، التي تضخمها مصلحة ادارية ضيقة ، والتي لا تستوحي ضرورات التعليم العام الواسع . وما يجري في الادارة العامة للتعليم المهني لأبعد من ان ينبعث كله من الرغبة المشروعة في النهاض تعليم شبيبتنا في المصانع والمعامل قبل كل شيء ، وتوجيه هذا التعليم توجيها عمليا . واذا

درسنا بانتباه قوام هذه الادارة ، لوجدنا في هذا المجال كثرة كثيرة من العناصر المتضخمة والصورية من وجهة النظر هذه ، يجب الغاؤهــا . ففي الدولة البروليتارية الفلاحية ، يمكن ويجب ، قصد تطوير التعليم العام ، توفير الكثير والكثير ، سواء بالغاء جميع اللعبات من الطراز نصف الاريستقراطي ، او بالغاء المؤسسات التي نستطيع وسنستطيع ويترتب علينا زمنا طويلا الاستغناء عنها ، نظرا لحالة التعليم العام التي كشفتها الاحصاءات .

ينبغي لنا ان نؤمن للمعلم الشعبي عندنا مكانة رفيعة لم يملكها قط ولا يملكها ولا يمكن له ان يملكها في المجتمع البرجوازي. وهذه حقيقة لا تحتاج الى برهان. وينبغي لنا ان نسير نحو هذا الوضع ، عاملين بانتظام ومثابرة ودأب على رفع مستوى المعلم فكريا ، على اعداده في جميع الميادين لرسالته السامية حقا ؛ ولكن الرئيسي ، الرئيسي ابدا ودائما ، انمــا هو تحسين وضعه المادي .

يجب تعزيــز العمل التنظيمــي بين المعلمين الشعبيين بدأب وانتظام ، لكي نحولهم من سند للنظام البرجوازي ، كما هم عليه حتى الآن في جميع البلدان الرأسمالية دون استثناء ، الى سند للنظام السوفييتي ، لكي نستطيع بواسطتهم انتزاع الفلاحين من التحالف مع البرجوازية واجتذابهم الى التحالف مع البروليتاريا .

وتجدر الاشارة بايجاز الى ان الزيارات الدائبة المنتظمة الى الريف يجب ان تضطلع بدور خاص في هذا الصدد ، مع العلم ان هذه الزيارات تجري عندنا منذ حين ، وانه ينبغي لها ان تتطور بانتظام . وللتدابير من نوع هذه الزيارات ، يجدر تخصيص اعتمادات غالبا جدا ما نبددها بلا فائدة على جهاز دولة يعود بكليته تقريبا الى مرحلة تاريخية قديمة .

لقد كنت اجمع المواد للخطـــاب الذي لم استطع ان القيـــه في مؤتمر السوفييتـــات ، في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٢ ، والذي كان يعالج رعاية عمال المدن لسكان الارياف . وبعض هذه المواد قدمها لي الرفيق خودوروفسكي . واني اعرض اليوم هذه المسألة على الرفاق ليدرسوها ، طالما قد استحـــال عليّ بحثها بنفسي واذاعتها بواسطة مؤتمر السوفييتات .

والمسألة السياسية الاساسيـــة هنا انمـــا هي مسألة موقف المدينـــة من الريف ، هذه المسألة التي تتسم باهمية حاسمة بالنسبة لكامل ثورتنا . فبينـــا الدولة البرجوازية تبذل جهدها بدأب وانتظام لتخبيل عمال المدينة ، مكيّفة لهذا الغرض جميع المنشورات المطبوعة على نفقـــة الدولـــة ، على نفقـــة الاحزاب القيصريـــة والبرجوازيـــة ، نستطيع ويجب علينا ان نستخدم سلطتنا لكي نجعل فعلا من عامل المدينـــة ناشرا للافكار الشيوعيـــة في صفوف البروليتاريـــا الريفية .

قلت «الشيوعية» ، ولكني ابادر الى ابداء بعض التحفظات ، خوفا من اثارة سوء فهم او من ان يفهمني القارئ فهما حرفيا بالغا . ان ما قلته انما يجب ألا يفهم في اي حال من الاحوال بمعنى انه يترتب علينا ان نحمل فورا الى الريف افكارا شيوعية صرف ضيقة المفهوم . فيمكن البت بان ذلك سيعني القيام بعمل ضار ، بعمل مشؤوم على الشيوعية ، طالما لا نملك في الارياف قاعدة مادية من اجل الشيوعية .

كلا . يجب البدء باقامة صلة بين المدينة والريف ، دون ان نستهدف مسبقا غرس الشيوعية في الارياف . فان هذا الهدف لا يمكن بلوغه اليوم . وليس الوقت وقته . ان ابتغاء هذا الهدف لن يفيد قضيتنا بل يسيء اليها .

اما ان نقيم صلة بين عمال المدينة وشغيلة الريف ، ان نقيم بينهم شكل الرفقة الذي يمكن بسهولة ايجاده ، فهذا هو واجبنا ، وهذه هي مهمة من المهام الاساسية التي تواجه الطبقة العاملة القابضة على زمام السلطة . ولهذا الغرض ، من الضروري تأسيس جملة من الاتحادات (الحزبية والنقابية والخاصة) تتألف من عمال المصانع والمعامل ، ويكون هدفها المساعدة بانتظام على تطوير الارياف في المضمار الثقافي .

فهل نتمكن من «ربط» جميع خلايا المدينة بجميع خلايا الريف ، لكي تترصد كل خلية عمالية

«مربوطة» بخلية ريفية ، تترصد على الدوام جميع الفرص من اجل تلبية هذه الحاجة الثقافيــة او تلك من حاجات الخلية المربوطة بهــا ؟ ام اننا سنتمكن من ايجاد اشكال اخرى للصلة ؟ اني اقتصر هنــا على طرح المسألة لكي الفت اليها انتبـــاه الرفاق ، لكي اشير الى تجربة سيبيريــا الغربيــة (ان الرفيــق خودوروفسكي هو الذي افادني عنهــا) ، لكي اطرح هذه القضية الثقافية الهائلة ذات الاهمية التاريخيــة العالمية ، بكل مداها .

اننا نكاد لا نفعل شيئا من اجل الارياف خارج ميزانيتنا الرسمية او خارج علاقاتنا الرسمية . يقينا ان العلاقات الثقافية بين المدينة والارياف ترتدي بحد نفسها وترتدي حتما طابعا آخر تماما . فالتأثير الذي كانت تمارسه المدينة في ظل النظام الرأسمالي على الريف كان يفسد الريف سياسيــا واقتصاديــا واخلاقيا وجسديا ، الخ .. اما عندنــا فان المدينة تبدأ تلقائيــا في ممارسة تأثير معاكس اطلاقا على الريف . ولكن هذا كله يجري بالضبط تلقائيــا ، عفويا ؛ ومن الممكن تعزيز كل ذلك (ثم مضاعفته مئة ضعف) اذا جعلنا هذا العمل واعيا ، دائبــا ، منتظما .

اننا لن نشرع في التقدم الا عندما ندرس هذه المسألة ، عندما نؤسس اتحادات عمالية من كل

شاكلة ونوع ، – مع وقايتهـا بجميع الوسائل من تفشي الروح البيروقراطية فيهـا ، – لكي نطرح هذه القضية ونبحثها ونحلها عمليا . (وحينذاك سنتقدم بكل تأكيد بسرعة تزيد مئة مرة) .

٢ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٣

«البرافدا» ، العدد ٢ ، ٤
كانون الثاني (يناير) ١٩٢٣
التوقيع : **ن . لينين**

لينين . المؤلفات ، الطبعة
الروسية الخامسة ، المجلد
٤٥ ، ص ص ٣٦٣–٣٦٨

حول التعاون

(مقتطف)

٢

كلما تحدثت عن السياسة الاقتصادية الجديدة ، استشهدت بمقالي الذي كتبتـه عـام ١٩١٨ عن رأسمالية الدولة (٤٠) . وقد اثار ذلك اكثر من مرة الشكوك عند بعض الرفاق الشبان . ولكن شكوكهم كانت تدور بوجه خاص حول مسائل سياسية مجرّدة .

كانوا يفكرون بانه لا يجوز اطلاق اسم رأسمالية الدولة على نظام تكون فيه وسائل الانتاج ملكا للطبقة العاملة وتتسلم فيه هذه الطبقة العاملة زمام الحكم .

ولكنهم لم يلاحظوا اني استعملت تعبير «رأسمالية الدولة» : **اولا** لأوضح الصلة التاريخية بين موقفنا الحالي وبين الموقف الذي وقفته في جدالي مع الذين يطلق عليهم اسم الشيوعيين اليساريين (٤١) ؛ ففي ذلك الحين ، بيّنت ايضا ان رأسمالية الدولة تفوق النظام الاقتصادي القائم في بلادنا ؛ وكان المهم بنظري ان ابسط الصلة المنطقية القائمة بين رأسمالية الدولة العادية ورأسمالية الدولة غير العادية ، بل غير العادية اطلاقا ، التي تحدثت عنها عندما عرضت للقارىء السياسة الاقتصادية الجديدة . **ثانيا** ، ان ما شغل بالي على الدوام ، انما هو الهدف العملي . والحال ، كان الهدف العملي من سياستنا الاقتصادية الجديدة ان تكون في بلادنا امتيازات : وهذه الامتيازات كان من البديهي انها ستكون في ظروفنا شكلا صرفا من رأسمالية الدولة . هكذا فهمت الآراء بصدد رأسمالية الدولة .

بيد ان هناك مظهر آخر للقضية قد نكون فيه بحاجة الى اللجوء الى رأسمالية الدولة ، أو على الأقل ، الى مقارنة مع رأسمالية الدولة . واقصد بذلك مسألة التعاون .

من المؤكد ان التعاونيات في ظروف دولة رأسمالية هي مؤسسات رأسمالية جماعية . ومن المؤكد كذلك اننا ، اذ نجمع ، في واقعنا الاقتصادي

الراهن ، بين المشروعات الرأسمالية الخاصة (ولكن فقط على الارض التي تخص المجتمع ، لا بشكل آخر ، وفقط تحت رقابة سلطة الدولة التي تعود للطبقة العاملة ، لا بشكل آخر) وبين المشروعات ذات الطراز الاشتراكي المنسجم (ان وسائل الانتاج تخص الدولة ، وكذلك الارض التي تقوم عليها المشروعة والمشروعة بمجملها) ، لا بد من ان توضع هنا مسألة طراز ثالث من مشروعات كانت ، من حيث الاهمية المبدئية ، لا تتمتع فيما مضى بالاستقلال واعني بها المشروعات التعاونيـــة . في ظل الرأسماليـــة الخاصـــة ، تتميز المشروعات التعاونية عن المشروعات الرأسمالية كما تتميز المشروعات الجماعية عن المشروعات الخاصة . وفي ظل رأسمالية الدولة ، تتميز المشروعات التعاونية عن المشروعات الرأسمالية التابعة للدولة ، اولا ، من حيث انها مشروعات خاصة ، وثانيا ، من حيث انها مشروعات جماعية . وفي ظل نظامنا الحالى ، تتميز المشروعـــات التعاونية عن المشروعـــات الرأسمالية الخاصة ، من حيث انها مشروعات جماعية ، ولكنها لا تتميز عن المشروعات الاشتراكية اذا كانت وسائل الانتاج ، والارض التي بنيت عليها هذه المشروعات ، تخص الدولة ، اي الطبقة العاملة .

تلك نقطة لا نحسب لها الحساب الكافي عندما نعالج امر التعاون . واننا ننسى ان التعاون يرتدي

عندنا اهمية استثنائية جدا بفضل الطابع الخاص الذي يتصف به نظامنا السياسي . فاذا طرحنا جانبا الامتيازات التي نقول عنها للمناسبة انها لم تبلغ حدا كبيرا من التطور في بلادنا ، فان التعاون في اوضاعنا الراهنة ، ينطبق في غالب الاحيان على الاشتراكية تمام الانطباق .

واني لأشرح ما قلت . اين وجه الخيال في برامج قدماء التعاونيين ، ابتداء من روبرت اوين ؟ ذلك ان هؤلاء القوم كانوا يحلمون بتحويل المجتمع المعاصر بصورة سلمية وبواسطة الاشتراكية ، دون ان يحسبوا حسابا لهذه المسألة الاساسية التي هي مسألة النضال الطبقي واستيلاء الطبقة العاملة على السلطة السياسية ودكّ سيطرة طبقة المستثمرين . ولهذا نكون على حق حين نقول ان هذه الاشتراكية «التعاونية» لا تنطوي الا على كل طوبوي وعلى شيء رومانطيقي ، بل مبتذل ، اذ انها تحلم بتحويل الاعداء الطبقيين الى معاونين طبقيين ، والنضال الطبقي الى سلام طبقي (الى ما يسمى السلام الاهلي) بمجرّد اشاعة التعاونيات بين السكان .

من المؤكد اننا على صواب ، من وجهة نظر المهمة الاساسية الموضوعة امام عصرنا ، لأنه يستحيل تحقيق الاشتراكية دون نضال طبقي من اجل السلطة السياسية في الدولة .

ولكن انظروا كيف تغيّرت الاحوال الآن حين غدت سلطة الدولة بيد الطبقة العاملة ، وحين تم اسقاط سلطة المستثمرين السياسية ، وحين اصبحت جميع وسائل الانتاج بيد الطبقة العاملة (باستثناء وسائل الانتاج التي تعطيها دولة العمال بملء رضاها الى المستثمرين ، وذلك عن طريق الامتيازات ، ولفترة معينة من الزمن ، وببعض الشروط) .

فاليوم يحق لنا ان نقول ان مجرّد تطور التعاون يعني في نظرنا تطور الاشتراكية بالذات (مع أخذ الاستثناء «الصغير» المشار اليه اعلاه بعين الاعتبار) . ومع ذلك يترتب علينا ان نقرّ ان كل وجهة نظرنا حول الاشتراكية قد تغيرت تغيرا جذريا . اما قوام هذا التغير الجذري فهو التالي : فيما مضى كنا نوجّه وكان ينبغي علينا ان نوجه محور النشاط نحو النضال السياسي ، والثورة ، والاستيلاء على السلطة ، الخ .. اما اليوم ، فان محور النشاط ينتقل الى مكان آخر : الى العمل «الثقافي» التنظيمي السلمي . وقد أقول ان محور النشاط ينتقل بنظرنا نحو النشاط التثقيفي ، لولا العلاقات الدولية ، لولا الواجب الذي يقضي علينا بالنضال من اجل موقعنا على النطاق الدولي . ولكن اذا طرحنا جانبا الوضع الدولي واكتفينا بعلاقاتنا الاقتصادية الداخلية ، فان محور عملنا ينحصر اليوم في النشاط التثقيفي .

ثمة مهمتان اساسيتـــان تقعان على عاتقنـــا وتشكلان مرحلة من المراحل . المهمة الاولى هي اعادة بناء جهازنـــا الاداري الذي لا يصلح لشيء والذي ورثناه بكليته عن العهد السابق ؛ ففي مدى خمس سنوات من النضال ، لم يتوافر لنا الوقت لاجراء اي تعديل جدّي في هذا الميدان ولم يكن بوسعنـــا القيام بذلك . اما المهمة الثانية ، فهي القيام بعمل ثقـــافي بين جماهير الفلاحين . والحـــال ، ان الهدف الاقتصادي من هذا العمل الثقافي بين الفلاحين ، انما هو التعاون بالضبط . فاذا استطعنا تنظيم جميـــع السكان في التعاونيات ، رسخت اقدامنا في الميدان الاشتراكي . ولكن هذا الشرط ، – اي تنظيم جميع السكان في التعاونيات – يفترض درجة من الثقافة لدى الفلاحين (واقول الفلاحين ، لأنهم يشكلون جمهورا غفيرا جدا) يستحيل معهـــا تعميم هذا التنظيم في التعاونيات دون ثورة ثقافية كاملة .

لقد قال لنا اخصامنا مرارا عديدة اننا نقوم بعمل أخرق ، لأننا نريد غرس الاشتراكية في بلد غير مثقف ثقافة كافية . ولكنهم كانوا على ضلال حين اتهمونا باننا لم نبدأ من حيث كان يقتضي البدء حسب النظرية (نظرية المتحذلقين من كل شاكلة وطراز) ، وبان الانقلاب السياسي والاجتماعي في بلادنا قد سبق هذا الانقلاب الثقافي ، هذه الثـــورة الثقافيـــة التي نواجهها مع ذلك الآن .

يكفي لنا اليوم ان نقوم بهذه الثورة الثقافية لكي تغدو بلادنا اشتراكية تماما . ولكن هذه الثورة الثقافيـــة تنطوي ، بالنسبة لنـــا ، على مصاعب لا تصدّق ، مصاعب ثقافية صرف (فنحن اميون) ، ومصاعب مادية ايضا (فلكي نصبح اناسا مثقفين ، ينبغي ان تكون وسائل الانتاج المادية قد بلغت درجة معينة من التطور ، ينبغي امتلاك قاعدة مادية معينة) .

٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٣

صدر لاول مرة في «البرافدا» في العددين ١١٥ ، ١١٦ ، بتاريخ ٢٦ و٢٧ ايار (مايو) ١٩٢٣	لينين . المؤلفات ، الطبعة الروسية الخامسة ، المجلد ٤٥ ، ص ص ٣٧٣–٣٧٧

التوقيع : ن . لينين

حول ثورتنا

(بصدد مذكرات ن . سوخانوف)

١

تصفحت في هذه الايام مذكرات سوخانوف عن الثورة . ان ما يبرز بخاصة ، انما هو حذلقة جميع ديموقراطيينا البرجوازيين الصغار ، مثلهم مثل جميع فرسان الأممية الثانية . ان ما يبرز بخاصة ، انما

هو تقليدهم الذليل للماضي ، هذا فضلا عن انهم جبناء الى حد لا يصدق ، حتى ان خيرتهم يناورون ويتهربون ما ان يكون المقصود أقل ابتعاد عن النموذج الألماني ، هذا فضلا عن ان هذه الصفة من طباع جميع الديموقراطيين البرجوازيين الصغار ، التي ابدوها كفاية طوال الثورة .

جميعهم يقولون عن أنفسهم انهم ماركسيون ولكنهم يفهمون الماركسية بأكثر ما يمكن من الحذلقة . انهم لم يفهموا قط ما في الماركسية من أساسي ، أي ديالكتيكها الثوري . انهم لم يفهموا اطلاقا حتى اشارات ماركس الصريحة ، حيث قال أنه ينبغي الحد الأقصى من المرونة في أيّام الثورة (٤٢) ، بل انهم لم يلاحظوا ، مثلا ، اشارات ماركس في مراسلته التي تعود ، كما أذكر ، الى عام ١٨٥٦ ، حيث أعرب عن الأمل بأن يتحقق في ألمانيا اتحاد حرب الفلاحين ، القادرة على خلق وضع ثوري ، مع الحركة العمالية (٤٣) . حتى هذه الاشارة الصريحة ، يتهربون منها ويطمسونها ، ويدورون حولها كما يفعل القط حول مرق ساخن .

انهم ، بكل سلوكهم ، يبدون اصلاحيين رعاديد يخافون الابتعاد عن البرجوازية ، وبالأحرى ، قطع كل صلة بها ؛ وهم ، في الوقت نفسه ، يغطون جبانتهم وراء غلو في التبجح وفي استعمال الجمل الطنانة .

ولكن ما يبرز لديهم جميعهم حتى من الناحية النظرية الصرف ، انما هو عجزهم الكلّي ، عن فهم الفكرتين التاليتين من أفكار الماركسية : ذلك انهـــم رأوا ان تطور الرأسمالية والديموقراطية البرجوازية قد اتبع ، حتى الآن ، طريقا معينا في اوروبا الغربية . وها هم لا يستطيعون ان يتصوّروا انه يمكن اعتبـــار هذا الطريق نموذجا *mutatis mutandis ، شرط اجراء بعض التغييرات (الزهيدة تماما من وجهة نظر حركة التاريخ العالمي العامة) .

اولا ، الثورة المرتبطة بالحــــرب الامبريالية العالمية الأولى . في مثل هذه الثورة ، كان لا بدّ ان تبرز ميزات جديدة او ميزات معدّلـــة بسبب هذه الحرب على وجه الضبط ، لأنه لم تقع قط في العالم ، فيما مضى ، حرب كهذه وفي ظروف كهذه . واننا نرى حتى اليوم ان برجوازية أغنى البلدان لا تستطيع ، بعد هذه الحــرب ، ان تنظم علاقــات برجوازية «عادية» ، «طبيعية» . والحال ، ان اصلاحيينا ، هؤلاء البرجوازيين الصغار الذين يظهرون انفسهم بمظهر ثوريين ، كانوا ومـــا يزالون يعتبرون ان العلاقــات البرجوازية الطبيعية تشكل حدا (لا يمكن تجاوزه)

---

* — شرط تغيير ما يجب تغييره . — **الناشر** .

وهم يتصوّرون هذه «الطبيعة» بأقصى ما يكون من الابتذال وضيق الأفق .

ثانيا ، سنّة التطور العامة في التاريخ العالمي كله ، لا تستبعد ، بل بالعكس ، تفترض مراحل أصيلة من التطور ، اما من حيث شكل التطور ، واما من حيث تسلسل مراحله — ، وهذه الفكرة غريبة عنهم اطلاقا . حتى انه لا يخطر ببالهم ، ان روسيا الواقعة بين بلدان متمدّنة وبين بلدان حملتها هذه الحرب ، للمرة الاولى بصورة نهائية الى المدنية ، اي بلدان الشرق كله ، البلدان غير الاوروبية ، — ان روسيا كانت تستطيع بالتالي وكان يجب عليها ان تقدم بعض الميزات الخاصة التي تقع ، بالطبع ، في الخط العام للتطور العالمي ، ولكنها تميّز ثورتها عن جميع الثورات السابقة في بلدان أوروبا الغربية وتحمل بعض التجديدات الجزئية ما ان يتعلق الأمر بالبلدان الشرقية .

وهكذا نراهم يستشهدون بذريعة في أقصى الابتذال حفظوها غيبا خلال تطور الاشتراكية ـ الديموقراطية في اوروبا الغربية ، وقوامها القول اننا لم ننضج للاشتراكية ؛ واننا لا نملك المقدمات الاقتصادية الموضوعية للاشتراكية ، حسب تعبير بعض السادة من «علمائ»هم . ولا يخطر على بال أحد ان يتساءل : اذا ما جابه شعب وضعا ثوريا كالوضع

الذي تبدّى لدن الحــرب الامبريالية الاولى ، أليس بوسع هذا الشعب ان يندفع ، تحت طائلة حالة لا مخرج منها ، الى خوض نضال يوفر له ولــو بعض الأمل بالظفر بشروط غير مألوفة تمامـــا من أجل تطوير مدنيته ؟

«ان روسيا لم تبلغ ، من حيث تطور القــوى المنتجة ، الدرجة الضرورية التي تجعل الاشتراكية أمرا ممكنا» . ان هذه الموضوعة ، انما يبرزهـــا ويتباهى بها جميع فرسان الأممية الثانيـــة ، بمن فيهم سوخانوف ، طبعا . هذه الموضوعة التي لا جدال حولها ، انما يلوكونها ويكررونها بمختلف الأشكال ويبدو لهم انها حاسمة لتقدير ثورتنا .

ولكن ، ماذا اذا كان تراكم اصيل من الظروف قد قاد روسيا في بادىء الأمر الى الحرب الامبرياليـــة العالمية التي اشتركت بها جميع بلدان اوروبا الغربية ، التي تتمتع ولو ببعض النفوذ ؟ واذا كان ذلك قد قاد تطور روسيا الى حافة الثورات الناشئة والثورات التي بدأت جزئيا في الشرق ، الى ظروف تتيح لنا ان نحقق بالضبط هذا الاتحاد بين «حرب الفلاحين» والحركة العماليـــة ، الذي كان يعتبره «ماركسي» كماركس ، في ١٨٥٦ ، احتمالا من الاحتمالات الممكنة بالنسبة لبروسيا ؟

وماذا اذا كان الوضع الذي لا مخرج منه اطلاقا ، قد ضاعف قوى العمال والفلاحين عشر مرات ، فأتاح

لنـــا امكانية الشروع بتوفير المقدمـــات الأساسيـــة للمدنية ، على نحو غير النحو الذي نحته جميع الدول الاخرى في أوروبا الغربية ؟ فهل تعدّل من جراء ذلك الخط العام لتطور التاريخ العالمي ؟ هل تغيّرت النسب الأساسية بين الطبقات الاساسية في كل دولة تنجر او انجرت في حركة التاريخ العالمي العامة ؟

اذا كان ينبغي ، في سبيل انشاء الاشتراكية ، بلوغ مستوى معيّن من الثقافة (مع العلم انه ما من أحد يستطيع ان يقول بدقة ما هو هذا «المستوى» المعين «من الثقافة» ، لانه يختلف في كل من دول اوروبا الغربية) ، فلماذا لا يمكن لنا ان نبدأ أولا بالظفر ، عن طريق الثورة ، بالشروط المسبّقة لهذا المستوى المعيّن ، لكي نتحـــرك **فيما بعد** للحـــاق بالشعوب الاخرى ، مستندين الى حكم العمال والفلاحين والى النظام السوفييتي ؟

١٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٣

٢

تقولون : لأجل بناء الاشتراكية ، ينبغي ان نكون متمدنين . جيّد جدا . ولكن ، لم لا نستطيع أن نبدأ بتوفير هذه الشروط المسبّقة للمدنية عندنـــا كطرد الملاكين العقاريين وطرد الرأسماليين الروس ، لكي

نبدأ سيرنا بعد ذلك نحو الاشتراكية ؟ في أية كتب قرأتم ان مثل هذه التغييرات في التسلسل التاريخي العادي هي أمر غير مقبول او غير ممكن ؟

اذكر ان نابوليون قـال : « On s'engage et puis...on voit » ، وهذا يعني بالترجمة الحرة : « اولا يدخل المرء معركة جديدة ثم ... يرى » . وهذا ما فعلناه : أولاً ، دخلنا معركة جدّية في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ ، ثم بيّن لنا مجرى الأحداث تفاصيل (ليست بلا ريب ، من وجهة نظر التاريخ العالمي ، سوى تفاصيل) كصلح بريست ، او « النيب » (السياسة الاقتصادية الجديدة) ، الخ .. ولا سبيل الى الشك ، في الوقت الحاضر ، أننا ، من حيث الأساس ، قد أحرزنا النصر .

غير ان سوخانوف وأضرابه في بلادنا ، وبالاحرى الاشتراكيين-الديموقراطيين الواقفين أبعد منهم الى اليمين ، حتى لا يحزرون انه لا يمكن للثورات ، بوجه عام ، ان تتم على نحو آخر . بل ان برجوازيينا الصغار الاوروبيين حتى لا يحزرون ان الثورات اللاحقة - في بلدان الشرق حيث عدد السكان أكثر الى ما لا حد له وحيث الأوضاع الاجتماعية أكثر تنوعا الى ما لا حد له ، - ستفاجئهم ، بكل تأكيد ، بقدر من الميزات الخاصة أكثر بكثير مما أعطته الثورة الروسية .

يقينـــا ان الكتـــاب الدراسي الموضوع حسب مفاهيم كاوتسكي ، قد كان جدّ مفيد في حينه . ولكنه آن الأوان ، في الحقيقة ، للتخلي عن الفكرة التي تزعم ان هذا الكتاب قد توقّع جميع أشكال التطور اللاحق في التاريخ العالمي . ان من يعتقدون ذلك ، انما آن الأوان لنعتهم بكل بساطة بانهم أغبياء .

١٧ كانون الثاني (يناير) ١٩٢٣

صدر في «البرافدا» في العدد ١١٧ ، بتاريخ ٣٠ ايار (مايو) ١٩٢٣
التوقيع : **لينين**

لينين . المؤلفات ، الطبعة الروسية الخامسة ، المجلد ٤٥ ، ص ص ٣٧٨-٣٨٢

من الافضل اقل ، شرط ان يكون احسن

(مقتطف)

فيما يخص اتقان جهاز دولتنـــا ، برأيي انه لا ينبغي لهيئة التفتيش العمالي والفلاحي (٤٤) ان تستعجل الامور ولا ان تركض وراء الكمية . فحتى اليوم ، قلما توافر لنا الوقت للتفكير بنوعية جهاز دولتنـــا والسهـــر عليه ، ولذا يكون من المشروع الاهتمام باعداده بعناية خاصة ، بتركيز مادة بشرية حديثة حقاً في هيئة التفتيش العمالي والفلاحي ، اي

مادة لا تقل في شيء عن خيرة النماذج الاوروبية الغربية . يقينا ان هذا الشرط متواضع جدا بالنسبة لجمهورية اشتراكية . ولكن السنوات الخمس الاولى قد حشت رؤوسنا بقدر كبير من الحذر والارتياب . فنحن ميالون عفوا الى التشرب بهذا الشعور ازاء اولئك الذين يسهبون في الكلام كثيرا جدا وبسهولة فائقة حول «الثقافة البروليتارية» ، مثلا ؛ فحسبنا في البداية ان تكون لنا ثقافة برجوازية حقيقية ؛ حسبنا في البداية ان نعرف كيف نستغني عن النماذج الغليظة الفظة جدا من الثقافات السابقة للثقافات البرجوازية ، اي من الثقافة الدواوينية ومن الثقافة الاقطاعية ، الخ .. ان العجلة المفرطة والمزايدة هما الاشد ضررا في مضمار الثقافة . وهذا ما يجب على الكثيرين من ادبائنا وشيوعيينا الشباب ان يحطوه جيدا في رؤوسهم .

والآن ، ينبغي لنا ، فيما يخص جهاز الدولة ، ان نستخلص من تجربة الماضي هذا الاستنتاج ومفاده انه الافضل السير بسرعة اقل .

ان الامور في جهاز دولتنا لعلى درجة من السوء ، لكي لا نقول انها مقيتة ، بحيث انه ينبغي لنا بادئ بدء ان نفكر عن كثب في كيفية مكافحة عيوبه التي — ولا ننسين هذا — تعود الى الماضي الذي ، رغم قلبه ، لم يقض عليه بعد ، لم يصبح

بعد من ميدان ثقافة ولت منذ زمن بعيد . واني اطرح هنــا مسألة الثقافة على وجه الضبط ، لأنه يجب في هذا الصدد الا نعتبر من الامور المحققة الا ما دخل في الثقافة ، في الحياة اليومية ، في العادات . والحال ، ان ما هو صالح في تنظيمنا الاجتماعي يؤخذ عندنا بعجلة ، وباقل ما يكون من التأمل ، والفهم ، والاحساس ، والتثبت ، والامتحان ، والتأكيد بالتجربة ، والتوطيد ، الخ .. ويقيننا انه لم يكن من الممكن ان تسير الامور على غير هذا النحو في عهد ثوري ، وفي تطور بمثل هذه السرعة والقوة قادنا ، في خمس سنوات ، من القيصرية الى النظام السوفييتي .

ينبغي لنا ان نضع عقولنا في رؤوسنا في الوقت اللازم . ينبغي لنا ان نتشبع بحذر نافع من كل ركض الى امــام بدون رويــة ، من كل ضرب من التباهي ، الخ .، ينبغي الامعان في التحقق من الاجراءات التي نعلنها في كل ساعة والتي نتخذها في كل دقيقة والتي نقدم البرهان بعد ذاك في كل ثانية على ضعفها ، على وهنها وغموضها . والاضر هنا ، انما هو العجلة . والاضر ، الاعتقاد اننا نعرف شيئا ما ، او اننا نملك عددا كبيرا الى هذا الحد او ذاك من العناصر لبناء جهاز جديد حقا ، ويستحق فعلا اسم جهاز اشتراكي ، سوفييتي ، الخ ..

كلا ، ان هذا الجهاز لا نملكه ، بل اننا نملك عددا قليلا مضحكا من عناصره . وعلينا الا ننسى

انه ينبغي لنا لانشائه ألا نبخل في الوقت ، وان هذا سيتطلب الكثير ، الكثير ، الكثير من السنين .

فاي عناصر نملك لانشاء هذا الجهاز ؟ عنصرين فقط . اولا ، العمال المندفعين في غمرة النضال من اجل الاشتراكية . ان هؤلاء العمال ليسوا على درجة كافية من التعليم . وهم يودون حقا ان يعطونا جهازا افضل ولكنهم لا يعرفون كيف يدبرون الامر . وليس في مستطاعهم ان يفعلوه . انهم لم يبلغوا بعد درجة كافية من التكوين ، ولم يبلغوا المستوى الثقافي المطلوب . والحال ، لا بد لهذا الغرض من امتلاك الثقافة على وجه الضبط . وهنا لا يمكن حل المشكلة بقوة او بهجوم مفاجىء بشجاعة او بعزم او ، على العموم ، بصفة من خير الصفات الانسانية ، ايا كانت . ثانيا ، المعرفة ، التعلم ، التحصيل ، وهي عناصر نملك منها قدرا قليلا مضحكا بالقياس الى جميع البلدان الاخرى .

ويجب ألا ننسى اننا لا نزال ميالين جدا الى الرغبة في التعويض عن هذه المعرفة (او الى التصور بانه يمكن التعويض عنها) بالحمية ، بالعجلة المفرطة ، الخ ..

فلتجديد جهاز دولتنا ينبغي لنا مهما كلف الامر ان نضع نصب عيوننا المهمة التالية : اولا ، ان نتعلم ؛ ثانيا ، ان نتعلم ايضا ؛ ثالثا ، ان نتعلم

دائما . ثم العناية بان لا يبقى العلم عندنا حرفا ميتا او جملة شائعة على الموضة (وهذا ـ وليس لنا ان نخفيه ـ ما يحدث لنا في اغلب الاحيان) ؛ بان يدخل العلم حقا في العادات ، ويصبح جزءا لا يتجزأ من حياتنا ، كليا وفعلا .

٢ آذار (مارس) ١٩٢٣

صدر في «البرافدا» ، العدد ٤٩ ، ٤ آذار ١٩٢٣
التوقيع : **ن . لينين**

لينين . المؤلفات ، الطبعة الروسية الخامسة ، المجلد ٤٥ ، ص ص ٣٨٩ـ٣٩١

ناديجدا كروبسكايا

اي ادب كان يعجب ايليتش

قال لي الرفيق الذي عرفني للمرة الاولى بفلاديمير ايليتش ان ايليتش انســان عالم ، يطالـع الكتب العلمية فقط ، ولم يقرأ في حياته رواية واحدة ، ولا يقرأ الشعر ابدا . فاخذني العجب كل ماخذ . فانــا شخصيـــا طالعت مؤلفـــات جميع الكلاسيكيين في عهد شبابي ، وكنت اعرف عن ظهر قلب مؤلفات ليرمنتوف كلها تقريبا وما شابه ، ودخل كتاب مثل تشيرنيشيفسكـي وليون تولستــوي واوسبنسكي في حياتـي كعنصر بالغ الشــأن . فبدا لي من الغريب حقا ان اجد انسانا لا يهمه كل هذا اطلاقا .

ثم عرفت ايليتش عن كثب اثناء العمل ، وعرفت تقديراته للناس ، وراقبت تبصره الشديد في الحياة وفي الناس ، واذا ايليتش يزيح في الواقع صورة ذلك الانسان الذي لم ياخذ يوما في يده كتبا تحكي عما يعيش البشر به .

ولكن الحياة كانت تسير آنذاك على نحو بحيث ان الفرصة لم تسنح لنا للتحدث في هذا الموضوع .

ولكن فيما بعد ، عرفت انا ، في سيبيريا ، ان ايليتش لم يطالع مؤلفات الكلاسيكيين اقل مما طالعت، ولم يطالع وحسب ، بل قرأ مؤلفات تورغينيف ، مثلا ، غير مرة . وقد حملت معي الى سيبيريا مؤلفات بوشكين وليرمنتوف ونيكراسوف . فوضعها لينين قرب سريره ، بجوار كتب هيغل ، وقرأها المرة تلو المرة في الامسيات . وقد أحب بوشكين اكثر من أحب ، ولكنه لم يكن يقدر الشكل وحسب . فقد أحب ، مثلا ، رواية تشيرنيشيفسكي «ما العمل ؟» رغم شكلها الساذج الضعيف فنيا . وقد تملكتني الدهشة اذ رأيت باي انتباه قرأ هذه الرواية واي تلاوين فائقة الدقة لاحظها في هذه الرواية . بل انه احب كل سيماء تشيرنيشيفسكي وشخصيته وكان البومه السيبيري يضم ، فيما يضم ، صورتين لهذا الكاتب ، كتب ايليتش بيده على احداهما سنة ولادة الكاتب وسنة وفاته . كذلك كان البوم ايليتش يحتوي صورا لاميل زولا ، وصورا لهرتسين وبيساريف من بين الكتاب الروس . وقد طالع فلاديمير ايليتش وأحب كثيرا في حينه مؤلفات بيساريف . واذكر انه كان هناك ايضا في سيبيريا « فاوست » لغوته باللغة الالمانية وديوان شعر لهينه .

وعندما عاد فلاديمير ايليتش من سيبيريا، راح مرة في موسكو الى المسرح، وشاهد « سواق العربة هنشل » ، وقال فيما بعد ان هذه المسرحية اعجبته كثيرا .

وفي مونيخ ، اذكر بين الكتب التي اعجبت ايليتش،

رواية غرهــارد « Bei mama » (« عنــد الماـــا ») و « Büttnerbauer » (« الفلاح ») لبولنتس .

ثم ، فيما بعد ، اثنـــاء الهجرة الثانية ، في باريس، طالع ايليتش برغبة ومتعة قصائد فكتور هوغو « Châtiments » عن ثورة ١٨٤٨ ؛ وهذه القصائد نظمها هوغو عندما كان منفيا ، وجرى نقلها وتوزيعها سرا في فرنسا . ان هذه القصائد تنطوي على قدر كبير من التفخيم الساذج نوعا ، ولكن القارئ يحس فيها مع ذلك بنبض الثورة. وكان يطيب لايليتش الذهاب الى مختلف المقاهي والى المسارح في ضواحي المدينة من اجل الاستماع الى مرتجلي الاغنيات الثورية الذين يغنون في احياء العمال عن كل شيء ، عن كيف ينتخب الفلاحون السكارى الى مجلس النواب محرضا عابرا ، وعن تربية الاولاد ، وعن البطالـــة ، الخ .. وكان مونتيغوس يعجب ايليتش بخاصة . كان مونتيغوس ابن رجل من رجال كومونة باريس ، وكان حبيب الاطراف العمالية . وصحيح ان اغانيه المرتجلة العابقة دائمــــا بتلوين معيشي ساطـع لم تكن تنـــم عن ايديولوجية واضحة المعالم الى حد ما ، الا انها كانت تنطوي على قدر كبير من الولع الصادق . وكثيرا ما كان ايليتش يغني تحيته للفوج السابع عشر الذي رفض ان يطلق النار على المضربين « Salut, salut à vous, soldats du 17-me » (« التحية ، التحية لكم ، يـــا

جنود الفوج السابع عشر») . وذات مرة ، تحادث ايليتش في امسية روسية مع مونتيغوس ، والغريب ان هذين الشخصين ، المختلفين شديد الاختلاف ــ فان مونتيغوس قد التحق بمعسكر الشوفينيين عندما اندلعت نيران الحرب فيما بعد ، ــ كانا يحلمان بالثورة العالمية . فهكذا يحدث احيانا : يتلاقى في عربة قطار اناس قلما يعرفون بعضهم بعضا ، ويتحادثون على وقع عجلات العربة عن اعز ما لديهم ، عما لا يفشون به ابدا في وقت آخر ، ثم يتفارقون ولا يتلاقون ابدا فيما بعد في الحياة . وهكذا كان هذه المرة . ناهيك بان الحوار جرى باللغة الفرنسية ، فالحلم بصوت مسموع بلغة اجنبية اسهل مما باللغة الام . وكانت تأتينا خادمة فرنسية لنحو ساعتين . وذات مرة، سمعها ايليتش تغني اغنية. كانت تلك اغنية الالزاس . فطلب ايليتش من الخادمة ان تغنيها وان تملي عليه كلماتها ، وفيما بعد ، لم يندر له ان غنى الاغنية بنفسه . كانت الاغنية تنتهي بما يلي :

Vous avez pris l'Alsace et la Lorraine.
Mais malgré vous nous resterons français,
Vous avez pu germaniser nos plaines,
Mais notre coeur vous ne l'aurez jamais !

(«لقد اخذتم الالزاس واللورين . ولكننا رغما عنكم سنبقى فرنسيين ، لقد استطعتم ان تجرمنوا

سهولنا ، ولكن قلوبنا لن تكون لكم ابدا ! ») *

كان ذلك في عـــام ١٩٠٩ : كان الزمن زمـــن الرجعية ، وكان الحزب مهزوما ، محطما ، ولكن روحه الثورية لم تكن مسحوقة . واذا هذه الاغنية تتجاوب مع مزاج ايليتش . كان ينبغي ان يسمع المرء باي نغم مظفر كانت تنداح من بين شفتيه كلمات الاغنية :

Mais notre coeur vous ne l'aurez jamais !

في تلك السنوات التي كانت اقسى سنوات الهجرة والتي كان ايليتش يتحدث عنها دائما بنوع من المرارة والامتعاض (عندما عاد الى روسيا ، ردد ذات يوم مرة اخرى مـــا قاله غير مرة من قبل : «ولمـــاذا سافرنا آنذاك من جينيف الى باريس ؟») ، في تلك السنوات المضنية ، كان يحلـــم باشد العنـــاد ، كان يحلم اثناء الحديث مع مونتيغوس ، مغنيا بنغم مظفر اغنية الالزاس ، واثناء مطالعته فرهارن في ليالي الارق .

وفيما بعد ، ابان الحرب ، تولع فلاديمير ايليتش

---

* في مقالة «سابرن» (المؤلفات . الطبعة الخامسة ، المجلد ٢٤ ، ص ١٨٤) ، يورد لينين نهاية هذه الاغنية بترجمته : «لقد اخذتم الزاسنا ولورينا ، وفي وسعكم ان تجرمنوا سهولنا ، ولكنكم ابدا لن تملكوا قلبنا ، ابدا» . — **الناشر .**

بكتاب هنري باربوس « Le feu » («النار») واعاره اهمية كبيرة جدا . فقد كان هذا الكتاب يتجاوب واي تجاوب مع مزاجه في ذلك الوقت .

نادرا ما كنا نذهب الى المسرح . كنا نذهب احيانا ولكن تفاهة المسرحية او زيف التمثيل كانا دائما يرهقان اعصاب فلاديمير ايليتش . عادة ، كنا نذهب الى المسرح وتغادره بعد الفصل الاول . كان الرفاق يسخرون منا قائلين اننا عبثا تنفق المال .

ولكن ايليتش بقى ذات مرة حتى النهاية . كان ذلك ، على الارجح ، في اواخر ١٩١٥ . وكانوا آنذاك يعرضون في برن مسرحية ليون تولستوي «الجثة الحية» . صحيح ان الحوار كان بالالمانية ، الا ان الممثل الذي يقوم بدور الامير كان روسيا ، وقد استطاع ان ينقل فكرة ليون تولستوي . وتتبع ايليتش التمثيل بانفعال وتوتر .

وها نحن اخيرا في روسيا . كان الفن الجديد يبدو لايليتش غريبا ، غير مفهوم . وذات مرة ، دعونا لحضور حفلة موسيقية غنائيـة مقامـة في الكرملين لرجال الجيش الاحمر . قادوا ايليتش الى الصف الاول لحضور حفلة موسيقية غنائية مقامة في الكرملين من المقـاعد . القت الممثلـة غزوفسكايـا قصيدة ماياكوفسكي : «الهنا الركض ، قلبنا طبلنا» ، واندفعت مباشرة على ايليتش ، ولكنه ظل جالسا ، مرتبكا نوعا

من المفاجأة ، وقد تنفس الصعداء عندما حل محل غزوفسكايا ممثل آخر القى «سيئ النية» لتشيخوف .

ذات مساء ، اراد ايليتش ان يرى كيف يعيش الشباب في الكومونة . فقررنا ان نزور صاحبتنا الطالبة في «فخوتيماس» (٤٥) فرفارا ارماند . كان ذلك اغلب الظن ، في يوم جنازة كروبوتكين ، عام ١٩٢١ . كان ذلك العام عام الجوع ، ولكن الشباب كان يزخر بالحماسة . كانوا ينامون في الكومونة على الواح خشبية عارية او يكاد ، ولم يكن عندهم خبز ؛ «ولكن عندنا بالمقابل مجروش الحبوب» ، قال بوجه مشرق العضو المناوب في كومونة «فخوتيماس» . ومن هذا المجروش ، طبخوا لايليتش مهلبية بديعة ، لذيذة ، رغم انها كانت بلا ملح . راح ايليتش ينظر الى الشباب ، الى الوجوه المشرقة ، وجوه الرسامين والرسامات الشباب المحيطين به ، واذا سرورهم ينعكس على وجهه ايضا . عرضوا عليه رسومهم الساذجة ، وشرحوا له فكرتها ، وانهالوا عليه بالاسئلة . اما هو فكان يضحك ، ويتهرب من الاجوبة ، ويرد على الاسئلة باسئلة : «ماذا تقرأون ؟ هل تقرأون بوشكين ؟» . صاح احدهم : «كلا ، كان برجوازيا . نحن نقرأ ماياكوفسكي» . ابتسم ايليتش . «برأيي بوشكين افضل» . بعد هذا ، رق ايليتش قليلا على ماياكوفسكي . وعندما سمع هذا الاسم ، تذكر

هبيبة «فخوتيماس» ، العامرة بالحياة والفرح ، المستعدة لبذل النفس في سبيل السلطة السوفييتية ، التي لا تجد الكلمات في اللغة العصرية للتعبير عما يعتمل في النفس ، وتفتش عن هذا التعبير في قصائد ماياكوفسكي العسيرة الفهم . وفيما بعد ، أطرى ايليتش ذات مرة ماياكوفسكي لقصائده التي سخر بها من البيروقراطية السوفييتية . ومن بين المؤلفات العصرية ، كما اذكر ، كان ايليتش معجبا برواية اهرنبورغ التي تصف الحرب . قال لي بلهجة رصينة ، مظفرة : «أو تعرفين ايليا المشعث الشعر (لقب اهرنبورغ) . لقد اجاد» .

رحنا بضع مرات الى المسرح الفني . رحنا مرة لمشاهدة «الطوفان» . فأعجبت المسرحية ايليتش ايما اعجاب . واراد ان يذهب في اليوم التالي بالذات الى المسرح من جديد . وكانت تعرض مسرحية غوركي «في الحضيض» . وكان ايليتش يحب الكسي مكسيموفيتش غوركي كانسان احس بقرابة معه في مؤتمر لندن ، واحبه كفنان ، وكان يرى ان غوركي كفنان يستطيع ان يفهم الكثير من نصف كلمة . وكان يتحدث مع غوركي بصراحة خاصة . وغني عن البيان ان ايليتش كان لهذا السبب متطلبا بخاصة فيما يتعلق بتمثيل مسرحية غوركي . فغاظته طريقة العرض بافراطها المسرحي . وبعد مسرحية «في الحضيض» عدل زمنا

طويلا عن الذهاب الى المسرح . وذات يوم ، رحنا معه لحضور مسرحية «الخال فانيا» لتشيخوف . فأعجبته . واخيرا ، رحنا للمرة الاخيرة الى المسرح ، وذلك في عام ١٩٢٢ ، لحضور «جدجد على الموقد» لديكنس . بعد الفصل الاول بالذات ، تملك الضجر ايليتش ، واخذت عاطفية ديكنس التافهة تثير اعصابه ، وعندما بدأ حوار صانع اللعب العجوز مع ابنته العمياء ، لم يتمالك ايليتش ، وخرج من منتصف الفصل .

الاشهر الاخيرة من حياة ايليتش . بناء على طلبه، كنت اقرأ عليه المؤلفات الادبية ، وعادة قبيل المساء . قرأت شدرين ، وقرأت «جامعاتي» لغوركي . وفضلا عن ذلك ، كان ايليتش يحب ان يسمع الاشعار ، ولا سيما اشعار دميان بيدني . ولكن ليست اشعار دميان الهجائية السخرية ، بل الانلاهية هي التي كانت اكثر ما تعجبه .

وكنت احيانا اقرأ عليه الاشعار ، واذا هو ينظر عبر النافذة الى الشمس بسبيل الغياب ، مستغرقا في التفكير . واذكر قصيدة تنتهي بالبيت التالي : «ابدا وابدا لن يصبح الكومونيون عبيدا» .

واقرأ عليه ، وكأنما اقسم لايليتش : ابدا وابدا لن نسلم ايا من مكتسبات الثورة ...

قبل وفاته بيومين ، قرأت عليه في المساء قصة جاك لندن «حب الحياة» ـ وهي لا تزال الآن ايضا على الطاولة في غرفته . انها قوية جدا ، هذه القصة . عبر صحراء من الثلج لم تطأها قدم انسان ، يمضي رجل مريض يموت جوعا نحو رصيف نهر كبير . قواه تخور شيئا فشيئا ، وهو لا يمشي ، بل يزحف ، والى جانبه يزحف ذئب يموت جوعا ايضا ، ويقوم بينهما صراع ، وينتصر الرجل ، ويصل الى الهدف نصف ميت ، نصف مجنون . اعجبت هذه القصة ايليتش خارق الاعجاب . وفي اليوم التالي ، طلب مواصلة قراءة قصص لندن . ولكن الاشياء القوية تختلط عند جاك لندن مع الاشياء الخارقة الضعف . وقد كانت القصة التالية من نوع آخر تماما ؛ كانت قصة مشربة بالاخلاق البرجوازية : وعد احد الربابنة صاحب سفينة موسوقة بالحبوب ، ان يصرف الحبوب بكسب وربح ؛ ويضحي بحياتـه لمجرد ان يفي بوعده . ضحك ايليتش ولوح بيده .

وبعد ذاك ، لم يتأت لي ان اقرأ عليه ...

ترجـم نقلا عن كتـاب :
«ذكريات عن لينين لاقربائه» ،
غوسبوليتيزدات ، عام ١٩٥٥،
ص ص ١٩٢–١٩٧ .

كلارا زيتكين

من كتاب

«ذكريات عن لينين»

... الفانا لينين نحن ، النساء الثلاث ، نتحادث في شؤون الفن والتعليـم والتربيـة . وكنت في تلك اللحظة بالذات اعرب عن دهشتي واعجابي من عمل البلاشفة الثقـافي ، الوحيد في نوعـه ، العملاقي في نوعه ، من ازدهار قوى البلد الخلاقة وسعيهـا الى شق سبل جديدة في ميداني الفن والتربية . ولكني لم اخف انطباعي الآخر وهو انه كثيرا جدا ما يتأتى للمرء ان يلحظ قدرا كبيرا من عدم الثقة وكثرة من التجسسات غير الواضحة ومن الخطوات الاختبارية ، وانه الى جانب الابحـاث الحماسيـة عن المضمون الجديد والاشكال الجديدة والسبل الجديدة في ميدان الحياة الثقافية ، يظهر احيانا ولع مصطنع «بالموضة» وتقليد للنماذج الغربية . وعلى الفور تدخل هنا لينين في الحديث ببالغ الحمية وقال :

ـ ان استيقاظ القوى الجديدة ، وعملها من اجل خلق فن جديد وثقافـة جديدة في روسيـا السوفييتية ، ان هذا حسن ، حسن جدا . ان وتيرة تطورها العاصف مفهومة ونافعة . ينبغي لنا ان نعوض

عما فات في سياق قرون وقرون ، ونحن نريد هذا . الغليان المشوش ، الابحاث المحمومة عن الشعارات الجديدة ، الشعـارات التي تنادي اليوم «خلصـه يا مخلص !» بصدد تيارات معينة في الفن وفي ميدان الفكر ، وتصيح غدا «اصلبوه !» ، كل هذا محتم لا مناص منه .

— ان الثورة تفك جميع القوى المقيدة حتى الآن وتدفعها من الاعماق الى سطح الحياة . اليكم مثلا واحدا من عداد كثرة من الامثلة . فكروا في ذلك التأثير الذي مارسته موضة البلاط القيصري واهوائه الغريبة في فننا ونحتنا ومعمارنا ، شأنها شأن اذواق وغرائب اهواء السادة الاريستقراطيين والبرجوازية . ففي مجتمع يرتكز على الملكية الخاصة ، ينتج الفنان البضائع من اجل السوق ، ويحتاج الى شارين . ولقد حررت ثورتنا الفنانين من ربقة هذه الظروف المبتذلة العادية جدا وحولت الدولة السوفييتية الى مدافع عنهم وطالب لانتاجهم . ان كل فنان ، كل من يعتبر نفسه فنانا ، له الحق ان يبدع بحرية ، وفقا لمثاله الاعلى ودون ان يكون تابعا لأي شيء .

— ولكننا نحن شيوعيون ، وهذا مفهوم . ولذا يجب علينا ألاّ نقف مكتوفي الايدي ونطلق الحبل على غاربه للتشوش والفوضى . انما ينبغي علينا ان نقود هذا المجرى بصورة منهاجية تماما ونكوّن

نتائجه . نحن لا نزال بعيدين عن هذا ، بله بعيدين جدا . ويخيل الي انه يوجد عندنا ايضا دكاترة من طراز الدكتور كارلشتادت . نحن «في ميدان الرسم هدامون» كبار اكثر من اللزوم . فالجميل ينبغي الحفاظ عليه ، واخذه مثالا وقدوة ، والانطلاق منه ، حتى وان كان «قديما» . لماذا يتعين علينا ان ندير ظهورنا للجميل حقا وفعلا ، ونتخلى عنه تخلينا عن نقطة انطلاق لأجل التطور لاحقا ، وذلك لسبب واحد ، هو انه «قديم» ؟ لماذا يجب الانحناء امام الجديد ، كما امام الرب ، ولماذا يجب الخضوع له لمجرد ان «هذا جديد» ؟ هذا غير معقول ، غير معقول اطلاقا ! هنا يطفو قدر كبير من النفاق ، ومن الاجلال غير الواعي ، بالطبع ، للموضة الفنيـــة السائدة في الغرب . نحن ثوريون جيدون ، ولكننا نشعر لسبب من الاسباب باننا ملزمون بان نثبت اننا تقف نحن ايضا «في مستوى الثقافة العصرية» . بل اني املك من الجرأة للقول عن نفسي باني «همجي ». ليس في وسعي ان اعتبر مصنفات التعبيرية والمستقبلية والتكعيبية ، وما شاكلها من التيارات الافصاح الاسمى عن العبقرية الفنية . فانا لا افهمها ولا اشعر باي فرح بها .

لم استطع ان اتمالك نفسي واعترفت باني انا ايضا تنقصني ملكة الاحساس لكي افهم لماذا يجب

ان تكون مثلثات الزوايا عوضا عن الانف التعبير الفني عن الروح الملهمة ولماذا يجب ان يحوّل الطموح الثوري الى النشاط الشديد جسم الانسان الذي ترتبط فيه الاعضاء بكل واحد متشابك معقد ، الى كيس رخو عديم الشكل ، مركب على قضيبين ، لكل قضيب شعبتان ولكل شعبة خمس أسنان .

انفجر لينين يقهقه من صميم الروح .

ــ اجل ، يــا عزيزتي كلارا ، ليس في اليد حيلة ، فنحن كلانا عجوز . حسبنــا نحن في اقل تقديــر ، ان نبقى شبابــا في الثورة وان نكون في الصفوف الاولى . وليس لنا ان نواكب الفن الجديد ، انما سنسير ببطء وراءه .

واستطرد لينين يقول :

ــ ولكن المهم ليس رأينــا في الفن . والمهم كذلك ليس ما يعطيه الفن لبضع مئات من الناس ، وحتى لبضعة آلاف من مجمل السكان الذين يعدون بالملايين . فان الفن يخص الشعب . ويجب ان يمد اعمق جذوره الى اعمق اعمــاق الجماهير الكادحــة الغفيرة . يجب ان يكون مفهومــا لهذه الجمــاهير ومحبوبا منها . يجب ان يوحد احساس هذه الجماهير وفكرها وارادتها ، وان يرفعها . يجب ان يوقظ فيها الفنانين ويطورهم . وهل يترتب علينا ان نقدم لاقلية ضئيلة البسكويت الحلو ، الرقيق ، الناعم ،

بينا تحتاج جماهير العمال والفلاحين الى الخبز العادي ؟ وغني عن البيان اني لا افهم هذا بمعنى الكلمة الحرفي ، بل بمعناه المجازي : ينبغي ألاّ يغيب ابدا العمال والفلاحون عن بالنـا . ومن اجلهم يجب ان نتعلم تسيير الاقتصاد ، ونتعلم الحساب . وهذا ما يصح ايضا على ميدان الفن والثقافة .

ـ ولكي يكون في وسع الفن ان يقترب من الشعب وفي وسع الشعب ان يقترب من الفن ، ينبغي لنا ان نرفع في البدء مستوى التعليم والثقافة العام . كيف الحال عندنا في هذا المجال ؟ انت تهللين لذلك العمل الثقافي العملاق الذي قمنا به منذ وصولنا الى الحكم . يقينا ان في مقدورنا ان نقول ، دون تبجح وتباه ، اننا فعلنا في هذا المجال الكثير والكثير جدا . نحن لم «نخلع رؤوسا» وحسب ، كما يتهمنا بهذا مناشفة جميع البلدان وكاوتسكي في بلدكم ، بل أثرنا كذلك رؤوسا ؛ لقد أثرنا الكثير من الرؤوس . ولكن «الكثير» بالقياس فقط لما مضى ، بالقياس لخطايا الطبقات والزمر السائدة فيما مضى . ان التحرق الذي اثرناه وسعرناه في نفوس العمال والفلاحين الى التعليم والثقافة كبير الى ما لا حد له ، وليس في بتروغراد وفي موسكو وفي المراكز الصناعية وحسب ، بل ايضا بعيدا وراء هذه الحدود ، بما في ذلك القرى نفسها . والحال ، نحن شعب فقير ، فقير للغاية . يقينا اننا

نخوض غمار حرب عنيدة حقيقية ضد الامية . فنحن ننظم المكتبات و«بيوت المطالعة» في المدن والقرى ، الكبيرة منها والصغيرة . وننظم اكثر الصفوف تباينا . ونحيي حفلات مسرحية وغنائية وموسيقية جيدة ، ونرسل الى شتى انحاء البلاد «المعارض الجوالة» و«القطارات التنويرية» . ولكني اكرر : ما عسى ان يعطي هذا سكانا يعدون بالملايين والملايين وتنقصهم ابسط المعارف ، والثقافة البدائية بالذات ؟ فبينا ، مثلا ، كما هو الحال اليوم في موسكو ، تتملك النشوة عشرة آلاف شخص وغدا عشرة آلاف اخرى لتمتعهم بمشاهدة مسرحية باهرة في المسرح ، يسعى ملايين النـــاس لكي يتعلمـــوا كيف يكتبون اسماءهـــم ويحسبـــون ، يسعـــون الى امتلاك ناصية ثقافـــة تعلمهم ان الارض كروية الشكل ، لا مسطحة ، وان الدنيا تسيرها قوانين الطبيعة لا الجن ولا السحرة مع «الاب السماوي» .

فقلت انا : «يا رفيق لينين ، لا يجوز التشكي بمثل هذه المرارة من الامية . فهي ، من ناحية معينة ، قد سهلت عليكم قضية الثورة . فقد صانت ادمغة العمال والفلاحين من حشوهـــا بالمفاهيـــم والنظرات البرجوازيـــة ومن الخمود والذبول . ان دعايتكـــم وتحريضكم يرميان البذور في ارض بكر . ومن الاسهل البذر والحصاد حيث لا يتأتي استئصال غاب بدائي كامل مسبقا» .

فقال لينين :ـ اجل ، هذا صحيح . ولكن فقط ضمن حدود معينة او بالاصح القول ، بالنسبة لمرحلة معينة من نضالنا . ان الامية قد تكيفت مع النضال في سبيل السلطة ، مع ضرورة تحطيم جهاز الدولة القديم . ولكن أترانا نحطم من اجل التحطيم وحسب ؟ نحن نحطم لكي نشيد شيئا ما افضل . ان الامية تتكيف سيئا ، بل لا تتكيف البتة مع مهمة البعث . ذلك انه ينبغي ، كما قال ماركس ، ان تصبح هذه المهمة قضية العمال انفسهم ، واضيف من جهتي ، قضية الفلاحين ايضا ، اذا شاؤوا نيل الحرية . ان نظامنا السوفييتي يسهل هذه المهمة . وبفضله يتعلم في الوقت الحاضر آلاف الشغيلة من ابناء الشعب في مختلف السوفييتات والهيئات السوفييتية كيف يعملون للقيام بقضية البعث . وهؤلاء انما هم رجال ونساء «في ازدهار القوى» كما يقال عندكم عادة . واغلبهم ترعرعوا في ظل النظام القديم ، ولم يحصلوا بالتالي على التعليم ولم يتفهموا شؤون الثقافة ، ولكنهم يسعون الآن بحماسة وحمية وراء المعرفة . ونحن نأخذ على عاتقنا بأحزم نحو مهمة اجتذاب فئات جديدة وجديدة ابدا من الرجال والنساء الى العمل السوفييتي واعطائهم قسطا معينا من التعليم التطبيقي والنظري . ولكننا رغم هذا لا نستطيع ان نلبي كل حاجتنا الى القوى القائدة المبدعة . ونحن ملزمون الى اشراك البيروقراطيين من

الطراز القديم وبالنتيجة تشكلت عندنا البيروقراطية . اني اكره البيروقراطية من صميم الروح ، دون ان اقصد بالطبع هنا هذا البيروقراطي او ذاك بمفرده . فقد يكون هذا البيروقراطي انسانا مجتهدا . ولكني اكره النظام البيروقراطي . فهو يشل ويشيع الفساد سواء في القاعدة أم في القمة . اما العنصر الحاسم لتذليل البيروقراطية واستئصالها فهو تعليم الشعب وتربيته على اوسع نطاق .

ـ وما هي اذن تطلعاتنا الى المستقبل ؟ لقد انشأنا مؤسسات بديعة وطبقنا اجراءات جيدة فعلا غايتها افساح المجال امام الشبــاب البروليتــاري والفلاحي لتحصيل العلم ودراسة الثقافة واستيعابها . ولكن السؤال المعذب نفسه ينهض هنا ايضا امامنا : ماذا يعني هذا بالنسبة لمثل هذا العدد الكبير من السكان كما هو عليه عدد سكان بلادنا ؟ وهناك ما هو اسوأ : فان عدد رياض الاطفال ومآوى الاطفال والمدارس الابتدائية ابعد من ان يكون كافيا . وملايين الاطفال يترعرعون بلا تربية ولا تعليم . ويبقون اميين وغير مثقفين مثل آبائهم واجدادهم . وكم من المواهب تهلك من جرّاء هذا ، وكم من المطامح الى النور تختنق ! وهذه جريمة رهيبة من وجهة نظر سعادة الجيل الناشئ اشبه بتبديد لثروة الدولة السوفييتية

التي يجب ان تتحول الى مجتمع شيوعي . وهنا يكمن خطر رهيب .

واذا صوت لينين ، الهادىء عادة واي هدوء ، ينم عن غضب متمالك .

فقلت في نفسي :ــ «ما اقرب ما يمسه هذا السؤال في الصميم ما دام يلقي امامنا نحن الثلاث خطابا تحريضيا» . وشرعت واحدة منا ــ لا اذكر من هي بالضبط ــ تتحدث عن بعض الظاهرات التي تلفت النظر بشكل خاص في ميداني الفن والثقافة ، مفسرة نشوءها «بظروف الساعة» . فاعترض لينين على ذلك قائلا :

ــ اعرف جيدا ! هناك كثيرون مقتنعون حقا وصدقا بانه يمكن بواسطة panem et circenses («الخبز والتمثيليات») تذليل مصاعب واخطار المرحلة الراهنة . الخبز ، طبعا ! اما فيما يخص التمثيليات ، فلتكن ! انا لا اعارض . ولكن عليهم ان لا ينسوا في هذه الحال ان التمثيليات ليست هي الفن الحقيقي الكبير ، بل بالاحرى تسلية جميلة الى هذا الحد او ذاك . ويجب ألاّ ننسى في هذه الحال ان عمالنا وفلاحينا لا يشبهون في شيء حثالة البروليتاريا في روما . فهم لا يعيشون على حساب الدولة ، بل يعيّشون دولتهم بكدحهم . وهم «صنعوا» الثورة ودافعوا عن قضيتها ، باذلين سيولا من الدماء

ومكابدين تضحيات لا عدّ لها . صحيح ان عمالنا وفلاحينا يستحقون شيئا ما اكبر من التمثيليات . لقد نالوا الحق في التمتع بالفن الحقيقي الكبير . ولهذا نطرح في المقام الاول التعليم الشعبي والتربية الشعبية على اوسع نطاق . وهذان يمهدان التربة من اجل الثقافة ـ ولكن بالطبع شرط ان تحل مشكلة الخبز . وعلى هذه التربة يجب ان ينمو الفن الجديد فعلا ، الفن الشيوعي العظيم الذي يخلق شكلا مناسبا لمضمونه . وفي هذا السبيل سيترتب على «مثقفينا» حل قضايا نبيلة على جانب هائل من الاهمية . واذا ما فهموا هذه القضايا وحلوها ، لأدوا واجبهم حيال الثورة البروليتارية التي شرّعت امامهم ابوابا تقودهم الى المجالات الرحبة الطليقة وتنقلهم من تلك الظروف المعيشية المحدودة التي وصفها «البيان الشيوعي» بفائق المهارة والحذق .

في تلك الليلة ـ وقد سهرنا حتى ساعة متأخرة ـ تطرقنا ايضا الى مواضيع اخرى . ولكن انطباعاتي عنها تخبو بالمقارنة مع الملاحظات التي ابداها لينين في قضايا الفن والثقافة والتعليم العام والتربية ...

* * *

... كان لينين يفهم الجماهير بروح تعاليم ماركس ولذا كان بالطبع يعلق اهمية هائلة على تطورها الثقافي الشامل . وكان يعتبر هذا التطور من

اعظم مكتسبات الثورة وعربونا امينا على تحقيق الشيوعية .

قال لي ذات مرة :ـ ان اكتوبر الاحمر قد فتح سبيلا رحبا امام ثورة ثقافية ذات ابعاد عظيمة للغاية وتتحقق على اساس الثورة الاقتصادية البادئة وبالتفاعل الدائم معها . تصوري ملايين الرجال والنساء من قوميات وعروق مختلفة وعلى درجات مختلفة من سلم الثقافة ؛ انهم جميعا قد اندفعوا الآن الى امام ، الى الحياة الجديدة . ان المهمة التي تواجه السلطة السوفييتية جليلة حقا ، اذ ينبغي عليها ان تسدد في سنوات ، في عقود من السنين ، الدين الثقافي المتراكم خلال قرون وقرون . وعلاوة على الهيئات والمؤسسات السوفييتية ، يعمل من اجل التقدم الثقافي عدد عديد من منظمات واتحادات العلماء والفنانين والمعلمين . وتقوم نقاباتنا في المؤسسات وتعاونياتنا في الريف بعمل ثقافي في منتهى الضخامة . ان همة حزبنا تعيش وتغلي وتتسرب الى كل مكان . وتتحقق اشياء كثيرة جدا ، ونجاحاتنا كبيرة بالقياس الى ما كان ، ولكنها تبدو صغيرة بالقياس الى ما يجب عمله . ان ثورتنا الثقافية قد بدأت للتو وحسب .

وتطرق لينين صدفة الى مناقشة اخراج رائع لاحد الباليهات في بلشوي تياتر ، وقال مبتسما :

ـ اجل ، الباليه ، المسرح ، الاوبرا ، معارض الرسم والنحت الجديد والاجدد ـ كل هذا هو بالنسبة

لعدد عديد من الناس في الخارج برهان على اننا نحن البلاشفة لسنا اطلاقاً برابرة فظيعين كما كانوا يظنون هناك . انا لا انكر هذه الظاهرات وما يماثلهـا من ظاهرات الثقافة الاجتماعية ، وانـا اقدرهـا حق قدرها . ولكني اقر بان بناء مدرستين ابتدائيتين او ثلاث في قرى نائية يطيب لي اكثر مما تطيب لي اروع معروضة في معرض . ان رفع مستوى الجماهير الثقافي العام يخلق تلك التربة الصلبة السليمة التي تنمو منها قوى جبارة لا ينضب لها معين من اجل تطوير الفن والعلم والتكنيك . ان الطموح الى بنـاء الثقافة والى نشرها قوي فوق العادة عندنا . ولا بدّ من الاعتراف بانه تجري عندنا في هذا الصدد اختبارات كثيرة ــ والى جانب الجدي ، يوجد عندنا كثير من الصبياني ، غير الناضج ، الذي يبدد القوى والاموال . ولكن الحياة الخلاقة تتطلب ، على ما يبدو ، التبديد في المجتمع كما في الطبيعة . واليوم يتوفر اهم شيء بالنسبة للثورة الثقافيـة منذ ظفر البروليتاريـا بالسلطة ، ألا وهو استيقاظ الجماهير وسعيها وراء الثقافة . وينمو اناس جدد خلقهم النظام الاجتماعي الجديد ويصنعون هذا النظام ...

ترجم نقلا عن كتاب كلارا
زيتكين «ذكريات عن لينين» ،
غوسبوليتيزدات . ١٩٥٥ .
ص ص ١٢ــ١٧ ، ٦٨ــ٦٩ .

اناطولي لوناتشارسكي

لينين والفن

قليلا جدا ما توفر الوقت للينين طيلة حياته لأن ينصرف الى الفن بدرجة مـا من الامعـان ، وبمـا انه كان دائما غريبـا عن الهواية السطحية ويكرهها ، فانه لم يكن يحب ابداء رأيه في الفن . ومع ذلك كانت اذواقـه واضحـة جدا . فقد كان يحب الكلاسيكيين الروس ويحب الواقعية في الادب والمسرح والرسم وهلمجرا .

في عام ١٩٠٥ ، تأتى له ذات مرة ، ابان الثورة الاولى ، ان يبات الليل في شقة الرفيق د . اي . ليشنكو حيث كانت فيهـا ، فيمـا كان ، مجموعة كاملة من مؤلفات كناكفوس ، المكرسة لكبار رسامي العالم . وفي الصباح التالي ، قال لي فلاديمير ايليتش : «اي ميدان آسر هو تاريخ الفن . ولكم من العمل هنا من اجل الماركسي . امس لم اجد الى النوم سبيلا حتى الصباح ، اذ تصفحت الكتب واحدا بعد آخر . وتملكتني الكآبة لأنه لم يتوفر لي الوقت ولن يتوفر من اجل التعمق في الفن» . وقد حفظت ذاكرتي اقوال ايليتش هذه بخارق الدقة والوضوح .

ثم التقيت به بعد الثورة بضع مرات ، وذلك على صعيد مختلف الهيئات التحكيمية الفنية . فاني

اذكر ، مثلا ، انه دعاني ، ورحنا معا الى معرض تصاميم تماثيل غايتها الاستعاضة بواحد منها عن تمثال الكسندر الثالث ، الذي أسقط عن قاعدته الفخمة بجوار كنيسة المسيح المخلص . تفحص فلاديمير ايليتش جميع هذه التماثيل بعين نقادة جدا . فلم يعجبه اي واحد منها . ووقف بدهشة خاصة امام تمثال مستقبلي الطريقة ؛ وعندما سألوه رأيه ، قال : «انا لا افهم شيئا في هذا الامر ، فاسأل لوناتشارسكي» . وعندما قلت له اني لا ارى تمثالا واحدا لائقا ، سرّ كثيرا وقال لي : «وانا الذي كنت اظن انك ستنصب بعبعا ما مستقبليا» .

ومرة اخرى برزت مسألة تمثال لكارل ماركس . وقد ابدى المثّال المعروف م . الحاحا خاصا . فوضع تصميما كبيرا لتمثال «كارل ماركس واقفا على اربعة فيلة» . هذه الفكرة غير المتوقعة بدت لنا جميعا غريبة ، وكذلك لفلاديمير ايليتش . فشرع الفنان يعيد صنع تمثاله واعاد صنعه ثلاث مرات ، غير راغب البتة في الامتناع عن احراز النصر في المسابقة . وعندما رفضت هيئة التحكيم برئاستي تصميمه رفضا باتا ، ووافقت على تصميم جماعي لفرقة من المثالين برئاسة اليوشين ، راح المثّال م . يتشكى عند فلاديمير ايليتش . اهتم فلاديمير ايليتش بشكواه وتلفن اليّ خصيصا لأجل تشكيل هيئة تحكيمية جديدة . وقال لي انه سيأتي

لمشاهدة تصميم اليوشين وتصميم المثَال م. وجاء. وكان راضيا جدا من تصميم اليوشين ، بينا رفض تصميم م .

وفي العام نفسه ، نصبت فرقة اليوشين في عيد اول ايار (مايو) ، نموذجا مصغرا لتمثال كارل ماركس حيث كان من المقرر نصب التمثال . وجاء فلاديمير ايليتش خصيصا ، ودار حول التمثال بضع مرات وسال عن حجمه ومقاييسه ، ووافق عليه في آخر المطاف ، ولكنه قال : «اناطولي فاسيلييفيتش ، قل للفنان بوجه خاص ان يأتي الشعر مشابها ، وان يحصل من كارل ماركس انطباع كالذي يحصل من صوره الموفقة ، فكانً الشبه هنا قليل» .

في عام ١٩١٨ ، دعاني فلاديمير ايليتش وقال لي انّه يجب دفع الفن الى امام بوصفه وسيلة للتحريض . وفي هذا الصدد عرض مشروعين . اولا ، كان ينبغي ، برأيه ، تزيين المباني والحواجز ، وما شابه من الاماكن التي تلصق عليها الاعلانات عادة ، بكتابات ثورية كبيرة . واقترح على الفور بعضا من هذه الكتابات .

وكان المشروع الثاني يتعلق باقامة تماثيل لكبار الثوريين على نطاق واسع للغاية ، تكون موقتا من الجبص سواء أفي بتروغراد ام في موسكو . وقد استجابت المدينتان بطيبة خاطر وهمة للاقتراح القائل بتحقيق فكرة فلاديمير ايليتش ، مع العلم انه كان من المرتأى تدشين كل تمثال بحفل مهيب وبخطاب عن

الثوري المعني وانه ينبغي ان تحفر عليه الكتابات الايضاحية . وقد نعت فلاديمير ايليتش ذلك بانه «دعاية بالتماثيل» .

وهذه «الدعاية بالتماثيل» حالفها التوفيق نسبيا في بتروغراد . وكان تمثال راديشيف من صنع شرفود اول تمثال من هذا النوع . ثم نصبوا نسخة عنه في موسكو . ومع الأسف ، تحطم التمثال في بتروغراد ولم يصنعوا بديلا عنه . وعلى العموم ، لم يكن من الممكن الاحتفاظ باغلبية التماثيل البتروغرادية الجيدة بسبب من مادتها السريعة العطب للغاية ، مع اني اتذكر تماثيل حسنة جدا كالتماثيل النصفية لغاريبالدي وشفتشنكو ودوبروليوبوف وهرتسين وبعض آخر . وجاءت التماثيل ذات الميل اليساري اسوأ . فعندما أزيح الستار ، مثلا ، عن رأس بيروفسكايا ، المصنوع بالاسلوب التكعيبي ، تراجع بعضهم حقا وفعلا . كذلك بالضبط ، حسبما اذكر ، بدا تمثال تشيرنيشيفسكي لكثيرين من الناس خارق التعقيد . وكان تمثال لاسال من خيرة التماثيل* . وقد نصب هذا التمثال قرب دوما (مجلس) المدينة السابق ، ولا يزال قائما حتى الآن**. ويبدو انهم

* تمثال لاسال من صنع الفنان زيليت . **اناطولي لوناتشارسكي** (خطأ ذاكرة ا . ف . لوناتشارسكي : تمثال لاسال من صنع النحات سينايسكي) . — **الناشر** .

** كتبت الذكريات في عام ١٩٢٤ . — **الناشر** .

صبوه من البرونز . كذلك كان في منتهـى التوفيـق تمثال كارل ماركس بكامل قامته ، من صنع المثّال ماتفييف . ولسوء الطالع ،تحطم التمثال ، واستعيض عنه الآن في المكان ذاته اي قرب سمولني ، برأس برونزي لماركس من النوع العادي الى هذا الحد او ذلك ، دون الاعتماد على طريقة ماتفييف الاصيلة للتجسيد الجمالي الفني .

اما التماثيل التي نصبت في موسكو حيث كان في وسع فلاديمير ايليتش ان يراها ، فلم تكن موفقة .

وعلى العموم كانت التماثيل المرضية في موسكو قليلة . ولعل تمثال الشاعر نيكيتين خيرتها . انـا لا اعرف ما اذا كان فلاديمير ايليتش قد شاهدها بالتفصيل واحدا واحدا ، ولكنه قال لي ، على كل حال ، ببعض الاستياء ، ان الدعاية بالتماثيل لم تعط اي نتيجة . فأجبت مستشهدا بتجربة بتروغراد ، فهز فلاديمير ايليتش رأسه دليل شك وريب وقال : « ترى ، هل تجمعت جميع المواهب في بتروغراد ، وتجمع في موسكو غير الموهوبين ؟ » . ولم استطع ان افسر له هذه الظاهرة الغريبة .

وكان كذلك يرى ببعض الشـك الى لوحـة كوننكوف التذكارية . فقد كانت تبدو له غير مقنعة كثيرا . بل ان كوننكوف نفسه وصف انتاجه هذا

وصفا لا يخلو من الذكاء والفطنة اذ قال عنه انه «لوحة واقعية مزعومة» .

كذلك اذكر كيف اهدى الفنان التمان فلاديمير ايليتش نحتا ناتئا بصورة خالتورين . فاعجب النحت الناتئ فلاديمير ايليتش كثيرا ولكنه سألني ما اذا كان مستقبليا . وكان على العموم يقف من المستقبلية موقفا سلبيا . انا لم احضر حديثه في فخوتيماس ، حين عرّج ذات مرة مع ناديجدا قسطنطينوفنا على مسكنه . ففيما بعد ، رووا لي عن الحديث الكبير الذي دار بينه وبين الفخوتيماسيين الذين كانوا بالطبع «يساريين» كليا وتماما . وقد تخلص منهم فلاديمير ايليتش بالمزح ، وضحك منهم قليلا ، ولكنه اضاف انه لا يعتزم التحدث جديا في مواضيع كهذه لأنه يشعر بانه غير أهل كفاية لذلك . وقد وجد ان الشباب نفسه جيد جدا وفرح بميلهم الشيوعي .

ونادرا ما سنحت الفرصة لفلاديمير ايليتش في الحقبة الاخيرة من حياته للتمتع بالفن . وقد راح بضع مرات الى المسرح ، وبوجه الحصر ، على ما يبدو ، الى المسرح الفني الذي كان يقدره تقديرا رفيعا جدا . وكانت تمثيليات هذا المسرح تترك في نفسه دائما انطباعا كبيرا .

كان فلاديمير ايليتش يحب الموسيقى حبا قويا . وفي احدى الفترات ، كانت تقام في شقتي حفلات موسيقية

جيدة . كان شاليابين يغني احيانا ، وكان يعزف ميتشيك ، وورومانوفسكي ، ورباعي ستراديفاريوس ، وكوسيفيتسكي ، الخ .. وقد دعوت فلاديمير ايليتش مرارا عديدة ولكنه كان دائما مشغولا . وذات مرة قال لي صراحة : «يقينا ان من المستطاب جدا الاستماع الى الموسيقى ، ولكن تصور انها تحزنني . وانا اتحملها الى حد ما بصعوبة» . واذكر ان الرفيق تسوروبا ، الذي افلح مرتين في اجتذاب فلاديمير ايليتش الى حفلة موسيقية بيتية لعازف البيانو نفسه رومانوفسكي ، قال لي ايضا ان فلاديمير ايليتش تمتع كثيرا بالموسيقى ولكنه كان ، على ما بدا ، منفعلا .

وقد تأتى لي بضع مرات ان ابرهن للينين ان بلشوي تياتر يكلفنا رخيصا نسبيا ، ولكن ، نظرا لالحاحه ، خفضت مع ذلك الاعتمادات لهذا المسرح . وفي هذا المجال ، استرشد فلاديمير ايليتش باعتبارين . وقد سمّى فلاديمير ايليتش احدهما على الفور ، اذ قال : «لا يصح انفاق قدر كبير من المال على مثل هذا المسرح الفخم عندما لا يكفينا المال للانفاق على ابسط المدارس في القرى» . وقد بسط الاعتبار الثاني عندما عارضت في احدى الجلسات هجومه على بلشوي تياتر ، واشرت الى اهمية بلشوي تياتر الثقافية التي لا مراء فيها . آنذاك خزر فلاديمير ايليتش وقال : «ومع ذلك ، هذه قطعة من الثقافة الاقطاعية الصرف ، وضد هذا الامر لا يستطيع احد جدالا» .

ولكنه لا ينجم من هذا ان فلاديمير ايليتش كان على العموم عدوا لثقافة الماضي . فان كل لهجة الاوبرا المفخمة البلاطية كانت تبدو له اقطاعية صرف . اما فن الماضي على العموم ، والواقعية الروسية على الخصوص (بما فيها واقعية الجوالين * ، مثلا) ، فقد كان فلاديمير ايليتش يقدرهما رفيع التقدير .

هذه هي الوقائع التي استطيع سوقها من ذكرياتي عن فلاديمير ايليتش . واكرر قولي ان فلاديمير ايليتش لم يجعل ابدا من عطفه ونفوره الجماليين فكرة للتوجيه والقيادة .

ان الرفاق الذين يهتمون بالفن يتذكرون رسالة اللجنة المركزية في قضايا الفن ، الموجهة بصورة حادة جدا ضد المستقبلية (٤٦) . انا غير مطلع عن كثب في هذا المضمار ، ولكني اظن انه كانت هنا قطرة كبيرة من العسل سكبها فلاديمير ايليتش نفسه . ففي ذلك الوقت ، كان فلاديمير ايليتش يعتبرني ، اما من انصار المستقبلية ، واما انسانا متساهلا فائق التساهل حيالها ، ولهذا ، اغلب الظن ، لم يستشرني قبل اصدار قرار اللجنة المركزية هذا الذي كان لابدّ له ، برأيه ، ان يقوّم نهجي .

كذلك اختلف فلاديمير ايليتش معي اختلافا حادا

---

* الجوالون — فرقة من الرسامين الواقعيين الروس في النصف الثاني من القرن التاسع عشر أسموا هكذا لانتسابهم الى «جمعية المعارض الفنية الجوالة» . **المعرب** .

جدا بصدد «بروليتكولت» . بل انه انّبني ذات مرة بشدة . واقول بادئ بدء ان فلاديمير ايليتش لم ينكر اطلاقا اهمية حلقات العمال لأجل تخريج كتاب وفنانين من الوسط البروليتاري ، ولكنه كان يخشى كثير ان تسعى «بروليتكولت» الى الانكباب على اختلاق «علم بروليتاري» على العموم ، و«ثقافة بروليتارية» بكل مداها . واولا ، كان هذا يبدو له مهمة في غير حينها على الاطلاق وفوق الطاقة كليا ؛ ثانيا ، كان يعتقد انهم بمثل هذه الاختلاقات الفجة بالطبع يستبعدون العمال عن الدراسة ، عن تفهم عناصر العلم الجاهز والثقافة الجاهزة ؛ وثالثا ، كان فلاديمير ايليتش يخشى كذلك ، - وليس عبثا ، على الارجح ، - من ان يبني انحراف سياسي ما عشا له في «بروليتكولت» . فقد كان يكن ، مثلا ، قدرا كبيرا من النفور والعداء للدور الكبير الذي كان يضطلع به آنذاك أ . أ . بوغدانوف في «بروليتكولت» .

اثناء مؤتمر «بروليتكولت» في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٠ ، كلفني ، فلاديمير ايليتش بان اذهب الى المؤتمر وابين بوضوح انه يجب ان تكون «بروليتكولت» تحت اشراف مفوضية الشعب للتعليم وان تعتبر نفسها مؤسسة من مؤسسات هذه المفوضية ، الخ .. وبكلمة ، اراد فلاديمير ايليتش ان نربط «بروليتكولت» بالدولة . وفي الوقت نفسه اتخذ

التدابير لربطها كذلك بالحزب . والخطاب الذي القيته في المؤتمر حررته بلهجة مسالمة وباسلوب غامض وبقدر كبير من اللف والدوران ، واحالوه الى فلاديمير ايليتش بصيغة اكثر رخاوة ايضا . فدعاني اليه ووبخني بشدة . وفيما بعد اعيد تنظيم «برولتكولت» وفقا لتعليمات فلاديمير ايليتش .

ان التشكيلات الفنية والادبية التي تشكلت ابان الثورة قد غابت بمعظمها عن انتباه فلاديمير ايليتش . فلم يكن لديه من الوقت للاهتمام بها . ومع ذلك اقول ان كتاب «مائة وخمسون مليونا» لفلاديمير ماياكوفسكي لم يعجب فلاديمير ايليتش قطعا . فقد وجد هذا الكتاب مقرفعا* .

ولا بدّ من الأسف لأنه لم يستطع ان يبدي رأيه بانعطافات نحو الثورة اوفر نضجا قام بها الادب فيما بعد .

والجميع يعرفون ما كان يبديه فلاديمير ايليتش من اهتمام بالغ بالسينما .

ترجم نقلا عن كتاب
أ . ف . لوناتشارسكي
«ذكريات عن لينين» ،
بارتيزدات ، ١٩٣٣ ،
ص ص ٤٦-٥١

---

* ولكن قصيدة صغيرة لماياكوفسكي عن البيروقراطية اضحكت فلاديمير ايليتش كثيرا بل انه كان يردد بعضا من ابياتها . — ا . **لوناتشارسكي** .

... قال لي لينين في حديث خاص عندما طلبت منه – «اعطني مالا لدعم مسارحنا الاختبارية لأنها مسارح جديدة وثورية» – «لتتدعم المسارح الاختبارية في زمن المجاعة على بعض الحماسة . فمن الضروري اطلاقا بذل جميع الجهود لكي لا تتداعى الاعمدة الاساسية لثقافتنا لأن البروليتاريا لن تغفر لنا هذا» . كان لينين يتمسك بوجهة النظر القائلة انه ينبغي لنا ان نحرص في المقام الاول على ان لا تنهار المتاحف التي تحفظ القيم العظيمة وعلى ان لا يجوع كبار الاختصاصيين ويهربوا الى الخارج . وكان يعتبر اننا اذا انتظرنا حتى يحين الوقت لتقديم الشباب المختبر الى المرتبة الاولى ، كان ذلك شرا اهون .

ترجم نقلا عن مجموعة
«آراء لينين في الثقافة
والفن» ، دار ايزوغيز ،
١٩٣٨ ، ص ٣١٠ .

... في عام ١٩١٨ ، كان هجوم جماعة «بروليتكولت» على مسرح الكسندرينسكي قويا . وكنت شخصيا قريبا من «بروليتكولت» ، وفي آخر المطاف ، حيرتني بعض الشيء المطالب الملحة بوضع حد «لعش الفن الرجعي» .

فقررت ان استشير فلاديمير ايليتش ذاته ...

... وهكذا ، جئت الى فلاديمير ايليتش في مكتبه ، ولكني لا اذكر بدقة في اي يوم ، الا ان ذلك كان على كل حال في موسم ١٩١٨ ـ ١٩١٩ ؛ وقلت له اني انوي بذل جميع الجهود لأجل الحفاظ على خيرة مسارح البلد كلها . واضفت قائلا : «يقينا ان برامجها لا تزال بعد قديمة ، ولكننا سنطهرها فورا من كل درن . ان الجمهور ، والجمهور البروليتاري على وجه الدقة ، يمضي الى هناك بطيبة خاطر . ان هذا الجمهور وكذلك الزمن نفسه سيجبران حتى اشد المسارح نزوعا الى المحافظة على التغير تدريجيا . وبرأيي ان هذا التغير سيحدث بصورة عاجلة نسبيا . وانا اعتبر ان من الخطر اجراء تحطيم مباشر هنا : فليس عندنـــا بعد في هذا الميدان اي بديل . وذلك الجديد الذي سينشـــأ وينمو ، قد يفقد ، اغلب الظن ، الخيط الثقافي . ذلك انه لا يجوز ، اذا اخذنا بعين الاعتبار ان موسيقى المستقبل غير البعيد ستصبح ، بعـــد انتصار الثورة ، بروليتارية واشتراكية ، ــ ذلك انه لا يجوز الافتراض انه يمكن اغلاق الكونسرفاتوارات والمدارس الموسيقيـــة واحراق الادوات والنوطـات «الاقطاعية البرجوازية» القديمة» .

اصغى الي فلاديمير ايليتش بانتباه واجاب بانه ينبغي لي ان اتمسك بهذا النهج بالذات ، شرط الا انسى

دعم الجديد الذي يولد بتأثير الثورة . ولا بأس اذا كان ذلك في البدء ضعيفـــا : فهنـــا لا يجوز اللجوء الى المحاكمات الجمالية وحدها ، والا كبح الفن القديم ، وهو اوفر نضجـــا ، تطور الفن الجديد ؛ صحيح ان الفن القديم سيتغير ، ولكن تغيره سيتباطا بقدر ما تخف مزاحمة الظاهرات الجديدة له .

فاسرعت اؤكد لفلاديمير ايليتش اني سابذل قصارى الجهد لاجتناب خطأ كهذا . وقلت له : «ولكنه لا يجوز السماح للمهسترين والمشعوذين الذين يحاولون الآن باعداد كبيرة جدا الالتحاق بسفينتنا ، بان يضطلعوا ، بواسطة قوانا ذاتها ، بدور لا يليق بهم ويلحق بنا الاذى» .

جوابا عن هذا ، قال فلاديمير ايليتش حرفيا ما يلي : «فيما يخص المهسترين والمشعوذين ، انت على تمام الحق . فان طبقة المنتصرين ، ناهيك بانها اذا كانت طبقة لا تزال بعد قواها المثقفة الخاصة غير كبيرة عدديا ، تغدو حتما ضحية هذه العناصر اذا لم تق نفسها منها» . واضاف لينين مستضحكا : «وهذا الى حد ما نتيجة لا مندوحة عنها ، بله علامة النصر» .

فقلت : «يعني ، اذا اوجزنا على النحو التالي ، انه يجب الاحتفاظ بكل ما هو لائق في الفن القديم . اما الفن غير المتحفى ، الفن الفعّال اي المسرح والادب والموسيقـــى ، فيجب ان تخضـــع لبعض التاثير غير

الفظ بغية تطويرها بأسرع وجه من اجل الاستجابة للحاجات والمقتضيات الجديدة . ويجب النظــــر الى الظاهرات الجديدة بعين نقــادة ، محللــة . ويجب الحيلولة دونها ودون الانصراف الى الاستيلاء . يجب افساح المجال امامها لكي تظفر لنفسها بمكان ابرز فأبرز بفضل مآثرها الفنية الفعلية . وفي هذا المضمار يجب ، بقدر الامكان ، تقديم العون لها » .

فقال لينين : « برأيي ان هذه صيغة دقيقة جدا . فحاول ان تفسرها لجمهورنا ، وكذلك على العموم للجمهور في خطاباتك ومقالاتك » .

فسألت : «وهل بوسعي الاستشهاد بك في هذا الصدد ؟»

«وما الداعي ؟ انــا لا اقول عن نفسي باني اختصاصي في شؤون الفن . وما دمت مفوضا للشعب ، فانه ينبغي ان يكون لديك مــــا يكفي من المكانــة والنفوذ» .

وهنا انتهى حديثنا . . .

ترجــم نقلا عن مقــال
أ . ف . لوناتشارسكـــي ،
«الذكرى المئويـــة لمسرح
الكسندرينسكي» في كتاب :
قسطنطين درجافين ،
«عهود حلبة الكسندرينسكي» .
لينغيخــــــل ، ١٩٣٢ ،
ص ٩ــ١١ .

من ذا الذي لا يعرف ان لينين علق اهمية كبيرة على الثورة الثقافية ؟ وقد تكلم عن ذلك احيانا كثيرة جدا بعد ثورة اكتوبر . تكلم علنا في المؤتمرات عن مختلف فروع التعليم العام ؛ وفي خطابه الشهير امام الكومسومول ؛ وكتب عن ذلك في مقالاته ، عائدا المرة تلو المرة الى موضوع المهام الثقافية التي تواجه الثورة ، واعار هذا الموضوع قدرا كبيرا من الانتباه في الصفحات الاخيرة التي كتبها بيده .

هذا مع العلم ان لينين لم يهتم فقط بمسألة اشكال الثقافة الاشتراكية في الاعوام التي سيتم فيها احراز النصر على الجبهات السياسية والاقتصادية ، ويتجلى فيها بكل عظمته وجلاله نمط المعيشة الجديد الذي وصفه ماركس بانه «حياة جديرة بالانسان» والذي اعتبر كل تاريخ البشرية بالنسبة له مجرد مرحلة تحضيرية .

ان لينين لم ينكر البتة «الاحلام» ولكنه كان لا يحب ان يسمح لها بالتحليق بعيدا اكثر من اللزوم الى امام . وكان يردد احيانا بابتسامة ، عندما كان احد ما يطرح عليه مسألة من المستقبل البعيد : «أوتعرف ، ان الناس سيكونون آنذاك اذكياء جدا وسيحلون جميع هذه المسائل بروعة ، اما نحن ، فدعنا نعود الى المسائل التي لا يستطيع احد غيرنا ان يحلها» .

كان لينين يهتم بالثقافة في المقام الاول ليس باعتبارها تتويجـا للانتصـارات السيـاسيـة والاقتصادية ، مع انه كان يدرك واضح الادراك ان الثقافة الاشتراكية بالذات ونمط المعيشة الاشتراكي همـا اللذان يوضحان اخلاقيـا في عيني كل مناضل وبنّاء تلك الجهود والتضحيات التي يتطلبها التاريخ بمقادير كبيرة جدا قبل ان يترسخ المجتمع اللاطبقي على الارض .

كان لينين يهتم في المقام الاول بتلك الثقافة التي هي مقدمة ضرورية لا غنى عنها لأجل الظفر بالثقافة الاشتراكية المكتملة ولأجل توطيد الانتصارات السياسية ولأجل بناء الاقتصاد الاشتراكي بنجاح في بلادنا .

ولقد اشار لينين بكامل البلاغة والقوة الى انه كان من الاسهل بكثير علينا ان نناضل ونبني لو اننا ورثنا بعد الاطاحة بالنظام الملكي والطبقات السائدة ثقافة برجوازية اكثر تطورا .

ومرارا عديدة ، كرر لينين ان هذه الثقافـة البرجوازية تسهل على بروليتاريـا البلدان الغربية امكانية التعجيل ، بعد انتصارها ، ببناء الاشتراكية بصورة فعلية وكاملة .

ان الظلام الآسيوي الذي خيّم فوق بلادنا حتى انتصار البروليتاريا في اكتوبر ، والذي لم نقض عليه بعد ، حتى في ايامنا هذه ، كان دائمـا يبدو للينين

عقبة جوهرية تعترض سيرنا بنجاح وسرعة في طرق بناء الاشتراكية .

ذلك ان التصنيع عندنـــا عنى ويعني حتى الآن بناء الاقتصـــاد الاشتراكي في وقت واحد مع توفير مستوى من التطور العام والتكنيكي تبقى الاشتراكية بدون الوصول اليه مجرد اضغاث احلام .

ويتبدى ذلك بمزيد من الدقة امـــام الانظار في ميدان سياستنا الريفية وسياستنا الاقتصادية الزراعية على العموم . فأي قفزات هائلة في المجال الاقتصادي ينبغي القيام بها في الريف لكي يغدو بامكاننا ان نستنبت ونربي في تربته اشكالا اشتراكية صرفا من الاقتصاد والحياة .

والى هذا بالذات ، اتجهت كذلك هموم لينين فيما يخص الثقافة الابتدائية ، الاولية .

ولكنه يخطئ فادح الخطأ ذاك الذي يستخلص من كل هذا استنتاجا مبسطا مفاده ان لينين كان « مثـِقـّفا » .

وكيف ، ترى ، ألم يقل لينين : السلطة السوفييتية مضافة اليها الكهرباء ، مضاف اليها تثقيف الجماهير ؟

قال . ولكنه لو كان « مثـِقـّفا » ، لكان قال على الأرجح : في البدء التعليم ، ثم الكهربة ، ثم ، من الممكن ، تدريجيا وفي حينه اشكال من الحرية والتنظيم حتى السلطة السوفييتية ضمنا .

ولكنه لم يقل هذا يوما ، وليس ذلك وحسب ، بل ناضل بلا كلل ضد الذين يقولون هذا القول ، وسخر منهم ، وانهال عليهم بوابل من التهكمات الزاخرة بالغضب والازدراء .

لماذا لم يكتسب التعليم والكهربة على السواء معنـاهما الحقيقي بالنسبة للينين الا **بعد** السلطة السوفييتية ؟

الكهربة ، أغلب الظن ، للسبب التالي وهو انها لم تبق كهربة برجوازية . يقينا ان الكهربة البرجوازية ايضا ما كانت لتشكل عقبة لو اننا وجدنا هذه او تلك من ثمارها في يوم انتصار الثورة ، ولكنها كانت اتسمت مع ذلك بمعنى آخر تماما . فبما انها كانت عاملا طاقيا كبيرا ، لاصبحت آنذاك عاملا لاستثمار الانسان من قبل الانسان استثمارا قاسيا ، بل لأمكن لها — في ظروف معينة — ان ترمز الى ترسيخ هذا الاستثمار ، الى تسليح الطبقة السائدة بسلاح اضافي .

والدور نفسه تقريبا يضطلع به «التعليم» الذي تتلقاه الجماهير قبل الثورة . يقينا انه ليس من السيئ ايجاد شعب على درجة عالية من التعليم في يوم انتصار الثورة ، ولكن هذا التعليم يختلف مع ذلك كليا عن تعليمنا ، وقد أعطي نصفيا للعمال وللفقراء في الريف لأجل استثمارهم على نحو افضل ، ونصفيا لأجل خداعهم بمزيد من السهولة . ونحن

نرى كيف يستغل اولئك المناشفة انفسهم «التعليم» اثر الكهنة والى جانبهم ،– وليس بدون نجاح ، وان موقتا بالطبع ،– وذلك لأجل كبح تطور الادراك العمالي تطورا حقيقيا .

ولقد اكتسبت الثقافة وابسط صور التعليم في عيني فلاديمير ايليتش بعد اكتوبر معنى جديدا تماما ، واخذ يتصورها باشكال جديدة تماما .

ويقينا انه سخر من اولئك الخياليين والمتسرعين الذين كانـــوا يعتبرون انـــه يمكن اطلاق الثقافـــة البروليتارية دفعة واحدة كأنما من مسدس ، واسعاد البروليتاريا والفلاحين بثقافة جديدة براقة لن يشبه فيها شيء على الاطلاق ما كان سابقا ، ابتداء من حرف «أ» حتى القاطرة والمدفع .

وهذا مع انه لا ضمانة بان الاحرف الجديدة ستكون ممكنة القـــراءة ، وبـــان القاطرة الجديدة ستقودنا الى حيث ينبغي ، وبان النموذج البروليتاري الجديد من المدافع سيستطيع ان يواجه المدفعية المعادية البرجوازية .

فكيف كان في مستطـــاع فلاديمير ايليتش ألاّ يغضب ويضحك عندما يشهد بأم عينيه غباوات تشبه كليا تقريبا هذه الغباوات التي بسطتها انا هنا ؟

كلا . ان فلاديمير ايليتش كان يعرف انه يتعين علينا ان ننكب على الدراسة بجد واجتهاد ومثابرة وان

نستخلص من الحكمة البرجوازية ومن تكنيكها كل ما يمكن ان يكون نافعا لنا من اجل القضاء على البرجوازية وتشييد عالمنا نحن .

ولكنه كان يعرف جيدا جدا في الوقت نفسه انه لا يمكن ان نتعلم من البرجوازية **كل** ما نحتاج اليه . كان يعرف انه يوجد عندنا ما يخصنا نحن وحدنا ، ما نبذته البرجوازية وحكمت عليه ولعنته . عندنا حقائقنا الطبقية الخاصة ، وموقفنا الثوري الجديد من العالم ، من الادراك والمعرفة ، من التاريخ ، من الحاضر والمستقبل .

وقد ألح لينين ، من وجهة النظر هذه ، على ان يكون تعليمنا نفسه ، ابتداء من اول كلمة يقرأها الطفل او امه غير المتعلمة في مركز تصفية الامية ، مختلفا تماما ، مفعما بروح اخرى ، على ان يدفع الادراك في اتجاه آخر تماما .

وفضلا عن ذلك ، علّمنا لينين انه يجب ان تكون طرائق تعليمنا والتعليم الذاتي مختلفة ايضا . فلا يجب فقط استبعاد كل كذب وخداع ، وجميع اوهام وغباوات البرجوازية ، المقصودة وغير المقصودة ، بل يجب ايضا ألاّ يسير استيعاب المواد على السبيل الكتبي البرجوازي ، بل على صلة في منتهى العمق بنشاطنا الاشتراكي العملي اليومي .

اغلب الظن ان في وسع هذا المعلم البرجوازي التقدمي او ذاك ايضا ان يقول : «تعلم وانت تعمل ، واعمل

وانت تتعلم» . ولكن فرقا يقوم هنا ، مفاده ان هذا العمل ليس بنظر لينين غير عنصر من عناصر النشاط **الاشتراكي** ، وان هذا التعلـــم وهذا النشاط العملي يؤلفان جزئين لا يتجزآن من الاشتراكية المتناميـــة عندنا بعد اكتوبر .

اجل . بدون رفع مستوى التعليـــم ، بدون الدراسة ، يستحيل علينا ان نوطد مواقعنا السياسية بادراك طبقي واضح وعالي المستوى تكتسبه جماهير البروليتاريا والفلاحين الفقراء .

اجل . بدون هذا التعليم ، بدون هذه الدراسة ، يستحيل تطوير الصناعة بوتيرة سريعـــة وتحويل الريف الفردي الذهنية الى ريف كولخوزي ، جماعي ، تعاوني .

ولكنه لا يجوز ، وان لثانية واحدة ، اذا شئتم الا تقترفوا خطأ فادحـــا ، فصل هذا التعليـــم وهذه الدراسة عن نضالنا السياسي ، عن نضالنا الاقتصادي ، عن تصنيعنا ، عن تحويل استثماراتنا الفلاحية الى استثمارات تعاونية ، جماعية .

وهذا واضح الآن كما كان واضحا من كلمات لينين في اولى الاشهر التي عقبت الثورة .

ولكن الوقت يسير الى امام . و «الظرف الجاري» الشهير يجري بسرعة عاصفـــة . ونحن لم نشهـــد بعد انه أضر في مجراه باي من مبادئنا ، بيد ان نهر

الزمن المتدفق يطرح علينا ، عند كل انعطاف ، تارة مهام جديدة ، وطورا مهام قديمـــة بمظهر جديد .

واذا ما تساءلنا الآن : ما الذي يبرز في المرتبة الاولى بالذات من التعليم العظيم الذي تركه لنا لينين بصدد الجانب الثقافي من ثورتنا الاشتراكية ، ما الذي اصبح اهم عنصر بين العناصر الملازمة للينينية الآن ، والملازمة لها من قبل ايضا بالطبع ، فانـــه يترتب علينا ان نقول : ان مسألتين قد اقتربتا منّا بقوة لا سابق لها وخارقة الالحاح ، هما **مسألـــة الملاكات ومسألة تأزم النضـــال الطبقي في الميدان الثقافي** .

ولكن ، ترى ، هل كان ثمة وقت ما لم ينشغل فيه بال لينين بمسألة الملاكات ؟ ترى ، ألم نسمع نحن من على لسانه نصائح عميقة عن كيف تجب صيانة الملاكات القديمة وكيف يجب استخدامها لأجل انشاء وتطوير ملاكات جديدة ؟ ترى ، ألم نسمع منه كذلك كيف ينبغي التعجيل بفتح كل جهاز التعليم ، بمـا فيه مؤسسات التعليم العالي ، امام الشباب من العمال والفلاحين لأجل تكوين ملاكات جديدة لنا بالذات من المثقفين كافية كما وكيفا ، لأجل تكوينهـا بأسرع وقت ؟ ترى ، ألم نسمع نحن منه كيف ينبغي تربية هذه الملاكات بعناية لكي لا تتباهى بمعارفها ، ولا تستسلم لمؤثرات غريبة ، لكي تدرك انها عظم من

عظام الشغيلة ودم من دمائهم ، وانه يجب عليها ان تضرب المثل في سمو الوعي الاجتماعي ونكران الذات ؟
كل هذا سمعناه من لينين .

ولكن الوقت يركض بسرعة عاصفة . ان ابعاد بنائنا هائلة ، وقد برزت مسألة مفادها ألاّ يأتي **الانسان** عندنا في الذنب في ظل صناعتنا المتنامية وفي ظل تجهيزاتنا الآلية ، ألاّ يتأخر عن تعقد وترقي الآلات والاساليب ، وألاّ يقف امامها نصف همجي من الناحية التكنيكية ، محاولا ان يتغلب بيديه غير الحاذقتين على معاونه العاصي على عقله .

ان القرارات التي اتخذتها الدورة الاخيرة للجنة المركزية بشان الملاكات تتسم بسمة لينينية عميقة . ولكنه واضح لكل امرئ اي جهود فوق طاقة البشر تقريبا ينبغي بذلهـا ، سواء من جانب المنظمين ام من جانب الاساتذة ام من جانب الشباب ، لكي تنفذ في حينها المهمة العملاقة التي رسمتها اللجنة المركزية امامنا بخطوط جريئة وصحيحة .

لقد حذر لينين من ان العدو سيكون قويا بخاصة في ميدان الثقافة (والمعيشة !) ، وانه سيكون هنا «ماكرا ، حاذقا ، عنيدا» .

كان زمن وحاربنا . والآن ايضا لا نعد باننا لن نحارب . ولكنه ينبغي لنا الآن اكثر مما في اي وقت مضى طرد العدو من المواقع **الثقافية** . ينبغي لنا الاّ

نكتفي حتى باحتلال قمـــم القيادة والاشراف ، بل ينبغي لنا ان نستولي على ارض العدو كلها .

ان الكولاكي وجميع من انتشروا حوله على نطاق واسع ، بمن فيهم اكاديمي ما اوروبي الاسم وبطريركي الشيب ، وكاتب حقود ، سريع الغضب ، يطلي لنـــا البوابـــة بالقطران بصورة حاذقة بحجـــة الاخلاص للحقيقة الفنية ، والمعلم الذي يدس خلسة نكات ضد السامية ، والوبش الذي شرب بآخر بنطلوناته ويروي بصوت ابح حماقة شريرة في جمع في السوق ، - جميع هؤلاء يحاولون داخل بلادنا ان يحفظوا انفسهـــم وبعضهم بعضا في المواقع القديمة وان ينشروا سمهم حولهم ، داسّينـــه ، حسب الامكان ، سواء للفلاح المتوسط المتذبذب ام لفئات المستخدمين المتقلقلة ، ام للشباب الذي لم يستقر مصيرهم بعد ولم تنتظـــم احوالهم .

احيانا لا يقع امام انظارك غير لوحة زرقاء سماوية او برتقالية ، ولكنك عندما تحدق فيها ، فانها تتكشف ، واحيانا حتى لصاحبهـــا غير الواعي تماما ، قطعة من هذا الغاز الخانق ، الكريه ، الكثيف الذي تنفثه الثقافة المعادية للبروليتاريا .

وهنا لا بدّ من يقظة هائلة . لا بدّ من مهارة في التنظيف لا حازمة وحسب بل دقيقة ايضا . ولا ينبغي لنا ولا يمكننا ان نكون مبددين ، انما ينبغي لنـــا

ان نعرف اين تقع القروح التي يتعين بترها وحرقها واين ما يمكن علاجه ، وما يجب الصبر عليه غصبا عنّا ، طالما لم نستعض عنه بجديد ، خاص بنا . ينبغي ان نعرف من يصح ان ندعمه ، ونعلمه ، ونوبخه في حينه كما يجب .

ينبغي ان يصون الاحتراس اليقظ ابداعنا الثقافي في جميع ميادين الفلسفة الماركسية والميتودولوجية ، - في العلوم الاجتماعية ، في اصلاح علم الطبيعيات ، وعلم التربية النظرية والعملية ، وتاريخ الفن ، واخيرا في شكل منتجات الابداع الفني بالذات ، هذا الابداع الذي يجلبب افكارنا ومشاعرنا ويستحوذ بصورة واسعة على الجماهير التي تنمو بسرعة عاصفة .

في مجرى بنائنا ، اقتربنا من لحظات مهيبة كتلك التي لم ترتسم للينين الا في «حلمه» المنفلت ، الارضي والعملي كليا ، والتي ارتسمت بوصفها مستقبلا قريبا جدا لم يتسنّ مع ذلك ليد الثوري الاعظم ان تصل اليه .

ذلك اننا نبدأ ببناء مدننا الاشتراكية ! ذلك اننا نبدأ ببناء مدننا الزراعية ! ذلك اننا نبدأ ببناء ذلك الوضع المادي ، «الوسط» المادي المجدد كليا الذي سيسهل فيه فائق السهولة على الانسان ان يتغير ، وينفصل عند آدم القديم ويتحول الى انسان جديد .

ان البروليتاري ، اذ يغير الاشيــاء حوله في سياق نضاله الثوري ، ـ كما علم ماركس ولينين ، ـ انما يغير نفسه ايضا .

ولقد غير الاشياء حوله من جوانب كثيرة . ومن جوانب كثيرة اعاد صنع نفسه ايضا . ولقد نما الآن الى حد ان في مستطاعه ان يشرع في بعض الاماكن بالشاء نمط معيشة اشتراكي حقا الشاء دائبا ومنتظما كليا .

وباي فرح كان نظر زعيمنا الى هذا ! ولكنه يجب ان نقرّ بما يلي : اذا تناول الكلام الفرد ، فان البنّاء الرئيسي لكل مدينة اشتراكية ، لهذه البلورة العالية التكوين والسامية التشكيل للثقافة الاشتراكية سيكون مع ذلك هو نفسه ، فلاديمير ايليتش لينين .

ترجـم نقــلا عن مقــال
أ . ف . لوناتشارسكي
«آراء لينين في الثقافــة» ،
«البرافدا» ، ٢١ كانون الثاني
(يناير) ١٩٣٠

ملاحظات

١ — كتب لينين مقال **«مصادر الماركسية الثلاثة واقسامها المكونة الثلاثة»** بمناسبة الذكرى الثلاثين لوفاة كارل ماركس . — ص ٥

٢ — راجع فريدريك انجلس «لودفيغ فورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الالمانية» ، فريدريك انجلس «ضد دوهرينغ» ، كارل ماركس وفريدريك انجلس «بيان الحزب الشيوعي» . — ص ٧

٣ — **المئة السود** . هكذا كانوا يسمون العصابات الملكية التي نظمها البوليس القيصري من اجل مكافحة الحركة الثورية . كان المئة السود يغتالون الثوريين ، ويطاردون المثقفين التقدميين ، وينظمون مذابح اليهود . — ص ١٤

٤ — **«البوند»** . هكذا باختصار كانوا يسمون «الاتحاد العام للعمال اليهود في ليتوانيا وبولونيا وروسيا» . تأسس البوند عام ١٨٩٧ وكان يضم في الغالب العناصر نصف البروليتارية من الحرفيين اليهود في المقاطعات الغربية من روسيا . كان البوند حامل وناقل التعصب القومي والانفصالية في الحركة العمالية في روسيا .

في آذار (مارس) ١٩٢١ ، حل البوند نفسه بنفسه . — ص ١٥

٥ — **«الكاديت»** — اعضاء الحزب الديموقراطي الدستوري ، الحزب الرئيسي للبرجوازية الملكية الليبيرالية في روسيا . انشئ حزب الكاديت في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠٥ ؛ وقد انتسب اليه ممثلو البرجوازية والملاكين العقاريين والمثقفون البرجوازيون .

وتضليلا للجماهير الشغيلة اتخذ الكاديت لانفسهم اسما مزيفا هو «حزب حرية الشعب» ، ولكنهم لم يمضوا في الواقع الى ابعد من مطلب الملكية الدستورية .

في سنوات الحرب العالمية الاولى (١٩١٤—١٩١٨) ، دعم الكاديت بنشاط السياسة الخارجية الاغتصابية التي سلكتها الحكومة القيصرية . في مرحلة ثورة شباط (فبراير) ١٩١٧ البرجوازية الديموقراطية حاولوا انقاذ الملكية . بعد انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية ، عمل الكاديت كاعداء ألداء للسلطة السوفييتية واشتركوا في جميع الفتن المسلحة ضد الثورة وفي جميع حملات المتدخلين . بعد تحطيم المتدخلين والحرس الابيض ، هاجر الكاديت الى الخارج . وهناك لم يكفوا عن نشاطهم ضد الثورة وضد السلطة السوفييتية . — ص ١٨

٦ — **الشعبي** — نصير الشعبية ، وهي تيار فكري وسياسي انبثق في روسيا في السبعينيات من القرن التاسع عشر . زعم الشعبيون ان الرأسمالية في روسيا هي ظاهرة «عرضية» ، وتبعا لذلك انكروا دور الطبقة العاملة القيادي

في الحركة الثورية . واعتبروا الفلاحين القوة الثورية الرئيسية ، والمشاعة الفلاحية اساس تطور الاشتراكية ؛ ولكن اشتراكية الشعبيين لم تكن تمت باي صلة الى الاشتراكية العلمية لانها لم تكن تعتمد على التطـــور الموضوعي للمجتمـــع . انطلق الشعبيون من النظرة الخاطئة الى دور النضال الطبقي في التطور التاريخي ، معتبرين ان التاريخ من صنع الافراد البارزين ، من صنع « الابطال » الذين تسير وراءهم الجماهير الشعبية ، « الجموع » بصورة هامدة . وفي النضال ضد القيصرية ، لجا الشعبيون الى تاكتيك الارهاب الفردي . ـ ص ١٨

٧ ـ **مجلس النبلاء المتحدين** ـ منظمة اقطاعية معادية للثورة دامت من ايار (مايو) ١٩٠٦ حتى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٧ . كان هدف المنظمة الاساسي هو الدفاع عن نظام الحكم المطلق وملكية الارض الاقطاعيـــة الكبيـــرة وامتيازات النبلاء . ـ ص ١٩

٨ ـ **الديسمبريون** هم الثوريون الروس النبلاء الذين قاموا في كانون الاول (ديسمبر) ١٨٢٥ بانتفاضة على الحكم المطلق . حطمت القوات القيصرية الانتفاضة ؛ وكان عقاب المشتركين في الانتفاضة الاعدام او الاعمـــال الشاقـــة في سيبيريا . ـ ص ٢٠

٩ ـ **اللانبلاء** ـ ممثلـــو المجتمع الروسي المتعلمون ، المتحدرون لا من النبلاء ، بل من البرجوازيين الصغار ورجال الدين والتجار والفلاحين . ـ ص ٢٠

١٠ ـ اقتباســـا من كتـــاب تشيرنيشيفسكـــي « تمهيد » . ـ ص ٢٠

١١ ـ راجع فريدريك انجلس «الادب المهجري» . ـ ص ٢١

١٢ ـ سمي كارل ماركس وفريدريك انجلس اتباع الاشتراكي الالماني البرجوازي الصغير لاسال «بالاشتراكيين الملكيين-البروسيين» نظرا لأنهم روجوا لفكرة تطبيق الاشتراكية في بروسيا بواسطة الحكومة الملكية . وقد تلقى اللاساليون من رئيس هذه الحكومة المستشار بيسمارك وعودا كاذبة باجراء بعض الاصلاحات . فكفوا عن النضال ضد الملكية البروسية والاريستقراطية الزراعية البروسية . انتقد ماركس وانجلس اللاساليين انتقادا شديدا لخيانتهم هذه لقضية الطبقة العاملة . ـ ص ٢٣

١٣ ـ **اليونكر** ـ طبقة من كبار ملاكي الاراضي النبلاء في بروسيا . ـ ص ٢٣

١٤ ـ المقصود هنا الحرب الامبريالية العالمية الاولى ١٩١٤-١٩١٨ . ـ ص ٢٦

١٥ ـ يستشهد لينين «بمقدمة لكراس بوركهايم «على ذكرى الوطنيين الصياحين من عامي ١٨٠٦ و١٨٠٧» » التي كتبها انجلس في ١٥ كانون الاول (ديسمبر) ١٨٨٧. ـ ص ٢٦

١٦ ـ راجع فريدريك انجلس . «المسألة الفلاحية في فرنسا والمانيا» . ـ ص ٣١

١٧ ـ راجع كارل ماركس . «الحرب الاهلية في فرنسا» . ـ ٣٤

١٨ ـ راجع فريدريك انجلس . «المسالة الفلاحية في فرنسا والمانيا» . ـ ص ٣٥

١٩ ـ **معاهدة صلح بريست** ـ عقدت في بريست ـ ليتوفسك في آذار (مارس) ١٩١٨ بين روسيا السوفييتية والمانيا بشروط قاسية فوق العادة بالنسبة لروسيا .

اضطرت الحكومة السوفييتية الى التوقيع على معاهدة بريست لأن الجيش القيصري القديم تفسخ ، بينا الجيش الأحمر بدأ يتشكل للتو . ان معاهدة بريست ، رغم كل ارهاقها ، اعطت البلاد السوفييتية فترة استراحة ضرورية واتاحت لها الخروج لبعض الوقت من الحرب وتكديس القوى لأجل تحطيم البرجوازية المعادية للثورة والمتدخلين في الحرب الاهلية التي بدأت بعد حقبة وجيزة .

بعد الثورة في المانيا (تشرين الثاني ـ نوفمبر ١٩١٨) ، الغيت معاهدة صلح بريست . ـ ص ٣٥

٢٠ ـ **السبارتاكيون** ـ اعضاء منظمة الاشتراكيين ـ الديموقراطيين اليساريين الالمان الثورية . تاسست فرقة «سبارتاك» في بداية الحرب الامبريالية العالمية من قبل كارل ليبكنخت وروزا لوكسمبورغ وفرانز مهرينغ وكلارا زيتكين ويوليان مارخليفسكي وليو يوغيهيس (تيشكا) ـ وولهلم بيك . قام السبارتاكيون بالدعاية الثورية بين الجماهير ونظموا اعمالاً جماهيرية ضد الحرب وقادوا الاضرابات وفضحوا طابع الحرب العالمية الامبريالي وخيانة زعماء الاشتراكية ـ الديموقراطية الانتهازيين .

في نيسان (ابريل) ١٩١٧ انضم السبارتاكيون الى الحزب الاشتراكي ـ الديموقراطي الالماني المستقل الوسطي

ولكنهم احتفظوا باستقلالهم التنظيمي فيه . في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨ ، ابان الثورة في المانيا ، تنظم السبارتاكيون في «اتحاد سبارتاك» ونشروا في ١٤ كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٨ برنامجهم ، وقطعوا صلتهم «بالمستقلين» . وفي المؤتمر التاسيسي المنعقد في ٣٠ كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٨–اول كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ ، انشأ السبارتاكيون الحزب الشيوعي الالماني . — ص ٥٢

٢١ — **المناشفة** — تيار انتهازي في الاشتراكية-الديموقراطية الروسية .

اثناء انتخابات الهيئات المركزية في المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي الروسي المنعقد في عام ١٩٠٣ ، نال الاشتراكيون-الديموقراطيون الثوريون برئاسة لينين الاغلبية (بالروسية : «بولشنستفو» ومعناها الاغلبية ، ومن هنا تسمية «البلاشفة») ونال الانتهازيون الاقلية (بالروسية : «منشنستفو» ومعناها الاقلية ، ومن هنا تسمية «المناشفة») .

في مرحلة ثورة ١٩٠٥–١٩٠٧ ، عارض المناشفة زعامة الطبقة العاملة في الثورة ، وتحالف الطبقة العاملة مع الفلاحين ، وطالبوا بالتوافق مع البرجوازية الليبيرالية التي كان ينبغي ، برأيهم ، منحها قيادة الثورة . في سني الردة الرجعية التي عقبت هزيمة ثورة ١٩٠٥–١٩٠٧ ، اصبحت اغلبية المناشفة من دعاة التصفية : فقد طالبوا بتصفية حزب الطبقة العاملة الثوري السري . بعد انتصار الثورة البرجوازية الديموقراطية في شباط (فبراير) ١٩١٧ ، دخل المناشفة الحكومة الموقتة البرجوازية ، ودعموا سياستها

الامبريالية وناضلوا ضد الثورة الاشتراكية الجاري تحضيرها . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية تحول المناشفة الى حزب معاد للثورة بصورة سافرة نظم واشترك في المؤامرات والفتن الرامية الى الاطاحة بالسلطة السوفييتية .

الاشتراكيون-الثوريون – حزب برجوازيين صغار ، انبثق في روسيا في اواخر سنة ١٩٠١ – اوائل سنة ١٩٠٢ بنتيجة توحيد مختلف الجماعات والحلقات الشعبية . لم ير الاشتراكيون-الثوريون الفروق الطبقية بين البروليتاريا والمالك الصغير وطمسوا التمايز الطبقي في داخل الفلاحين ، بين الفلاحين الكادحين والكولاك وانكروا دور البروليتاريا القيادي في الثورة .

وبعد انتصار ثورة شباط (فبراير) البرجوازية الديموقراطية في سنة ١٩١٧ ، كان الاشتراكيون-الثوريون مع المناشفة والكاديت الدعامة الرئيسية لحكومة البرجوازيين والملاكين العقاريين الموقتة المعادية للثورة واشترك زعماء الحزب (كيرنسكي وافكسينتييف وتشيرنوف) في هذه الحكومة .

ألف الجناح اليساري في حزب الاشتراكيين-الثوريين في اواخر تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩١٧ حزب الاشتراكيين-الثوريين اليساريين المستقل . ونظرا لرغبة الاشتراكيين-الثوريين اليساريين في الابقاء على نفوذهم بين جماهير الفلاحين اعترفوا شكلا بالسلطة السوفييتية وعقدوا اتفاقا مع البلاشفة ، ولكنهم لم يلبثوا ان سلكوا طريق النضال ضد السلطة السوفييتية .

وفي سنوات التدخل الاجنبي المسلح والحرب الاهلية قام الاشتراكيون-الثوريون بعمل تخريبي معاد للثورة ودعموا بنشاط المتدخلين والحرس الابيض واشتركوا في المؤامرات

المعادية للثورة ونظموا اعمال الارهاب ضد رجالات الدولــة السوفييتية والحزب الشيوعي . وبعد انتهاء الحرب الاهلية ، واصــل الاشتراكيون-الثوريون نشاطهــم المعادى للدولـــة السوفييتيـــة داخل البلاد وفي معسكــر المهاجرين البيض . — ص ٥٦

٢٢ — **جماعة «نوفايا جيزن»** — فرقة منشفية تكونت حول جريدة «نوفايــا جيزن» («الحياة الجديدة») التي صدرت منذ نيسان (ابريل) ١٩١٧ حتى تموز (يوليو) ١٩١٨ في بتروغراد .

ضمت الفرقة ، بصورة رئيسية ، المناشفة المارتوفيين الذين كانوا يسمون انفسهم بالامميين . وقف اعضاء الفرقـــة موقفا معاديا لثورة اكتوبر الاشتراكية ، باستثناء بضعـــة افراد منها التحقوا بالبلاشفة . — ص ٥٦

٢٣ — يقصد لينين النظرات الغريبة عن الماركسية ، التي غرسها تحت اسم «الثقافة البروليتارية» قادة مـــا يسمى «بروليتكولت» (بالروسية : «بروليتارسكايا كولتورا» («الثقافة البروليتارية») ، وهي منظمة تثقيفية) . ظهرت بروليتكولت في ايلول (سبتمبر) ١٩١٧ كمنظمة عمالية مستقلة مركزة قيادتها في ايدي بوغدانوف وانصاره ، وواصلت الذود عن «استقلالها» بعد ثورة اكتوبر معارضة نفسهـــا بنفسها بالتالي للدولة البروليتاريـــة . وبفضـــل ذلك تسرب المثقفون البرجوازيون الى بروليتكولت واخذوا يؤثرون فيها التاثير الحاسم . انكر اعضاء بروليتكولت عمليا اهمية التراث الثقافي من الماضي وبذلوا جهدهم لتجنيب انفسهم مهام العمل الثقافي والتعليمي بين الجماهير ولانشاء «ثقافة بروليتارية»

خاصة بمعزل عن الحياة و« بسبيل مختبري » . كان ايديولوجي بروليتكولت الرئيسي ، بوغدانوف ، يعترف بالماركسية قولا ، ولكنه كان يروج فعلا للفلسفة الماخية ، المثالية الذاتية . لم تكن بروليتكولت منظمة متجانسة . فالى جانب المثقفين البرجوازيين الذين كانوا يضطلعون بالدور الاول في كثير من منظمات بروليتكولت ، كان هناك ايضا عمال شباب يحاولون بكل اخلاص ان يساعدوا الدولة السوفييتية في البناء الثقافي . بلغت منظمات بروليتكولت اعلى درجات تطورها في عام ١٩١٩ . في بداية العشرينيات ، اخذت هذه المنظمات تنهار . في عام ١٩٣٢ ، زالت بروليتكولت من الوجود .

اخضع لينين موضوعات بروليتكولت الخاطئة لنقد ماحق في مشروع القرار « عن الثقافة البروليتارية » (راجع المجموعة الحالية ، صفحة ١٤٥) ، كما في جملة من اعماله الاخرى . — ص ٥٩

٢٤ — المقصود هنا المرسوم « بصدد تعبئة المتعلمين وتنظيم دعاية النظام السوفييتي » ، الذي اتخذه مجلس مفوضي الشعب في ١٠ كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٨ ونشر في جريدة « ازفيستيا اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا » ، العدد ٢٧٢ ، بتاريخ ١٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٨ . نص المرسوم على احصاء جميع السكان المتعلمين وفرز من يجيدون القراءة بينهم لأجل تنظيم فرق منهم ينبغي عليها « ... اولا : اطلاع السكان غير المتعلمين على جميع تدابير الحكومة ؛ ثانيا ، الاسهام في التطوير السياسي لجميع السكان على العموم ... » . — ص ٦١

٢٥ — يقصد لينين مؤامرة تسليم بتروغراد التي اشرفت عليها المنظمة المعادية للثورة «المركز الوطني» الذي كان يوحد نشاط جملة من الجماعات المعادية للسوفييت والنشاط السري الجاسوسي . في ليلــة الثاني عشر الى الثالث عشر من حزيران (يونيو) ١٩١٩ ، استثار المتآمرون فتنة في حصن كراسنايا غوركا الذي كان من أهم المشارف على بتروغراد .

كذلك استثار اعوان المتآمرين فتنة في حصني سيرايا لوشـــاد واوبروتشيفـــ . حسب المتآمرون بالاستيلاء على كراسنايا غوركا ان يضعفوا منطقة كرونشتادت المحصنة ، ويحتلوا بتروغراد بتوحيد الهجوم العام في الجبهة مع الانتفاضة .

في ليلة الخامس عشر الى السادس عشر من حزيران (يونيو) تم القضاء على الفتنة . — ص ٨٠

٢٦ — يقصد لينين الاممية الثانية (او اممية برن) التي انشاها زعماء الاحزاب الاشتراكية باوروبا الغربيـــة في مؤتمر الاحزاب الاشتراكية بمدينة برن في شباط (فبراير) ١٩١٩ ، عوضا عن الاممية الثانية التي كفت عن الوجود منذ بداية الحرب العالمية الاولى .

اضطلعت اممية برن عمليـــا بدور خادمـــة للبرجوازيـــة العالمية . — ص ٨٣

٢٧ — **معركة سادوفا** (قرية ، حاليا مدينة في مقاطعة غراديتس كرالوف في تشيكوسلوفاكيـــا) جرت في ٣ تموز (يوليو) ١٨٦٦ . انتهت بانتصـــار بروسيـــا الكامل ودحر النمسا ، وقررت مصير الحرب النمساوية-البروسية . — ص ٨٩

٢٨ — المقصود هنا برنامج الحزب الذي اتخذه المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي الروسي (البلشفي) . — ٩٥

٢٩ ــ راجــع كارل ماركس . «الرأسمال» ، الكتاب الاول . ــ ٩٦

٣٠ ــ في ١٦ آذار (مارس) ١٩١٩ ، اصدر مجلس مفوضي الشعب مرسومــا اعاد بموجبــه تنظيــم تعاونيات الاستهلاك ووحّدها في هيئة موحدة للتوزيع واطلق عليها اسم «كومونة الاستهلاك» . ولكن هذه التسمية الجديدة ادت في بعض الاماكن الى فهم المرسوم وتفسيره بصورة غير صحيحة . ونظرا لذلك ، اتخذت اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا قرارا صادقت به على المرسوم واستعاضت بموجبه عن اسم «كومونــة الاستهلاك» باسم «جمعيــة الاستهلاك» الأليف للسكان . ــ ١٠٣

٣١ ــ راجع الملاحظة رقم ٢٣ . ــ ص ١١١

٣٢ ــ مشروع القــرار «عن الثقافــة البروليتاريــة» كتبه لينين لمناسبة المؤتمر الاول للبروليتكولت لعامة روسيا الذي جرى في موسكو من ٥ الى ١٢ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٠ . ــ ١٤٥

٣٣ – **«مسودة قرار عن الثقافــة البروليتاريــة»** كتبها لينين في جلسة المكتب السياســي في ٩ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٠ التي طرحت فيها مسالة تحضير قرار لمؤتمر البروليتكولت . في هذه المسودة ، استعاد لينين أهم موضوعات مشروع قراره بصدد الثقافة البروليتاريــة الذي كتبه العشيــة ، في ٨ تشرين الاول . (راجــع المجموعــة الحالية ، صفحة ١٤٥) . – ١٤٨

٣٤ ـ اجتماع عامة روسيا لهيئات التثقيف السياسي في اقسام التعليم العام بالمحافظات والاقضية ، جرى في موسكو من ٢ الى ٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٠ . شغلت مكان الصدارة من اعمال الاجتماع المسائل المرتبطة بانشاء اللجنة الرئيسية الجمهورية للتثقيف السياسي . عند افتتاح الاجتماع ، القى لوناتشارسكي كلمة عن عمل التثقيف السياسي . استمع الاجتماع الى تقرير كروبسكايا «الخطة المباشرة لعمل اللجنة الرئيسية الجمهورية للتثقيف السياسي» ، والى تقرير ليتكنس «تنظيم الهيئات المحلية للتثقيف السياسي» .

القى لينين كلمته في الجلسة الثالثة (اليوم الثاني من عمل الاجتماع) بعد تقرير كروبسكايا . ـ ١٤٩

٣٥ ـ مرسوم مجلس مفوضي الشعب «بصدد اللجنة الرئيسية الجمهورية للتثقيف السياسي» الموضوع على اساس توجيهات لينين ، وقعه لينين في ١٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٢٠ ونشرته جريدة «ازفيستيا اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا» ، العدد ٢٦٣ ، تاريخ ٢٣ تشرين الثاني ١٩٢٠ . ـ ص ١٥٠

٣٦ ـ **الجمعية التأسيسية** دعيت للانعقاد في ٥ كانون الثاني (يناير) ١٩١٨ من قبل السلطة السوفييتية . جرت الانتخابات الى الجمعية التأسيسية ، اساسا ، قبل ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى ، فعكس قوام الجمعية التأسيسية مرحلة اجتازتها البلاد في تطورها ، مرحلة كان فيها ممثلو حزبي المناشفة والاشتراكيين-الثوريين وكذلك الكاديت يقبضون على زمام السلطة . فحصلت قطيعة حادة بين ارادة الاغلبية الهائلة

من جماهير الشعب ، هذه الارادة التي وجدت لها تعبيرا في انشاء السلطة السوفييتية وفي قراراتها ، وبين السياسة التي انتهجها القسم الاشتراكي-الثوري والمنشفي والكاديتي من الجمعية التاسيسية ، الذي يعبر عن مصالح البرجوازية والكولاك (الفلاحين الاغنياء) . ورفضت الجمعية التاسيسية بحث «اعلان حقوق الشعب الشغيل والمستثمَر» الذي اقترحه البلاشفة ، والمصادقة على مراسيم مؤتمر السوفييتات الثاني بشأن السلم والارض وانتقال السلطة الى السوفييتات .

بعدما تلا البلاشفة الاعلان ، غادروا الجمعية التاسيسية التي افصحت عن عداوتها لمصالح الشعب الشغيل الفعلية . في ٦ كانون الثاني (يناير) ١٩١٨ ، حُلَّت الجمعية التاسيسية بقرار من اللجنة التنفيذية المركزية لعامة روسيا . — ص ١٧٠

٣٧ — **الاممية الثانية والنصف** (الاسم الرسمي : «اتحاد الاحزاب الاشتراكية العالمي») — منظمة عالمية للاحزاب والجماعات الاشتراكية الوسطية التي خرجت من الاممية الثانية تحت ضغط الجماهير الثورية ، تشكلت في مؤتمر فيينا في شباط (فبراير) ١٩٢١ . انتقد زعماء الاممية الثانية والنصف الاممية الثانية قولا ، ولكنهم فعلا انتهجوا في جميع أهم مسائل الحركة البروليتارية سياسة التهازية انشقاقية في صفوف الطبقة العاملة وحاولوا استغلال الاتحاد الذي انشاوه لأجل معارضة نفوذ الشيوعيين المتنامي في اوساط الطبقة العاملة .

في ايار (مايو) ١٩٢٣ ، اتحدت الاممية الثانية والاممية الثانية والنصف فيما يسمى الاممية العمالية الاشتراكية . — ص ١٧٣ .

٣٨ ــ **الاممية الثانية** ــ اتحاد عالمي للاحزاب الاشتراكية ، انشئ في سنة ١٨٨٩ . عندما بدأت الحرب الامبريالية العالمية (١٩١٤ ــ ١٩١٨) ، خان زعماء الاممية الثانية قضية الاشتراكية وانتقلوا الى جانب حكوماتهم الامبريالية ، فتفسخت الاممية الثانية . اما الاحزاب والجماعات اليسارية التي كانت منضمة سابقا الى الاممية الثانية فقد انضمت الى الاممية الشيوعية (الثالثة) التي تاسست في موسكو عام ١٩١٩ . اعيدت الاممية الثانية في مؤتمر برن (سويسرا) في العام نفسه ، عام ١٩١٩ . ولم ينضم اليها غير الاحزاب التي كانت تمثل الجناح اليميني الانتهازي في الحركة الاشتراكية . ــ ص ١٧٦

٣٩ ــ **السياسة الاقتصادية الجديدة** («النيب») ــ السياسة الاقتصادية للدولة البروليتارية في مرحلة الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية . وقد اسميت هذه السياسة «بالجديدة» خلافا للسياسة الاقتصادية التي كانت مطبقة في روسيا السوفييتية في مرحلة التدخل الحربي الاجنبي والحرب الاهلية والتي دخلت التاريخ تحت اسم سياسة «الشيوعية الحربية» (١٩١٨ــ١٩٢٠) . هذه السياسة الاخيرة كانت سياسة اقتصادية فرضتها ظروف الحرب وقد اتصفت باقصى التمركز في انتاج وتوزيع المنتوجات ، وبمنع التجارة الحرة ، وبالمصادرة العينية التي كان الفلاحون يسلمون الدولة بموجبها جميع فوائض المنتوجات الزراعية .

بعد انتهاء التدخل الحربي الاجنبي والحرب الاهلية وبعد الانتقال الى السياسة الاقتصادية الجديدة ، اصبحت العلاقات البضاعية النقدية الشكل الاساسي للصلة بين الصناعة

الاشتراكية والاقتصاد الفلاحي الصغير . ومع الغاء المصادرة العينية ، والانتقال الى الضريبة العينية ، توافرت للفلاحين امكانية التصرف الحر بفوائض منتوجاتهم وبيعها في السوق وشراء البضائع الصناعية الضرورية بواسطة السوق .

ان السياسة الاقتصادية الجديدة التي اجازت وجود العناصر الرأسمالية لمدة معينة وفي نطاق محدود ، مع ابقاء المواقع الاقتصادية الاساسية في يد الدولة البروليتارية ، كانت تستهدف تطوير قوى البلد المنتجة ، وانهاض الزراعة ، وانشاء الاساس الاقتصادي من اجل الانتقال الى الاشتراكية . — ص ١٧٩

٤٠ — يقصد لينين مقالته « بصدد الصبيانية « اليسارية » والنزعة البرجوازية الصغيرة » . — ص ١٩٧

٤١ — **الشيوعيون اليساريون** — فرقة التهازية في الحزب الشيوعي الروسي (البلشفي) ، ترأس الفرقة بوخارين ؛ انبثقت في مطلع عام ١٩١٨ لمناسبة مسالة عقد صلح بريست . تحت ستار من التعابير اليسارية عن الحرب الثورية ، ذادت فرقة « الشيوعيين اليساريين » عن سياسة المغامرة الرامية الى جر الجمهورية السوفييتية التي لم تكن تملك بعد جيشا ، الى حرب ضد المانيا الامبريالية ، وعرضت السلطة السوفييتية لخطر الهلاك . كذلك عارض « الشيوعيون اليساريون » تطبيق مبدأ وحدة القيادة وطاعة العمل واستخدام الاختصاصيين البرجوازيين في الصناعة . وتحت قيادة لينين ، رد الحزب ردا حاسما على سياسة « الشيوعيين اليساريين » . — ص ١٩٨

٤٢ — يقصد لينين ، على ما يبدو ، وصف كومونة باريس باعتبارها «الشكل السياسي المرن الى اعلى درجة» في كتاب كارل ماركس «الحرب الاهلية في فرنسا» والتقدير السامي «لمرونة الباريسيين» ، الذي اعطاه ماركس في رسالته الى كوغلمان بتاريخ ١٢ نيسان (ابريل) ١٨٧١ . — ٢٠٤

٤٣ — يقصد لينين الفقرة التالية من رسالة كارل ماركس الى فريدريك انجلس بتاريخ ١٦ نيسان (ابريل) ١٨٥٦ : «سيتوقف كل شيء في المانيا على امكانية دعم الثورة البروليتارية بطبعة ما جديدة لحرب الفلاحين . عندئذ سيكون كل شيء على ما يرام» . — ص ٢٠٤

٤٤ — **التفتيش العمالي والفلاحي** (رابكرين) انشئ بمبادرة من لينين في شباط (فبراير) ١٩٢٠ على اساس اعادة تنظيم مفوضية الشعب لرقابة الدولة التي انشئت في الاشهر الاولى من اقامة السلطة السوفييتية . — ص ٢١٠

٤٥ — **فخوتيماس** — المشاغل الفنية والتكنيكية العليا . — ص ٢٢١

٤٦ — رسالة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الروسي «بصدد هيئات البروليتكولت» المنشورة في «البرافدا» في اول كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٠ . — ص ٢٤٤

دليل الاسماء

اوسبنسكي غليب ايفانوفيتش (١٨٤٣ـ١٩٠٢) ـ كاتب وصحفي سياسي روسي . ديموقراطي ثوري . ـ ص ٢١٥

اوين روبـرت (١٧٧١ـ١٨٥٨) ـ اشتراكـي طوبـوي انجليزي . ـ ص ٢٠٠

ايليتش ـ انظر لينين ف . ا .

باربوس هنـري (١٨٧٣ـ١٩٣٥) ـ كاتـب فرنسـي شيوعي . ـ ص ٢٢٠

بليخانوف غيورغي فالنتينوفيتش (١٨٥٦ـ١٩١٨) ـ مـن ابرز رجالات الحركة الاشتراكية الديموقراطية الروسية والعالمية . الداعية البارز للماركسية . منـذ عـام ١٩٠٣ ، منشفي . ـ ص ١٩

بوبرينسكي فلاديمير الكسييفيتش (ولد في عام ١٨٦٨) ـ سياسي روسي رجعي ، ملاك عقاري كبير وصاحب عدة مصانع للسكر . بوصفه قوميا متطرفا ، كان نصيرا لروسنة الاطراف القومية من روسيا بالعنف . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، ناضل ضـد السلطـة السوفييتية . مهاجر ابيض . ـ ص ٢١ ، ٢٣

بوخارين نيقولاي ايفانوفيتش (١٨٨٨ـ١٩٣٨) ـ في عـام ١٩٠٦ انتسب الى الحزب البلشفي .في عام ١٩١٥ عاون في مجلة «كومونيست» («الشيوعي») ، ودافع عن مواقف غير ماركسية في قضايا الدولة وديكتاتورية البروليتاريا وحق الامم في تقرير مصيرها وغيرها من القضايا .

بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، شغل جملة من المناصب المسؤولة . وقف غير مرة ضد سياسة الحزب اللينينية . ابتداء من عام ١٩٢٨ ، ترأس المعارضة

اليمينية في الحزب الشيوعي (البلشفي) السوفييتي . لنشاطه ضد الحزب ، فصل من صفوف الحزب في عام ١٩٣٧ . — ص ١٨٨

بورتسيف فلاديمير لفوفيتش (١٨٦٢—١٩٣٦) — ناشر برجوازي ليبيرالي . ابان الحرب الامبريالية العالمية ، شوفيني متطرف . — ص ١٩

بوريشكيفيتش فلاديمير ميتروفانوفيتش (١٨٧٠—١٩٢٠) — ملكي روسي ، من المائة السود ، ملاك عقاري كبير . — ص ٢١ ، ٢٣

بوشكين الكسندر سرغييفيتش (١٧٩٩—١٨٣٧) — شاعر روسي كبير . — ص ٢١٦ ، ٢٢١

بوغدانوف (مالينوفسكي) الكسندر الكسندروفيتش (١٨٧٣—١٩٢٨) — اشتراكي-ديموقراطي روسي ، فيلسوف ، عالم اجتماع ، اقتصادي . بعد المؤتمر الثاني لحزب العمال الاشتراكي-الديموقراطي الروسي (١٩٠٣) ، التحق بالبلاشفة . في مسائل الفلسفة حاول ان يخلق منهجا خاصا هو «مذهب الوحدانية التجريبي» (وهو نوع من الفلسفة الماخية المثالية الذاتية) الذي انتقده لينين انتقادا حادا في مؤلفه «المادية والمذهب النقدي التجريبي» . في عام ١٩٠٩ طرد بوغدانوف من صفوف البلاشفة . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، كان من منظمي وقادة هيئة «بروليتكولت» («الثقافة البروليتارية») . — ص ٢٤٥

بولنتس ولهلم (١٨٦١—١٩٠٣) — كاتب الماني . — ص ٢١٧

بيتليورا سيمون فاسيليفيتش (١٨٧٧—١٩٢٦) — واحد من زعماء القوميين البرجوازيين الاوكرانيين . في مرحلة

التدخل العسكري الاجنبي والحرب الاهلية ، كان واحدا من قادة الثورة المضادة في اوكرانيا . — ص ١٥٥

بيروفسكايا صوفيا لفوفنـا (١٨٥٣–١٨٨١) — ثوريـة روسية . — ص ٢٤٠

بيساريف دميتري ايفانوفيتش (١٨٤٠–١٨٦٨) — ناقد ادبي روسـي ، فيلسـوف مـادي ، ديموقراطـي ثوري . — ص ٢١٦

بيسمارك اوتو (١٨١٥–١٨٩٨) — في ١٨٧١ — ١٨٩٠ ، مستشار الامبراطورية الالمانية ، ملكي . حقق وحدة المانيا عن طريق العنف بزعامة بروسيا . — ص ٢٣

بيدني دميان (بريدفوروف يفيم الكسييفيتش) (١٨٨٣–١٩٤٥) — شاعر سوفييتي . — ص ٢٢٣

تروتسكي (برونشتين) ليف دافيدوفيتش (١٨٧٩–١٩٤٠) — عدو للينينية . في عـام ١٩١٢ ، منظم كتلـة آب (اغسطس) المعادية للحزب . بعد ثورة اكتوبـر الاشتراكية ، شغل جملة من المناصب في الدولة . في عام ١٩١٨ ، كان خصماً لصلح بريست . في ١٩٢٠–١٩٢١ ترأس المعارضة في المناقشة النقابية . ابتداء من ١٩٢٣ خاض نضالاً تكتليا ضاريا ضد خطة الحزب العامة وضد البرنامج اللينيني لبناء الاشتراكية ، ونادى باستحالة انتصار الاشتراكية في الاتحاد السوفييتي . في عام ١٩٢٧ ، طرد تروتسكي من الحزب . في عام ١٩٢٩ ، نفي الى خارج الاتحاد السوفييتي لنشاطه ضد السلطة السوفييتية . — ص ٤٢

تسوروبا الكسندر دمتربيفيتش (١٨٧٠–١٩٢٨) — عضـو حزب البلاشفة منذ عام ١٨٩٨ . ابتداء من عام ١٩١٨

خودوروفسكي اي . اي . (١٨٨٥–١٩٤٠) – عضو الحزب البلشفي منذ عام ١٩٠٣ . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، قام بالعمل الحزبي والعسكري والسوفييتي .في ١٩٢٢–١٩٢٨ ، نائب مفوض الشعب للتعليم .– ص ١٩٤ ، ١٩٦

دوبروليوبوف نيقولاي الكسندروفيتش (١٨٣٦–١٨٦١) – ديموقراطي ثوري روسي ، ناقد ادبي بارز وفيلسوف مادي . اقرب صديق لتشيرنيشيفسكي ورفيقه في الفكر .– ص ٢٤٠

دولغوروكوف بافل دمتزييفيتش (١٨٦٦–١٩٣٠) – ملاك عقاري كبير ، من مؤسسي حزب الكاديت . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية اسهم بقسط نشيط في النضال ضد السلطة السوفييتية .– ص ١٩

دوهرينغ يفغيني (١٨٣٣–١٩٢١) – فيلسوف واقتصادي الماني ، ايديولوجي برجوازي صغير . كانت نظرات دوهرينغ الفلسفية عبارة عن خليط اختياري من الوضعية والمادية الميتافيزيائية والمثالية .– ص ٧

دياتشنكو ا . ب . (١٨٧٥–١٩٥٢) – ابتداء من عام ١٩١٧ عضو الحزب البلشفي . في عام ١٩١٩ ، ممرض في سكة حديد موسكو – كازان .– ص ٧٤

ديكنس تشارلز (١٨١٢–١٨٧٠) – كاتب انجليزي. – ص ٢٢٣

دينيكين انطون ايفانوفيتش (١٨٧٢–١٩٤٧) – جنرال قيصري . ابان الحرب الاهلية واحد من قادة حركة الحرس الابيض . في عام ١٩١٩ ، بدأ الزحف على موسكو على رأس جيوش الحرس الابيض في جنوب

كاوتسكي كارل (١٨٥٤-١٩٣٨) - احد نظريي الاشتراكية - الديموقراطية الالمانية والاممية الثانية ؛ في البدء ماركسي . فيما بعد ، مرتد عن الماركسية ، وايديولوجي اخطر واضر اشكال الانتهازية ، اي الوسطية (الكاوتسكية) . - ص ٨٥ ، ٩٦ ، ١٧٣ ، ٢٠٧ ، ٢٢٩ .

كروبسكايا ناديجدا قسطنطينوفنا (١٨٦٩-١٩٣٩) - من رجالات الدولة السوفييتية البارزين ومن اقدم اعضاء الحزب الشيوعي السوفييتي . زوجة لينين واقرب معاونيه . مربية سوفييتية بارزة . - ص ٢١٥ ، ٢٤٢

كروبوتكين بيوتر الكسييفيتش (١٨٤٢-١٩٢١) - من رجالات الحركة الثورية الروسية . من كبار نظريي الفوضوية . ص ١٩ ، ٢٢١

كريستوفنيكوف غريغوري الكسندروفيتش (ولد في عام ١٨٥٥) - صناعي ورجل بورصة روسي كبير . عضو حزب الاكتوبريين الاقطاعي البرجوازي المعادي للثورة . - ص ١٩

كوتلير نيقولاي نيقولاييفيتش (١٨٥٩-١٩٢٤) - من رجالات حزب الكاديت البارزين . في ١٩٠٥-١٩٠٦ ، وزير الزراعة وتنظيم الارض . عضو دوما الدولة الثاني والثالث . احد اصحاب مشروع برنامج الكاديت الزراعي . - ص ١٩

كوسيفيتسكي سرغيه الكسندروفيتش (١٨٧٤-١٩٥١) - عازف كمان اجهر وقائد اوركسترا سوفييتي . - ص ٢٤٣

كولتشاك الكسندر فاسيلييفيتش (١٨٧٣-١٩٢٠) - اميرال في الاسطول القيصري . ملكي . بعد ثورة اكتوبر

الاشتراكية ، اعلن نفسه الحاكم الاعلى لروسيا وتراس الديكتاتورية العسكرية البرجوازية الاقطاعية في الاورال وسيبيريا والشرق الاقصى . ونحو شباط (فبراير) ١٩٢٠ سحقه الجيش الاحمر . — ص ٦٠ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٧٠ ، ٧١ ، ١٣٨ ، ١٥٥

كوننكوف سرغيه تيموفييفيتش (ولد في عام ١٨٧٤) — نحات سوفييتي . — ص ٢٤١

كيرنسكي الكسندر فيودوروفيتش (ولد في عام ١٨٨١) — اشتراكي-ثوري . بعد ثورة شباط (فبراير) ١٩١٧ البرجوازية الديموقراطية ، صار وزير العدلية ووزير الحربية والبحرية ثم رئيس الحكومة الموقتة البرجوازية والقائد الاعلى . بعد ثورة اكتوبر الاشتراكية ، ناضل ضد السلطة السوفييتية . في عام ١٩١٨ ، فر الى الخارج . — ص ١٥٥

لاسال فرديناند (١٨٢٥—١٨٦٤) — اشتراكي الماني ، مؤسس اتحاد العمال الالماني العام . في جملة من اهم المسائل السياسية شغل موقفا انتهازيا انتقده ماركس وانجلس عليه انتقادا حادا . — ص ٢٣ ، ٢٤٠

لندن جاك (١٨٧٦-١٩١٦) — كاتب اميركي . — ص ٢٢٤

لوكسمبورغ روزا (١٨٧١—١٩١٩) — مناضلة بارزة في الحركة العمالية الالمانية والبولونية وفي الاممية الثانية ، من مؤسسي الحزب الشيوعي الالماني . في كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ اعتقلت وقتلت بناء على امر من حكومة شيدمان . — ص ٤٤

لوناتشارسكي اناطولي فاسيلييفيتش (١٨٧٥—١٩٣٣) رجل دولة سوفييتي بارز . ثوري محترف . بعد ثورة اكتوبر

الاشتراكية وحتى عام ١٩٢٩ مفوض الشعب للتعليم ، ثم رئيس اللجنة العلمية لدى اللجنة التنفيذية المركزية للاتحاد السوفييتي . ابتداء من عام ١٩٣٠ اكاديمي . كاتب سياسي . مؤلف مسرحي . واضع جملة من الابحاث في مسائل الفن والادب . — ص ٥٧ ، ١٤٥ ، ١٤٨ ، ٢٣٧

لونغه جان (١٨٧٦–١٩٣٨) — من زعماء الحزب الاشتراكي الفرنسي والاممية الثانية . كاتب سياسي . ابان الحرب العالمية الاولى ترأس الاقلية الوسطية المسالمة في الحزب الاشتراكي الفرنسي . ابتداء من عام ١٩٢١ عضو اللجنة التنفيذية لاممية فيينا (الاممية الثانية والنصف) . ابتداء من عام ١٩٢٣ من قادة ما يسمى الاممية العمالية الاشتراكية . — ص ١٧٣

ليبكنخت كارل (١٨٧١–١٩١٩) — مناضل بارز في الحركة العمالية الالمانية والعالمية . اثناء ثورة تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٨ في المانيا ترأس مع روزا لوكسمبورغ طليعة العمال الالمان الثورية . كان من مؤسسي الحزب الشيوعي الالماني وقادة انتفاضة عمال برلين في كانون الثاني (يناير) ١٩١٩ . بعد قمع الانتفاضة اغتاله اعداء الثورة بوحشية . — ص ٤٤

ليبمن ف . (هرش بيساخ) (ولد في عام ١٨٨٢) — من قادة البوند . التحق بدعاة التصفية . ابان الحرب العالمية الاولى (١٩١٤–١٩١٨) دعم السياسة الالحاقية التي انتهجتها القيصرية . — ١٥

ليرمونتوف ميخائيل يوريييفيتش (١٨١٤–١٨٤١) — شاعر روسي . — ص ٢١٥ ، ٢١٦

محتويات

ملحقات

